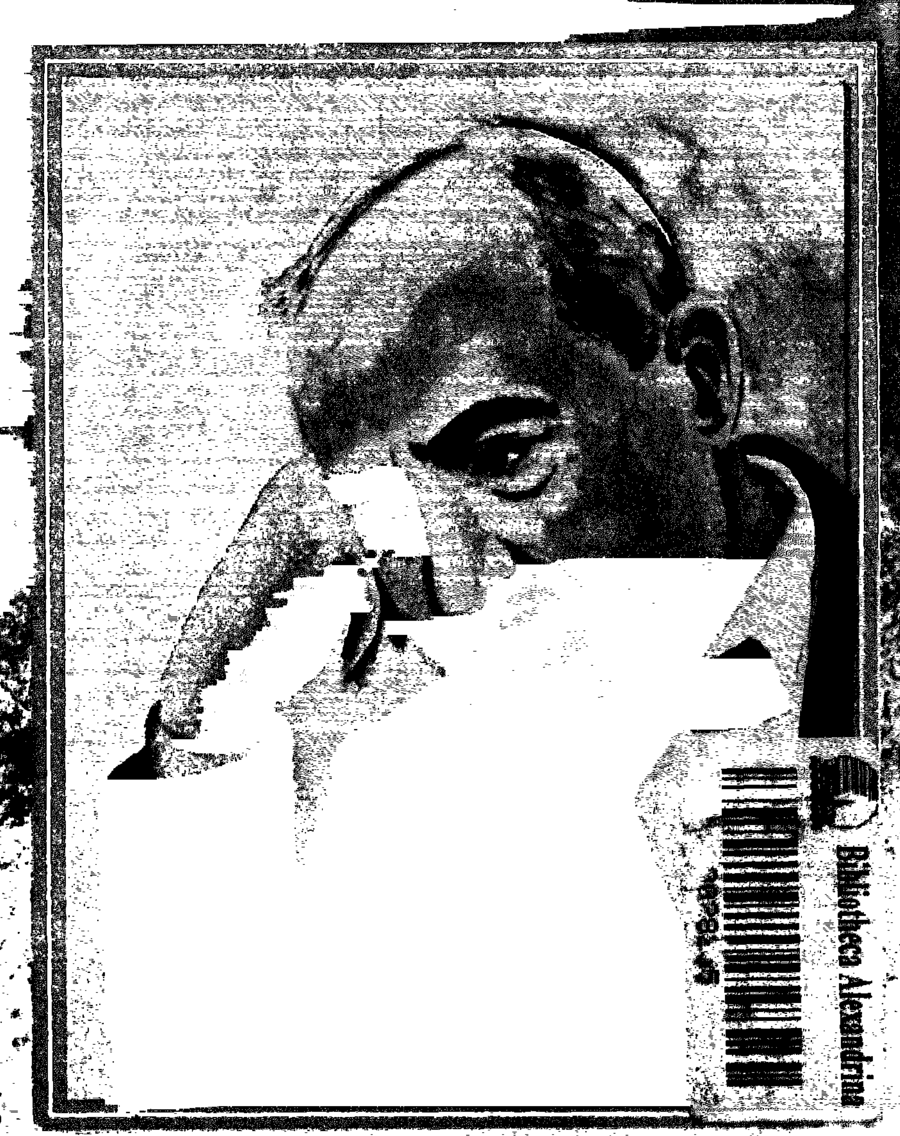
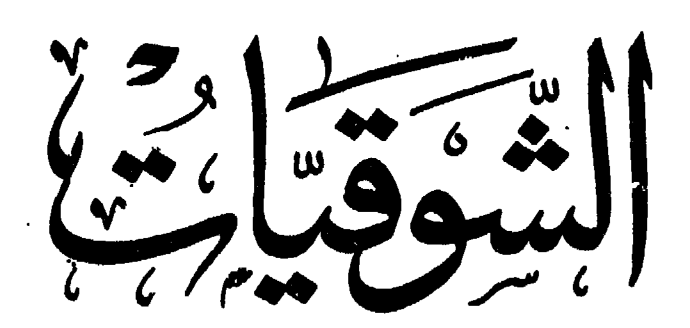
أحمد شوقي



دار العودة - بيروت

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الثاني



الشوقيات

شعر المرحوم
احمد شوقي

الجزء الثالث
في
المراثي

دار العودة - بيروت

١٩٨٨

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢_L_E
ص. ب ١٤٦٢٨٤

سليمان باشا أباظه (*)

مَن ظنَّ بعدَكَ أن يقولَ رثاء ... فلْيَرْثِ مِن هذا الورى مَن شاء

فَجع المكارمَ فاجعٌ فى رَبِّها ... والمجدَ فى بانيهِ ، والعلياء

ونعَى النعاةُ إلى المروءة كنزَها ... وإلى الفضائل نجمَها الوضَّاء

أأَبا محمدٍ ، اتَّئِدْ فى ذا النَّوى ... وارفُقْ بـآلك ، وارحمِ الأبناء

واستبق عِزَّهمُ (بطهراء) التى ... كانوا النجومَ بها وكنتَ سماء(١)

أدجى بها ليلُ الخطوبِ ، وطالما ... مُلِئتْ منازلُها سَنًى وسَناء(٢)

وإذا سليمان استقلّ محلَّةً ... كانت بساطاً للندى ورجاء(٣)

فانظر من الأعواد حولك هل ترى ... من بعدِ طبِّك للعُفاة دواء(٤)

سارت جنازةُ كلِّ فضلٍ فى الورى ... لما ركبتَ الآلة الحَدْباء(٥)

(*) سليمان باشا اباظه : احد سراة مصر الكبار ، وكان فى حياته كبير الأسرة الأباظية الشهيرة ، وقد اسندت اليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفى سنة ١٩٠١ ــ١ــ طهراء : علم على بلد الفقيد ، وهى من اعمال اقليم الشرقية بمصر ــ ٢ ــ تدجى الليل وادجى : كلاهما بمعنى اظلم ، والسنى ــ بالقصر ــ : الضوء ، والسناء ــ بالمد ــ الرفعة . ــ٣ــ المحلة : فى الأصل هى الناحية التى ينزل بها القوم ، ولاتقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله : « استقل محلة » اى انه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها . ــ ٤ ــ الاعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ،وعلى السرير للحى أو الميت . كان رجل من العرب يلقب « ذا الاعواد » لانه كان يحمل دائما فى سرير ، والشعراء العظماء يستعملون الاعواد للموتى ، وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : ارايت من حملوا على الاعواد .. الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل او رزق ــ٥ــ الجنازة بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بالكسر : هى الميت ، وبالفتح هى النعش ، وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع مالوف عصرنا هو اطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحدب كما هو معروف .

وتيتَّمَ الأيتامُ أوَّلَ مرَّةٍ ورمى الزمانُ بِصَرفِه الفقراءَ(١)

ولقد عَهِدتُكَ لا تُضيِّع راجياً واليومَ ضاع الكلُّ فيك رجاءَ

وعلمتُ أنك مَنْ يَوَدُّ ومَنْ يَفِي فقِفِ الغداةَ لو استطعتَ وفاءَ

وذكرتُ سعيَكَ لى مريضاً فانياً فجعلتُ سَعْيِيَ بالرثاء جزاءَ

والمرءُ يُذْكَر بالجمائل بعدَه فارفع لذِكْرِكَ بالجميل بِناءَ(٢)

واعلمْ بأنك سوف تُذْكَر مَرةً فيقالُ : أحسنَ، أو يقالُ : أساءَ

أبَنِيه ، كونوا للعِدَى مِن بَعده كيداً ، وكونوا للوَلِيِّ عَزَاءَ

وتجلَّدُوا لِلخطْب مثلَ ثَباته أيامَ كان يُدافع الأرْزاءَ

واللهِ ما مات الوزيرُ وكنتمُ فوقَ الترابِ أعزَّةً أحياءَ

---

١ — صرف الزمان : نوائبه وحدثانه .

٢ — جمائل : جمع جميلة ، والمقصود ان المرء يذكر بصنيعته الجميلة ، او بمآثرته الجميلة ، فحذف الموصوف ، ثم جمع الصفة واستعملها . اقول : وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت .

مصطفى باشا فهمى (*)

يا أيها الناعى أبا الوُزراء | هذا أوانُ جلائلِ الأنباء
حُثَّ البريدَ مشارقاً ومغارباً | واركبْ جناحَ البَرْقِ فى الأرجاء(١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعاً أو دَماً | فاليومُ يومُ مدامعٍ ودماء
لم تَنْعَ للأحياء غيرَ ذخيرةٍ | ولَّتْ ، وغيرَ بَقِيَّةِ الكُبَراء
رُزْءُ البريَّةِ فى الوزير زيادةٌ | فيما ألَمَّ بها منَ الأرزاء
ذهبَتْ على أثرِ المشيَّع دولةٌ | برجالها وكرائم الأشياء
نَدمانُ (إسماعيلَ) فى آثاره | ذهبوا ، وتلك صُبابةُ الندماء(٢)
وُلِدوا على راحِ العُلا ، وترعرعوا | فى نعمة الأملاك والأمراء
أوْدَى الرَّدى بمُهَذَّبٍ لا تنتهى | إلا إليه شمائلُ الرؤساء
صافى الأديمِ ، أغرُّ ، أبْلَجَ لم يَزِدْ | فى الشَّيْب غيرَ جلالةٍ ورُواء(٣)
مُتجنِّبِ الخُيلاء إلا عزةً | فى العزِّ حُسنٌ ليس فى الخيلاء

(*) مصطفى باشا فهمى : كان الهاما موفقا لامير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء ، فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكأن ياورا للخديو اسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، فرئيسا للوزراء ، ثم استقال ، ثم عاد للرئاسة ولم يتركها الا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤ م .

١ ـ البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون أذناب واعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله : « حث البريد » « واركب جناح البرق » : هو الامر للناعى باذاعة النعى فى الدنيا بأسرع وسائل الاذاعة ، والغرض من ذلك هو اظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شأن .

٢ ـ الندمان ـ بفتح النون الاولى ـ : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس ، او المجالس على الشراب . واسماعيل : هو سمو الخديو اسماعيل .

٣ ـ الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

عَفُّ السرائرِ والمَلاحَظِ والخُطا ... نَزِهِ الخلائقِ طاهرِ الأهواء(١)

مُتدرِّعٍ صَبْرَ الكرامِ على الأذى ... إن الكرامَ مشاغلُ السفهاء

نقموا عليه رأيَهُ وصَنِيعَه ... والحكمُ للتاريخ فى الآراء

والرأىُ إن أخلصْتَ فيه سريرةً ... مثلُ العقيدةِ فوقَ كلِّ مِراء(٢)

وإذا الرجالُ على الأمور تعاقبوا ... كشفَ الزمانُ مواقفَ النُّظراء

يا أيُّها الشيخُ الكريمُ ، تحيةً ... أندَى لقبرِكَ من زُلالِ الماء

هذا المصيرُ ، أكان طولَ سلامةٍ ... أمْ لم يكن إلا قليلَ بَقاء ؟

ماذا انتِفاعُك بالليالى بعد ما ... مرَّتْ بك السبعونَ مَرَّ عِشاء ؟(٣)

أو بالحياةِ ، وقد مشى فى صفْوها ... عادى السنين ، وعاثَ عادى الداء ؟

من لم يُطبِّبْه الشبابُ فداؤه ... حتى يغيِّبَه بغير دَواء

قسماتُ وجهِك في الترابِ ذخائرٌ ... من عِفَّةٍ ، وتكرُّمٍ ، وحياء(٤)

ولكم أغارَ على مُحَيًّا ماجدٍ ... وطوى محاسنَ مَسمحٍ مِعطاء(٥)

كم مَوقفٍ صعبٍ على من قامه ... ذلَّلْتَه ، ونهضتَ بالأعباء

كِبْرُ الغضنفرِ يومَ ذلك زاده ... من نَخْوةٍ وحَمِيَّةٍ وإباء(٦)

١ــ الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : انه عفيف القلب ، وعفيف الاعين ، فلا يقع لحظه على الريب ــ٢ــ المراء : الجدل ــ٣ــ يقصد سبعين عاما ، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحاء فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم (ان تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرته ــ٤ــ القسمات : ملامح وتقاسيم الوجه ــ٥ــ مسمح ــ بفتح الميم ــ : واسع السماحة . وفى القاموس المحيط : « يقال ان فيه لمسمحا كمسكن ، اى متسعا » . والمعطاء : كثير العطا ــ٦ــ الغضنفر : اسم من أسما الاسد .

مَن يَكذبِ التاريخَ يَكْذِبْ رَبَّه ويُسِئْ للأمواتِ والأحياء

السلمُ لو لم تُودِ أمسِ بجُرحِها أوْدَتْ بهذى الطعنةِ النجلاء(١)

لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعةً لبكَتْ عليك بمَدْمَعِ الخنساء(٢)

أنفض غبارَكَ عنك، وانظر، هل ترى إلاّ غبارَ كتيبةٍ ولِواء ؟

ياويحَ وجهِ الأرض: أصبح مَأْتماً بعدَ الفوارس من بنى حَوّاء

مِن ذائدٍ عن حَوْضه، أو زائدٍ فى مُلْكِه من صَولةٍ وثَراء

أو مانعٍ جارًا يُناضِلُ دونَه أو حافظٍ لِعهودِه مِيفاء(٣)

يتقاذفون بذاتِ هولٍ، لم تَهَبْ حَرَمَ المسيحِ ولا حِمى العذراء(٤)

من مُحدَثاتِ العِلْمِ، إلا أنها إثمٌ عواقبها على العلماء

* * *

لهفى على رُكنِ الشيوخِ مُهدَّما والحاملاتِ الثُّكْلَ واليُتْماء(٥)

وعلى الشبابِ بكلِّ أرضٍ مَصْرَعٌ لهمُ، وهُلْكٌ تحتَ كلِّ سماء

خرجوا إلى الأوطان من أرواحِهم كرمٌ يليق بهم ومَحْضُ سخاء(٦)

١ـ يشير الى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية، كأنه يقول: ان اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن الا لأن المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس، فهو والسلم توأمان ٢ـ يقول فى هذا البيت: ان السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء، وهى شاعرة عاشت فى صدر الاسلام اشتهرت بمراثيها فى اخيها صخر، وهذا البيت تاكيد لمعنى البيت قبله ٣ـ ميفاء: كثير الوفاء ٤ـ بذات هول: اى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول، وهذا من باب اقامة الصفة مقام الموصوف ٥ـ الثكل: فقد الابناء. واليتماء: من اليتم، وهو فى الناس فقد الاب، ويكون فى غير الناس فقد الأم ٦ـ المحض: الخالص من كل شىء.

من كلِّ بانٍ بالمنيّةِ فى الصِّبا ... لم يتّخِذ عِرْساً سِوى الهَيْجاء(١)
المُرضِعاتُ سَكبْنَ فى وجْدانِه ... حُبَّ الدِّيار وبِغضةَ الأعداء
وقرَرْنَ فى أُذْنيهِ يومَ فِطامِه ... أنّ الدماء مُهورةُ العَلْياء

* * *

أأبَا البناتِ ، رُزِقتَهنّ كرائِماً ... ورُزِقْتَ فى أصهارِك الكُرَماء
لا تذهَبنّ على الذكورِ بحسرةٍ ... الذُّكْرُ نعمَ سُلالةُ العظماء
وأرى بُناةَ المجدِ يَثْلِمُ مجدَهم ... ما خلّفوا من طالحٍ وغُثاء(٢)
إن البناتِ ذخائرٌ من رَحمةٍ ... وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووَفاء
والساهراتُ لِعلّةٍ أو كَبْرَةٍ ... والصابراتُ لشدّةٍ وبَلاء
والباكياتُكَ حينَ ينقطعُ البكا ... والزائِراتُكَ فى العَرَاء النائى(٣)
والذاكِراتُكَ ما حَيِينَ تحدُّثاً ... بسَوالفِ الحُرماتِ والآلاء
بالأمس عزّاهنّ فيكَ عقائلٌ ... واليومَ جامَلَهنّ فيك رِثائى
أبيكَ ما الدنيا سِوى معروفِها ... والبِرّ ، كلُّ صَنيعةٍ بجزاء
أجَزِعْنَ أن يجرى عليهنّ الذى ... مِن قبلهنّ جرى على « الزهراء »؟(٤)
عذراً لهن إذا ذَهبْنَ مع الأسى ... وطلبن عندَ الدمعِ بَعضَ عَزاء
ما كلُّ ذِى ولَدٍ يُسمّى والداً ... كم من أبٍ كالصخرةِ الصمّاء
هبْهُنّ فى عقل الرجال وحلمِهم ... أقلوبُهن سوى قلوب نِساء ؟

---

١ ــ يقال: بنى على فلانة ، اذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين: الزوجة ، يصف هذا الشباب السخى بروحه للاوطان بانه يألف الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .
٢ ــ الغثاء ، بضم الغين : الفاسد ــ ٣ ــ العراء النائى : الخلاء البعيد . ويعنى به هنا القبور ــ ٤ ــ الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذى جرى عليها هو موت ابيها سيد الخلق .

أبو هيف بك (*)

اجعَلْ رِثاءَكَ للرجالِ جَزاءَ ... وابعثْهُ للوطنِ الحزينِ عَزاءَ

إن الديارَ تُريقُ ماءَ شُئونِها ... كالأمهاتِ وتندُبُ الأبناءَ (١)

ثُكْلُ الرجالِ من البنينَ ، وإنما ... ثكلُ الممالكِ فَقْدُها العلماءَ

يَجْزَعْنَ للعَلَمِ الكبيرِ إذا هَوٰى ... جَزَعَ الكتائبِ قد فَقَدْنَ لِوَاءَ (٢)

عَلَمُ الشريعةِ أدركتْهُ شريعةٌ ... للموتِ يَنظِمُ حكمُها الأحياءَ (٣)

عانى قضاءَ الأرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ ... واليومَ عالجَ للسماءِ قضاءَ

ومضى وفيه من الشبابِ بقيّةٌ ... للنفعِ أرجى ما تكونُ بقاءَ

إنَّ الشبابَ يُحَبُّ جَمًّا حافِلاً ... وتُحَبُّ أيامُ الشبابِ مِلاءَ (٤)

بالأمس كانت لابن هَيْفٍ غَضبةٌ ... للحقِّ نَذكرُها يداً بيضاءَ (٥)

مَشَتِ البلادُ إلى رسالةِ (ملنَرٍ) ... وتحفَّزَتْ أرضاً لها وسماءَ (٦)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الاستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفا قانونيا لامعا ، فاقترن اسمه من ذلك الحين باعلام المجاهدين الكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦ ـ ١ ـ ماء الشئون : الدموع ـ ٢ ـ الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة او الفرقة من الجيش لها لواء ، اى رئيس تلتف وحدتها حوله ـ ٣ ـ الشريعة : القانون ٤ ـ الملاء : الاغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملىء ومن معانى الملاء ايضا : الحسنو القضاء . يقول : ان الشباب يحب كثيرا على اى حال ، ولكن ايام الشباب يحببن اكثر وهن فى غنى ، من المال الكثير ، ومن تولى المناصب ، كالحال فى شباب الفقيد ـ ٥ ـ يريد غضبته على مشروع ملنر ، وموقفه فى طليعة معارضيه ـ ٦ ـ اللورد ملنر : هو احد وزراء انجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد اليها وتحفزت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع اربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتاثر بهذا المشروع ، لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثا قانونية فى تفنيد المشروع ، كانت من اهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

قلمحْتُ أعرجَ فى زَوايا الحقِّ لم	أعلمْ عليه ذِمّةً عَرْجاءَ(١)
ارتَدّت العاهاتُ عن أخلاقِهِ	لسُمُوِّهِنَّ وحَلَّتِ الأعضاءَ
عَطفَتْهُ عَطْفَ القوسِ يومَ رِمايةٍ	وثَنَتْهُ كالماضى ، فزادَ مَضاءَ(٢)
لما رأى (التقريرَ) ينفُثُ سُمَّهُ	سَبقَ الحُواةَ فأخرجَ الرَّقْطاءَ(٣)
هَتَكَ الحمايةَ والرجال وراءَها	يتلمّسون لها السُّتورَ رياءَ
ما قبّحوا بالصبح من أشباحها	راحوا إليك فحسّنوه مَساءَ
ياقيِّمَ الدارِ التى قد أخرجَتْ	للمُدْلِجين مَنارةً زَهراءَ(٤)
وترى لديْها الوارِدِين ، فلا ترى	إلا ظِماءً ينزلون رِواءَ(٥)
وتُجالِسُ العلماءَ فى حُجُراتِها	وتُسامِرُ الحكماءَ والشعراءَ
تَكفيكَ شَيطانَ الفراغِ ، وتَعتنى	بالجاهلين تردّهم عُقَلاءَ
دارُ الذخائر كُنْتَ أكملَ كُتْبِها	مجموعةً ، وأتمَّها أجزاءَ
لما خلَتْ من كنزِ علمِكَ أصبحَتْ	من كلِّ أعلاقِ الكنوزِ خَلاءَ(٦)
هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى	فوجدْتَ فِيَّ وفى الشباب وَفاءَ

١ــ كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ســاق صناعية .
٢ــ فى هذا البيت وصف لهيئة الاعرج ، بلغ من جماله انه قد يحبب المشية العرجاء للناس ، فتأمل . والماضى : السيف ــ٣ــ قوله : « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن ان يكون هناك أبلغ فى الاعجاز وأدق فى الايجاز من هذا الكلام، فقوله : « سبق الحواة » صورة كاملة ، تريك كيف وثب الفقيد فوقف امام المشروع ، كما يثب الحاوى ، فيقف امام جحر الحية . وقوله : «فأخرج الرقطاء» أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع، فقد نبه على السم الكامن فيه ، بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحيــة .
٤ــ الدار : هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .
٥ــ الرواء : الماء الكثير ــ٦ــ أعلاق الكنوز : نفائسها .

(عبدَ الحميدِ) ، ألا أُسِرُّك حادثاً ... يكسو عِظامَك فى البِلَى السَّراء ؟(١)
قُمْ من صفوف الحقِّ تَلقَ كتيبةً ... ملمومةً ، وتَرَ الصفوفَ سَواء
وتَرَ الكِنانةَ شِيبَهَا وشبابَها ... دونَ (القضيَّةِ) عُرْضَةً وفِداء
جَمَعَ السلامُ الصُّحْفَ مِن غاراتها ... وتألَّفَ الأَحزاب والزُّعَماء
فى كلِّ وِجْدانٍ وكلِّ سَريرةٍ ... خلَفَ الودادُ الحقْدَ والبَغْضاء
وغَدا إلى دِين العشيرةِ ينتهى ... مَنْ خالَفَ الأَعمامَ والآباء
لا يحجبون على تجنِّيهم ، ولا ... يجدون إلا الصفْحَ والإِغْضاء
والأهلُ لا أهلاً بحَبْلِ وَلائهم ... حتى تراهم بَيْنَهم رُحماء
كذب المُريبُ يقول : بعدَ غدٍ لنا ... خُلْفٌ يُعِيدُ ويُبْدِئُ الشَّحْناء
قلبى يُحدِّثُنى وليس بخائنى ... إن العقولَ ستقهرُ الأَهواء

* * *

يا (سعدُ) ، قد جرَت الأُمورُ لغايةٍ ... اللهُ هيَّأها لنا ما شاء(٢)
سُبْحانَهُ جمعَ القلوبَ من الهوى ... شَتَّى ، وقوَّى حولَهُ الضُّعَفاء
الفُلْك بعد العُسْرِ يُسِّر أَمرُها ... واستَقبلتْ ريحَ الأُمورِ رُخاء
وتأَهَّبَتْ بك تستعدُّ لزاخرٍ ... تَطأُ العواصفَ فيه والأَنواء
رجَعَتْ براكبها إلى رُبّانها ... تُلقِى الرجاءَ عليه والأعباء
فاشْدُدْ بأَرباب النُّهَى سُكّانَها ... واجعل مِلاكَ شِراعِها الأَكفاء(٣)
من ذا الذى يختارُ أهلَ الفضلِ أو ... يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُك اء ؟
أَخرِجْ لأَبناء الحضارة مَجْلِساً ... يُبقِى على اسمك فى العصور ثَناء

١ـ الحادث : هو حادث ائتلاف الاحزاب المصرية فى وقت نظم هـذه القصيدة التى تعد من مفاخر المراثى فى الشعر العربى ـ٢ـ سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف.
٣ـ السكان : مؤخر السـفينة . وملاك الشىء : قوامه الذى يملك به .

مولانا محمد علي(*)

بَيْتٌ على أرضِ الهدى وسمائِه ... الحقُّ حائطُه وأُسُّ بِنائه

الفتحُ من أعلامه ، والطُّهرُ من ... أوصافه ، والقُدْسُ من أسمائه

تَحْنو مَناكِبُه على شعب الهدى ... وتُطِلُّ سُدَّتُه على سينائه(١)

مَنْ ذا يُنازِعُنا مَقالِدَ بابِه ... وجلالَ سُدَّتِه ، وطُهْرَ فِنائه ؟

ومحمدٌ صلَّى على جَنَباته ... واستقبل السَّمحاتِ في أرجائه ؟

واليومَ ضَمَّ الناسَ مَأْتَمُ أرضِه ... وحَوَى الملائكَ مِهْرَجانُ سَمائه

يا (قدسُ) ،هَيِّئْ من رياضك رَبْوَةً ... لنَزِيل تُرْبِكَ ، واحتفل بلقائه(٢)

هو من سُيوفِ اللهِ جَلَّ جلالُه ... أو من سيوف الهندِ عندَ قضائه

فَتَحَ النبيُّ له مناخَ بُراقه ... ومَعارِجَ التشريفِ من إسرائه

بَطَلٌ حقوقُ الشرقِ مِن أحماله ... وقضيَّةُ الإسلامِ مِن أعبائه

لم تُنْسِهِ الهندُ العزيزةُ رِقَّةً ... للشرق ، أو سهراً على أشيائه

وقَبَاؤه نَسْجُ الهنودِ ، فهل تُرى ... دفنوا الزعيمَ مُكَفَّناً بقَبائه ؟(٣)

(النيلُ) يذكر في الحوادث سَوْتَهُ ... والتُّرْكُ لا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلائه

* * *

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفي سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهدا في خدمة الاسلام في شتى اقطاره ، وقد أقيمت له في القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألقيت فيها هذه القصيدة .

١ــ السدة : باب الدار ــ٢ــ ياقدس : لانه دفن في القدس ــ٣ــ القباء بفتح القاف ــ : نوع من الثياب .

قل للزعيم محمدٍ : نزل الأسى ... (بالنيل) واستولى على بَطحائه(١)

فمشى إليكَ بجَفنه وبدمعه ... وإلى أخيك بقلبه وعَزائه(٢)

اجْتَزْتَهُ فحَواك فى أطرافه ... ولو انتظرْتَ حَواك فى أحشائه

ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه ... مَرَّ الغَمامِ بظلّه وبمائه

نَمْ فى جِوار اللهِ ما بِكَ غُرْبَةٌ ... فى ظِلِّ بيتٍ أنتَ مِن أبنائه

الفتحُ — وهو قضيةٌ قُدْسِيَةٌ — ... يا طالما ناضلتَ دونَ لِوائه

أفتى بدَفْنِكَ عندَ سيِّدةِ القُرى ... مُفْتٍ أراد اللهُ من إفتائِه(٣)

بلدٌ بَنُوه الأكرمونَ قصورُهم ... وقبورُهم وقفٌ على نُزَلائِه(٤)

قد عِشْتَ تنصره وتَمنح أهله ... عَوْناً ، فكيف تكون من غُرَبائه ؟

١ــ محمد : هو المرثى ــ٢ــ يريد باخيه : مولانا شوكت علي ، وقد آلت اليه زعامة المسلمين فى الهند بعد اخيه ــ٣ــ سيدة القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولابد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الاسلام هناك ، ولا يصرح بذلك الا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب .
٤ــ يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا ، وكثيرا ما هتف امير الشعراء باهل هذه البلاد اعجابا باخلاقهم .

سيد درويش(*)

كلَّ يومٍ مِهْرَجانٌ كَلَّلوا   فيه مَيْتاً برياحين الثناء(١)
لم يعلِّم قومَه حرفاً ، ولم   يُضِىءِ الأرضَ بنور الكَهْرُباء
جُومِلَ الأحياءُ فيه وقضَى   شَهَوات أهلُه والأصدقاء
ما أضلَّ الناسَ ؟ حتى الموتُ لم   يَخْلُ من زُورٍ لهم ، أو من رِياء(٢)

* * *

إنما يُبْكَى شُعاعٌ نابغٌ   كلَّما مرّ به الدهرُ أضاء
ملأ الأفواهَ والأسماعَ فى   ضَجَّةِ المَحْيا ، وفى صَمْتِ الفناء
حائطُ الفنِّ ، وبانِى رُكْنِهِ   (مَعْبَدُ)الألحانِ ، (إسحقُ)الغِناء(٣)
من أناسٍ كالدّرارِى جُدُدٍ   فى سَمَواتِ الليالى قُدَماء
غرَس الناسُ قديماً ، وبَنَوْا   لم يَدُمْ غَرْسٌ ، ولم يَخْلُد بناء
غيرَ غَرْسٍ نابغٍ ، أو حَجَرٍ   عَبْقَرِىٍّ فيهما سِرُّ البقاء
من يَدٍ مَوْهُوبَةٍ مُلْهَمَةٍ   تَغرِسُ الإحسانَ ، أو تَبْنِى العَلاء

* * *

بُلْبُلٌ إسكَنْدَرِىٌّ أيْكُهُ   ليس فى الأرض ، ولكن فى السماء(٤)
هبَطَ الشاطِىَ ، من رابِيَةٍ   ذاتِ ظِلٍّ ورَياحِينَ وماء

(*) الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله فى طليعة المجـددين فى الموسيقى العربية ، وقد القيت هذه القصيدة فى حفـلة اقيمت لذكراه فى سنة ١٩٣١ .

١ـ المهرجان : الاحتفال ، معرب ـ٢ـ الزور : الـكذب ـ٣ـ معبد واسحاق : رجلان من اشهر رجال الغناء والموسيقى ـ٤ـ كان رحمه الله من نشء الاسكندرية . والأيك : فى الاصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : انه اذا كان لكل بلبل من ايك يتخذه عشا ، فهذا البلبل الاسكندرى أيكه ليس محله الارض ، ولكن السماء هى محله اللائق به .

يَحْمِلِ الفنَّ نَميراً صافياً غَدَقَ النَّبْعِ إلى جيلٍ ظِماء(١)
حلَّ فى وادٍ على فُسْحَتِه عَزَّت الطَّيْرُ بِه إلاَّ الحِداء
يملأُ الأَسحارَ تغريدًا إذا صرف الطَّيرَ إلى الأَيْكِ العِشاء
رُبَّما استلْهَم ظَلْمَاءَ الدُّجى وأَتى الكوكبَ فاستوحى الضياء
ورمى أُذْنَيْهِ فى ناحيةٍ يَخْلِسُ الأَصواتَ خَلْسَ الببَّغاء
فتلقَّى فيهما ما راعهُ من خَفِيِّ الهمْسِ ، أو جَهْرِ النِّداء

* * *

أَيها الدرويشُ ، قُمْ بُثَّ الجَوى واشرَحِ الحبَّ ، وناجِ الشهداء
اضرب العُودَ تَفُهْ أَوتارُه بالذى تَهْوَى ، وتَنْطِقْ ما تشاء
حَرِّك النَّايَ ، ونُحْ فى غابه وتنفَّسْ فى الثُّقوبِ الصُّعَداء(٢)
واسكُب العَبْرَةَ فى آماقه من تَباريحَ ، وشَجْوٍ ، وعَزاء
واسْمُ بالأَرواحِ ، وادفعْها إلى عالَمِ اللُّطْفِ وأقطارِ الصفاء(٣)

* * *

لا تُرِقْ دمعاً على الفنِّ فلن يَعدِمَ الفنُّ الرُّعاةَ الأُمَناء
هو طيرُ اللهِ فى رَبْوَتِه يبعثُ الماءَ إليه والغِذاء
رَوَّحَ اللهُ على الدنيا به فهى مثلُ الدارِ ، والفنُّ الفِناء
تكتسى منه ومن آذاره نَفحةَ الطِّيبِ وإشراق البَهاء(٤)
وإذا ما حُرِمَتْ رِقَّتَه فَشت القَسْوَةُ فيها والجَفاء

١ـ الغدق ـ بفتح الغين والدال : الكثير ـ٢ـ الصعداء ـ بضم الصاد وفتح العين ـ : تنفس ممدود ـ٣ـ عالم اللطف : هو عالم المعانى والارواح ، ولا تسمو اليه الانفس الا فى أوقات الصفاء والانشراح ـ٤ـ آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمى .

وإذا ما سَئِمَتْ أو سَقِمَتْ ... طاف كالشمس عليها والهواء

وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ... ظهر الحسنُ عليه والرُّواء

قد كسا الكرنكُ مصرًا ماكسا ... من سَنَى أبْلى الليّالى وسَناء

يُرْسِلُ اللهُ به الرُّسْلَ على ... فترات من ظُهورٍ وخَفاء

كلَّما أدَّى رسولٌ ومضى ... جاء من يُوفِى الرِّسالاتِ الأداء

* * *

سَيِّدَ الفنِّ ، استرح من عالمٍ ... آخرُ العهدِ بنُعْماهُ البَلاء

ربَّما ضِقْتَ فلم تنعم به ... وسَرى الوَحْىُ فنسَّاك الشقاء

لقد استخلفْتَ فنَّا نابغاً ... دَفع الفنُّ إليه باللِّواء

إن فى مُلْكِ فؤادٍ بُلبلاً ... لم يُتحْ أمثالُه للخُلَفاء(١)

ناحلٌ كالكُرَةِ الصغرى سرى ... صوتُهُ فى كُرَةِ الأرضِ الفضاء

يستحى أن يهتفَ الفنُّ به ... وجمالُ العبقريَّاتِ الحيَاء

١ـ يراد بالبلبل هنا : الموسيقار النابغة الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار(*)

رَكَزُوا رُفاتَكَ فى الرِّمال لِواءً ... يَستنهضُ الوادى صباحَ مَساءً(١)

يا وَيْحَهم ! نصبوا مَناراً من دمٍ ... تُوحِى إلى جيل الغدِ البَغْضاءَ(٢)

ما ضرَّ لو جَعلوا العَلاقةَ فى غدٍ ... بين الشعوب مَوَدَّةً وإخاءَ ؟

جُرْحٌ يَصيحُ على المدَى ، وضَحيَّةٌ ... تتلمَّسُ الحريَّةَ الحمراءَ(٣)

يأيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفَلا ... يكسو السيوفَ على الزمانِ مَضاءَ

تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهَنَّدٍ ... أبْلَى فأحسنَ فى العدوِّ بَلاءَ

وقبورُ مَوْتَى من شبابِ أُمَيَّةٍ ... وكهولِهم لم يبْرَحُوا أحياءَ

لو لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِلٌ ... دخلوا على أبراجِها الجوزاءَ(٤)

فتحوا الشَّمالَ : سُهولَهُ وجبالَهُ ... وتوغَّلوا ، فاستعمروا الخضراءَ

وبَنَوْا حضارتَهم ، فطَاوَلَ رُكنُها ... (دَارَ السلامِ) ، و (جِلَّقَ) الشَّمَّاءَ(٥)

* * *

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الاسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من أقطار الاسلام ، ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، واشيع وقتئذ انهم سلكوا فى اعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

١ــ ركز اللواء : غرزه فى الارض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الارض ، ويسمونها الدفائن ، فقوله : « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الاشارة الى ان هذا الرفات من النفائس والذخائر ، التى يضن بها ويحرص عليها ــ٢ــ المنار : موضع النور ، وجعلها منارا من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والازعاج ــ٣ــ الحرية الحمراء : هى المكتسبة بالدم ، اشارة الى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت الا بالدماء ــ٤ــ الجوزاء : نجم معروف فى السماء ــ٥ــ دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ المبيتَ على الطَّوَى   لم تَبْنِ جاهاً ، أو تَلُمَّ ثَراء(١)

إنَّ البطولةَ أن تموتَ من الظَّما   ليس البطولةُ أن تَعُبَّ الماء

إفريقيا مَهْدُ الأُسودِ ولَحْدُها   ضجَّتْ عليكَ أراجلاً ونساء

والمسلمون على اختلافِ ديارِهم   لا يملِكون معَ المُصابِ عَزاء

والجاهليةُ من وَراءِ قُبورِهم   يبكون زَيْدَ الخيل والفَلْحاء(٢)

* * *

فى ذِمَّةِ اللهِ الكريمِ وحفظِه   جَسَدٌ (ببرْقة) وُسِّدَ الصحراء(٣)

لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائِع أعظُماً   تَبْلَى ، ولم تُبْقِ الرِّماحُ دِماء

كَرُفاتِ نَسْرٍ أو بَقِيَّةِ ضَيْغَمٍ   باتا وراءَ السَّافياتِ هَباء(٤)

بطلُ البَداوةِ لم يكن يَغْزو على   «تَنْكٍ» ، ولم يَكُ يركبُ الأَجواء(٥)

لكنْ أخو خَيْلٍ حَمَى صَهَوَاتِها   وأَدَارَ من أعرافِها الهيجاء

* * *

لَبَّى قضاءَ الأَرضِ أمسِ بُمهْجَةٍ   لم تخْشَ إلاَّ للسماءِ قَضاء

وافاهُ مَرْفوعَ الجبينِ كأنه   سُقْراطُ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداء

شَيْخٌ تَمالَكَ سِنَّهُ لم ينفجرْ   كالطفلِ من خوفِ العِقابِ بُكاء

وأخو أمورٍ عاشَ فى سَرَّائها   فتغيَّرَتْ ، فتوقَّع الضَّراء

١ـ اللم : الجمع ـ٢ـ الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، اما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم ـ٣ـ برقة : هى المنطقة الشرقية من ليبيا ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة . وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان . ٤ـ السافيات : الرياح ـ٥ـ تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب .

الأُسْدُ تزأَرُ في الحديدِ ولن ترى ... في السِّجنِ ضِرْغاماً بكى اسْتِخْذاءَ
وأنى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقْلَ حَديدِهِ ... أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقْطاءَ
عَضَّتْ بساقَيْهِ القُيودُ فلم يَنُؤْ ... ومَشَتْ بهَيْكله السِّنون فناءَ
تِسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَناكِبَ شاهقٍ ... لترجَّلَتْ هَضَباتُه إعياءَ(١)
خَفِيَتْ عن القاضى ، وفات نَصِيبُها ... من رِفْقِ جُنْدٍ قادةً نُبَلاءَ
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبٍ مُهَذَّبٍ ... عَرَفَ الجُدودَ ، وأَدرَكَ الآباءَ

* * *

دفعوا إلى الجلَّادِ أَغلَبَ ماجداً ... يأْسُو الجِراحَ ، ويُطلِقُ الأُسَراءَ
ويُشاطرُ الأَقرانَ ذُخْرَ سِلاحِهِ ... ويَصُفُّ حَوْلَ خِوانِهِ الأَعداءَ(٢)
وتخيَّروا الحبلَ المَهينَ مَنيَّةً ... للَّيْثِ يلفِظُ حَوْلَهُ الحَوْباءَ(٣)
حَرموا المماتَ على الصَّوارِمِ والقَنا ... مَنْ كان يُعْطِى الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ
إنى رأيتُ يَدَ الحضارةِ أُولِعَتْ ... بالحقِّ هَدْماً تارةً وبِناءَ
شرَعَتْ حُقوقَ الناسِ فى أَوطانِهم ... إلَّا أُباةَ الضَّيْمِ والضُّعَفاءَ

* * *

يأَيُّها الشعبُ القريبُ ، أَسامعٌ ... فأَصوغَ فى عُمَرَ الشَّهيدِ رِثاءَ ؟
أَم أَلْجَمَتْ فاكَ الخطوبُ وحَرَّمت ... أُذنَيْكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصْغاءَ ؟
ذهب الزعيمُ وأنتَ باقٍ خالدٌ ... فانقُد رِجالَك ، واختَرِ الزُّعَماءَ
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى ... واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباءَ

١ــ الشاهق : الجبل . والتسعون : هى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرثى حين قبضوا عليه ليعدموه ــ٢ــ الخوان : مائدة الطعام .
٣ــ الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلايلى بك(*)

لقد لَبّى زعيمُكُم النِّداءَ ... عَزاءً أهلَ دِمْياطٍ عَزاءَ
وإن كان المُعَزِّى والمُعَزَّى ... وكلُّ الناسِ فى البَلْوَى سَواءَ
فُجِعْنا كلُّنا بعلائِلِىٍّ ... كركنِ النَّجمِ أو أسنى عَلاءَ
أَرَقُّ شبابِ دِمْياطٍ عليها ... وأنشطُهم لحاجتِها قَضاءَ
وخيرُ بيوتِها كرماً وتَقْوَى ... وأصلاً فى السِّيادة وانتهاءَ
فتًى كالرمحِ عاليةً وعُوداً ... وكالصَّمْصام إفْرِنْداً وماءَ(١)
وأعطى المالَ والهِمَمَ العَوَالى ... ولم يُعْطِ الكرامةَ والإباءَ
شبابٌ ضارَعَ الرَّيْحانَ طِيباً ... ونازَعَهُ البَشاشةَ والبَهاءَ
وجُنْدِىٌّ القضيّةِ منذُ قامَتْ ... تعلَّمَ تحتَ رايَتِها اللِّقاءَ
ورُوِّعَ شيخُها العالى بيومٍ ... فكان بمَنْكِبَيْهِ له وِقاءَ(٢)
سعَى لضميرِه ، ولوَجْهِ مصرٍ ... ولم يَتَوَلَّ ينتظر الجزاءَ

* * *

ونَعْشٍ كالغَمامِ يَرِفُّ ظِلاً ... إذا ذهب الزِّحامُ به وجاءَ
ولم تقع العيونُ عليه إلّا ... أثار الحزنَ أو بعثَ البكاءَ

(*) عبدالحليم العلايلى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد ان ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الاحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار اليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

١ـ عالية الرمح : نصفه الاعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وافرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره ـ٢ـ يقصد « بشيخها العالى » : المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجبنا كيف لم يَحْضَرّ عُوداً وقد حمل المرُوءَةَ والرُّفاء
مشتْ دِمْياطُ. فالتفتْ عليهِ تنازعُهُ الذَّخيرة والرجاء

* * *

بَنِى دِمْياطَ ، ما شَىْءٌ بباقٍ سوى الفردِ الذى احتكر البقاء
تعالى اللهُ ، لا يبقَى سِواه إذا وردَتْ بريَّته الفناء
وأنتم أهلُ إيمانٍ وتقوى فهل تلْقَوْنَ بالعَتْبِ القضاء ؟
ملأتم من بيوتِ الله أرضاً ومن داعى البُكورِ لها سماء
لا تستقبلون الفجرَ إلّا على قَدَمِ الصلاةِ إذا أضاء
وترتقبون مَطْلَعَهُ صِغاراً وتَسْتبِقُونَ غُرَّتَهُ نِساء
وكم من مَوْقِفٍ ماضٍ وقفتم فكنتم فيه لِلوطن الفِداء
دفعتم غارةً شعواءَ عنه وذُدْتُمْ عن حواضِره البَلاء

* * *

أخى (عبدَ الحليم) ولسْتُ أدرى أأدعو الصِّهْرَ أم أدعو الإخاء ؟
وكم صَحَّ الودادُ فكان صِهْراً وكان كأقْرَبِ القُرْبَى صَفاء
عجيبٌ تركُكَ الدنيا سقياً وكنتَ النَّحْلَ تملؤها شِفاء(١)
وكنّا حينَ يُعْضِل كلُّ داءٍ نجىءُ إليكَ نجعلك الدواء
مضت بك آلةٌ حَدْباءُ كانت على الزمن المَطِيَّةَ والوِطاء(٢)
وسارَتْ خلْفكَ الأحزابُ صفًّا وسرْتَ ، فكُنْت فى الصفِّ اللِّواء
تولِّفُ بينهم مَيْتاً ، وتبنى كعهدِكَ فى الحياة لهم وَلاء

١ــ يريد تشبيه المساعى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرثى بعسل النحل ــ ٢ ــ الآلة الحدباء : النعش .

حافظ ابراهيم(*)

قد كنتُ أوثرُ أن تقولَ رِثائى ... يا مُنصِفَ الموتى من الأحياء

لكنْ سبقْتَ ، وكلُّ طولِ سلامة ... قدرٌ ، وكلُّ مَنيّةٍ بقضاء

الحقُّ نادَى فاستجبْتَ ، ولم تزلْ ... بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِداء

وأتيْت صحراء الإمامِ تذوب من ... طُولِ الحنينِ لساكن الصحراء(١)

فلقيت فى الدار الإمامَ محمداً ... فى زُمْرَةِ الأبرارِ والحُنفاء(٢)

أثرُ النعيم على كريمِ جبينه ... ومراشدُ التفسيرِ والإفتاء

فشكوتما الشوْقَ القديمَ ، وذُقْتُما ... طِيبَ التدانى بعدَ طولِ تنائى

إنْ كانت الأُولى منازلَ فُرْقةٍ ... فالسمْحَةُ الأُخرى ديارُ لِقاء(٣)

ووددْتُ لو أنى فداكَ من الرَّدَى ... والكاذبون المُرْجِفونَ فِدائى

الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوى ... المُوغِرُو المَوْتَى على الأحياء

من كلِّ هَدّامٍ ويَبنى مجدَه ... بكرائم الأنقاضِ والأشلاء

ما حَطَّموكَ ، وإنما بكَ حُطِّموا ... من ذا يُحطِّم رَفْرَفَ الجوزاء ؟(٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ ابراهيم بك ، شاعر سباق معدود فى الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة ، التى ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

١ — صحراء الامام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه — رضى الله عنه — فى نطاقها —٢— الامام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه —٣— الأولى : الحياة الدنيا —٤— الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف فى السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن اسنى مواضع الشرف والسمو .

أنظره ، فأنت كأمسِ شأنُك باذخٌ في الشرقِ ، واسمُكَ أرفعُ الأسماء
بالأمسِ قد حَلَّيْتَني بقصيدةٍ غراءَ تحفظُ كاليدِ البيضاء(١)
غِيظَ الحسُودُ لها وقمتُ بشكرها وكما علمتَ مَوَدَّتي ووفائي
في مَحفلٍ بَشَّرْتُ آمالي به لما رَفعتَ إلى السماءِ لِوَائي
يا مانِحَ السُّودانِ شرْخ شبابِه ووَلِيَّهُ في السِّلمِ والهيْجاء
لما نزلْتَ على خمائلِه ثوَى نبْعُ البيانِ وراءَ نَبْعِ الماءِ
قلَّدْتَهُ السيفَ الحُسامَ ، وزدْتَهُ قلماً كصدرِ الصَّعْدةِ السمراء(٢)
قلم جرى الحِقبَ الطِّوالَ فما جرى يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاء(٣)
يكسو بِمدْحَتِه الكِرامَ جلالةً ويُشَيِّعُ الموْتى بحسنِ ثَناء

* * *

إسْكَنْدَرِيَّةُ يا عروسَ الماءِ وخميلةَ الحكماءِ والشعراء(٤)
نشأتْ بشاطِئِكِ الفنونُ جميلةً وتَرعرعَتْ بسمائِكِ الزهراءِ
جاءتْكِ كالطيرِ الكريمِ غرائباً فجمعتِها كالرَّبْوَةِ الغنَّاء
قد جمَّلوكِ ، فصِرْتِ زِنبَقَةَ الثرَى للوافدين ودُرَّةَ الدَّأْماء

١ــ يريد القصيدة التى انشأها المرحوم حافظ وأنشدها فى المهرجان العظيم الذى أقيم فى القاهرة ، وقد حضرت اليه وفود الاقطار العربية ، وظل سبعة ايام تكريما لمبايعة امير الشعراء شوقى بامارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

أمير القوافى ، قد اتيت مبايعا وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

٢ــ الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا ــ٣ــ الحقب : جمع حقبة ــ بكسر الحاء ــ وهى المدة من الزمن أو السنة ــ٤ــ نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الاسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لاقامته فيها وقتئذ .

غرَسُوا رُباكِ على خمائلِ بابلٍ ... وبَنَوْا قصورَكِ فى سَنا الحمراءِ(١)

واستحدثوا طُرُقاً مُنوَّرة الهدى ... كسبيلِ عيسى فى فِجاجِ الماءِ(٢)

فخُذى كأسٍ من الثقافة زينةً ... وتجمَّلِي بشبابكِ النُّجَباءِ

وتقلَّدى لغةَ الكتابِ ، فإنَّها ... حَجَرُ البناءِ ، وعُدَّةُ الإنشاءِ

بَنَتِ الحضارةَ مَرَّتينِ ، ومهَّدتْ ... للمُلكِ فى بغدادَ والفَيْحاءِ

وسَمَتْ بقرطبةٍ ومصرَ ، فحلَّتا ... بين الممالكِ ذِرْوَةَ العَلياءِ(٣)

ماذا حشدتِ مِن الدموعِ « لحافظٍ » ... وذخرْتِ من حزنٍ له وبُكاءِ ؟

ووجدْتِ مِن وقعِ البلاءِ بفقدهِ ... إن البلاءَ مَصارِعُ العظماءِ

اللهُ يشهدُ قد وَفيْتِ سخيَّةً ... بالدَّمعِ غيرَ بَخيلةِ الخطباءِ

وأخذتِ قِسطاً من مَناحةِ ماجدٍ ... جَمِّ المآثِرِ ، طيِّبِ الأنباءِ

هَتفَ الرُّواةُ الحاضرون بشعره ... وحدا به البادون فى البَيْداءِ(٤)

لبنانُ يَبكيه ، وتبكى الضادُ من ... حَلبٍ إلى الفيْحاءِ إلى صَنْعاءِ

عربُ الوَفاءِ وَفوْا بذمَّةِ شاعرٍ ... بانى الصفوفِ ، مُؤلفِ الأَجزاءِ

ياحافظَ الفصحى ، وحارسَ مَجْدِها ... وإمامَ مَنْ نجلتْ من البُلغاءِ(٥)

ما زِلْتَ تهتفُ بالقديمِ وفضلهِ ... حتى حَمَيْت أَمانةَ القُدماءِ

جدَّدتَ أُسلوبَ (الوليدِ) ولفظَه ... وأَتيْتَ للدّنيا بسحرِ (الطائى)(٦)

---

١ — بابل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب اليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور فى الاندلس —٢— الفجاج — بكسر الفاء : جمع فج — بفتحها — الطريق الواسع بين الجبلين —٣— قرطبة : احدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق ، كلتاهما منبع العلوم والفنون فى ازهر عصور الاسلام —٤— البادون : السائرون فى البادية ٥— نجلت : أى ولدت —٦— الوليد : هو ابو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريْتَ فى طلبِ الجديدِ إلى المدى | حتى اقترنْتَ بصاحب البُؤساء(١)
ماذا وراءَ الموت من سَلْوَى ، ومن | دَعَةٍ ، ومن كَرَمٍ ، ومن إغضاء ؟
اشرحْ حقائقَ ما رأيْت ، ولم تزل | أهلاً لِشرْح حقائِقِ الأشياء
رُتبُ الشجاعةِ فى الرِّجالِ جلائلٌ | وأَجَلُّهُنَّ شجاعةُ الآراء
كم ضِقتَ ذَرْعاً بالحياة وكيْدِها | وهتفت بالشكوى من الضَّراء
فهلُمَّ فارِقْ يأْسَ نفسِك ساعةً | واطلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاء
وأشرْ إلى الدنيا بوجه ضاحك | خُلِقتْ أَسِرَّتُهُ من السَّراء
يا طالما مَلأَ النَّدِىَّ بشاشةً | وهدى إليك حوائجَ الفقراء
اليومَ هادنَتِ الحوادِثَ ، فاطَّرِحْ | عِبْءَ السنين ، وألْقِ عِبْءَ الداء
خلَّفْت فى الدنيا بياناً خالداً | وتركْت أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمانُ ، ولم يزلْ | للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاء

---

١ ــ البؤساء : كتـاب لفكتور هوجو ، عربه الفقيد .

محمد تيمور(*)

ضربوا القبابَ على اليَبابِ وثوَوْا إلى يوم الحسابِ(١)
هَمَدوا ، وكلُّ مُحرِّكٍ يوماً سيسكنُ فى التراب
نزلوا على ذِئبِ البلَى فتضيَّفوا شرَّ الذئاب
وكأنَّهم صَرْعَى كرَى بالقاع أو صَرْعَى شراب
فإذا صَحَوْا وتنبّهوا فاللهُ أعلمُ بالمآب

* * *

من كلِّ مُنْفضِّ الوفو دِ هناك مهجورِ الجَنابِ
مَوْرُوثٍ كلّ مَضِنَّةٍ إلا الذَّخيرة مِن ثواب(٢)

* * *

يا نائحاتِ محمدٍ نُخْتَنْهُ غضُّ الإهاب
فى مَأْتمٍ لم تخلُ فيـــه المكرماتُ مِن انتحاب
تبكى الكريمَ على العشـــيرة ، والحبيبَ إلى الصحاب
حَسْبُ الحِمامِ دُموعُكُـــنَّ المُسْتهِلَّةُ مِن عِتاب(٣)
فارْجِعْنَ فيه لحكمةٍ أو جِئْنَ فيه إلى احْتِساب
فى العالَم الفانى مَصـــيرُ العالمين إلى ذهاب
مَنْ سارَ لمْ يَثْنِ العِنا نَ ، ومَنْ أقام إلى اقتراب

* * *

(*) محمد تيمور : اديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعيه ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١ .

١ـ القباب : جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنـا : هو الكناية عن المقبرة ـ٢ـ المضنة : هى الشىء النفيس يكون موضــعا للضن به

٣ ـ الحمام ـ بكسر الحاء ـ : الموت .

يا وارثَ الحَسَبِ الصميـ م ، وكاسبَ الأَدبِ اللُّباب

وابنَ الذى علم الرجا لُ حياءه من كل عاب(١)

وكأنه فى كُتْبِهِ عثمانُ فى ظل الكِتاب(٢)

ماذا نقمْتَ مِن الشبا بِ ، وأنت فى نِعَم الشباب ؟

مُتحلياً هِبَة النبو عِ ، مُطوَّق المِنح الرِّغاب ؟

ولِم الترحُّلُ عن حيا ةٍ أَنت منها فى رِكاب ؟

لم تعْدُ شاطِئَها ، ولم تبلغْ إلى ثَبَجِ العُباب ؟(٣)

* * *

رِفقاً على محزونة الـ أبياتِ ، مُوحِشةِ الحِجاب(٤)

فقدَتْك فى العمر الطريـ رِ ، وفى زها الدنيا الكعاب(٥)

تبكى ، وتندُب إلْفها بين الأفانين الرطاب

وانظر أباك وثُكْلَه ورُزوحَه تحت المصاب

لو كان يملك سِر يُو شعَ ردّ شمْسَك من غِياب(٦)

* * *

١ـ وابن الذى .. الخ : هو المرحوم احمد باشا تيمور ، كان عالما بحاثا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء اثمن الكتب ـ٢ـ يشبه والد الفقيد ، في اقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده ـ٣ـ العباب : البحر . وثبجه : وسطه ـ٤ـ موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة ، يقول : ان خدرها أقفر من الانس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبه ـ٥ـ العمر الطرير : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها ـ٦ـ يوشع ـ كما فى التوراة ـ : هو يوشع بن نون ، اصطفاه الله وارسله لبنى اسرائيل بعد موسى ، وامره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل الى الله ان تقف الشمس حتى ينتقم من اعدائه ، فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

أعلِمْت غيرَك منْ جَلا التمثيلَ فى جُدُدِ الثيابِ
وكسا غرائبَ جِدِّهِ حُلَلاً مِن الهزل العُجاب
مُتميزاً حينَ التميُّـزُ ليس من أَرَبِ الشباب
أُفُقُ العُلا كنتَ الشهابَ عليه ؛ لا ذَنَبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاق ذَرْعُك فيه بالحُسَّدِ الغِضاب
سَغْهم فأنت جمعتَهم الشهدُ مائدةُ الذُّباب
خُذْ منهُمُ نقْدَ العَفافِ ، ودَع لهم نقْدَ السباب
دونَ النُّبوغِ وأوْجِهِ ما لا تعُدُّ من الصعاب
فإذا بلغت الأَوْجَ كُنْتَ الشمس تهزأُ بالضَّباب(١)

* * *

لا تبعدنّ ؛ فهــذه آمالُ قومِك فى اقتراب
أُشرُفْ بروحك فوقَهم ملكاً يُرَفْرِف فى السحاب
وانظر بعينٍ نُزِّهَتْ عن زُخْرُفِ الدنيا الكِذاب
ترَ مِنْ لِدَاتِك أُمّةً كسَتِ الديارَ جَلالَ غاب(٢)
أُسُدٌ تجول بغير ظُفْرٍ ، أو تصول بغير ناب
جعلوا الثباتَ سِلاحَهم نِعْمَ السلاحُ مع الصواب(٣)
أمّا الأُمورُ فإنها بلغتْ إلى فصْلِ الخِطاب
فإذا ملكْت توَجُّهاً لله فى قُدس الرحاب
سَلْ فاتحَ الأَبوابِ يفْتح للكِنانةِ خيرَ باب

---

١ ــ الأوج : العلو ــ٢ــ لدات الانسان : المقاربون له فى السن . والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الآساد ــ٣ــ يصف شباب الامة المصرية فى ثورة سنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف(*)

سماؤكِ يا دنيا خِداعُ سَرابِ ... وأرضُكِ عُمْرانٌ وَشِيكُ خراب(١)

وما أنتِ إلاّ جِيفةٌ طالَ حوْلها ... قيامُ ضِباعٍ، أو قُعودُ ذِئاب

وكم ألجأ الجوعُ الأسودَ فأقبلَتْ ... عليك بظُفْرٍ لم يَعِفّ وناب

قَعَدْتِ من الأظعان فى مَقْطع السُّرَى ... ومَرُّوا رِكاباً فى غُبارِ رِكاب

وجُدْتِ عليهم فى الوَداعِ بساخرٍ ... من اللَّحْظِ عن مَيْتِ الأحِبّةِ نابى(٢)

أقاموا، فلم يؤنِسْكِ حاضرُ صحبةٍ ... ومالوا فلم تستوحشى لغِياب

تسُوقِينَ للموتِ البَنينَ كقائدٍ ... يرى الجيشَ خلْقاً هَيناً كذُباب

رأى الحربَ سُلطاناً له وسلامةً ... وإن آذنتْ أجنادَه بتباب(٣)

ولولا غرورٌ فى لُبانكِ لم يجد ... بَنوكِ مَذاق الضُّرِّ شهدَ رُضاب(٤)

ولا كنتِ للأعمى مَشاهِدَ فتنةٍ ... وللمُقْعَدِ العانى مَجالَ وثاب(٥)

ولا ضلّ رأىُ الناشئِ الغِرِّ فى الصِّبا ... ولا كَرَّ بعدَ الفُرصةِ المتصابى

ولا حسبَ الحفّارُ للموتِ بعدَما ... بَنى بيديه القبرَ ألف حِساب

يقولون: يَرثِى كلَّ خِلٍّ وصاحبٍ ... أجَلْ، إنما أقضى حقوقَ صِحابى

(*) هو الدكتور يعقوب صروف، احد صاحبى مجلة المقتطف وجريدة المقطم، كان متبتلا للعلم، معدودا فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار اليهم بالبنان، توفى سنة ١٩٢٨.

١ـ السراب: هو ما يرى فى وسط النهار كأنه الماء. ووشيك: سريع ـ٢ـ النابى: المتجافى المتباعد ـ٣ـ يقال: آذنته بكذا، أى أنذرته. والتباب: الهلاك ـ٤ـ اللبان ـ بتشديد اللام مضمومة ـ: جمع لبانة، وهى الحاجة يطلبها الانسان من غير احتياج اليها، بل بدافع من علو الهمة والرغبة. الرضاب: هو ريق الانسان مادام فى فمه ـ٥ـ العانى: المقيد، وهنا سمى الأسير بالعانى، لأن من شأنه أن يقيد.

جَزيْتُهُمُ دمعى ، فلما جرى المدَى ... جعلتُ عيونَ الشعرِ حُسْنَ ثوابى

كفى بذُرَى الأعوادِ منبرَ واعظٍ ... وبالمستقلِّيها لسانَ صَواب(١)

دعوتُك يا يعقوبُ من منزلِ البِلَى ... ولولا المنايا ما تركْتَ جوابى

أُذكِّرك الدنيا ، وكيف ولم يَزلْ ... لها أثرًا شَهدٍ بفيك وصاب ؟(٢)

حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً ... وسُقنا كتابَ الحمدِ تِلْوَ كتاب(٣)

وما انفكَّتِ الدنيا وإنْ قلّ لُبثُها ... لسانَ ثوابٍ ، أو لسانَ عِقاب

ألا فى سبيلِ العلمِ خمسون حِجَّةً ... مَضتْ بين تعليمٍ وبين طِلاب

قطعتَ طوالَى ليلِها ونهارِها ... بآمال نفسٍ فى الكمالِ رِغاب

رأى اللهُ أن تُلقى إليك صحيفةٌ ... فنزّهْتها عن هَوشةٍ وكِذاب(٤)

ولم تتّخذْها آلةَ الحقدِ والهوى ... ولا منتدَى لغوٍ وسوقَ سِباب

مَشيْنا بنُورَىْ علمِها وبيانِها ... فلم نسْرِ إلاّ فى شُعاعِ شِهاب

وعشنا بها جيليْن قمتَ عليهما ... معلِّمَ نشْءٍ ، أو إمامَ شباب

رسائلُ من عَفْوِ الكلامِ كأنها ... حواشى عُيونٍ فى الطُّروسِ عِذاب(٥)

هى المحْضُ ، لا يَشْقى به ابنُ تميمَة ... غِذاءً ، ولا يشقى به ابنُ خِضاب(٦)

١ـ بالمستقليها : اى براكبيها ـ٢ـ الشهد : عسل النحل . والصاب : المر ـ٣ـ اشارة الى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلتــه المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه اكاليل الظافرين ـ٤ـ هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق امجد صحيفة علمية ادبية فى الشرق العربى كله ، وكان الفقيد مختصا بتحريرها ـ٥ـ قوله «كأنها حواشى عيون .. الخ» العيون : هى عيون الماء ، ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التى تنبت حواليها ـ٦ـ المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب : يقصد بالاول اليفع الناشىء ، وبالثانى الشائب الذى يخضب شعره .

سُهولٌ من الفُصحى وقفْتَ بها الهوى ... على ما لديها من رُبًى وهِضاب

وماضِعتَ بين الشرقِ والغربِ مِشيةً ... كما قيل فى الأمثال : حَجْلُ غراب

فلم أرَ أنقى منك سُمعةَ ناقلٍ ... إذا وَسَم النقلُ الرجالَ بعاب

وكم أخذ القولَ السَّرِىَّ مُعرِّبٌ ... فما ردَّه لاسمٍ ، ولا لنِصاب

وفدْتَ على الفُصحى بخيراتِ غيرها ... فواللهِ ما ضاقت مناكِبَ باب

وقِدْماً أدنتْ (يونانُ) منها و (فارسٌ) ... و (روما) فحلُّوا فى فسيحِ رحاب

تبتَّلْتَ للعلم الشريفِ كأنَّه ... حقيقةُ توحيدٍ وأنت صَحابى

وجشَّمت مَيدان السياسةِ (فارساً) ... وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى(١)

وكنا و (نمرٌ) فى شِغابٍ ، فلم يَزلْ ... بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب

رأى الثورة الكبرى ، فسلَّ يَراعَه ... لتحطيمِ أغلالٍ وفكِّ رِقاب(٢)

وما الشرقُ إلَّا أسرةٌ أو عشيرةٌ ... تلمُّ بنيها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخِ الشيوخِ ورحمةٌ ... تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سَحاب

ورفَّافُ رَيْحانٍ يروحُ ويَغتدى ... على طيِّباتٍ فى الخِلال رِطاب

وذِكرى وإن لم ننْسَ عهدك ساعةً ... وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب

وويحَ السَّوافى هل عَرضْنَ على البِلَى ... جَبينَك ، أم سترْنهُ بحِجاب ؟(٣)

١ــ المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة، كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد فى السياسة كابى ، اشارة رقيقة الى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة » .

٢ ــ يريد ان الدكتور نمر لم يشاغب حبا فى المشاغبة ، ولكنه كان متاثرا بفكرة عامة ــ٣ــ السوافى : الرياح .

وهل صُنَّ ماءٌ كان فيه كأنه حياءُ بَتولٍ في الصلاة كَعاب(١)
ويا لحياةٍ لم تدَعْ غيرَ سائلٍ أكانت حياةً ، أم خليَّةَ داب ؟(٢)
وأين يدٌ كانتْ وكان بنانُها يَراعةَ وَشْيٍ ، أو يَراعةَ غاب ؟
ولَهْفي على الأخلاقِ في رُكْنِ هَيْكلٍ ببطن الثرى رَثٍّ المعالم خابي

* * *

نعيش ونمضي في عذابٍ كلذَّة من العيش ، أو في لذَّة كعذاب
ذهبنا من الأحلام في كلّ مذهبٍ فلما انتهينا فُسِّرَتْ بذهاب
وكلٌّ أخي عيشٍ وإن طال عيشُهُ تُرابٌ لعَمْرُ الموتِ وابنُ تُراب

---

١ ـ البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا الى الله تعالى .
٢ ـ الداب : بمعنى الداب .

حسين شيرين بك (*)

أرأيت زينَ العابدينَ مُجَهَّزاً ... نقلوه نقلَ الوَرْدِ من محرابِه(١)

من دار توْأمِهِ وصِنْوِ حياتِه ... والأَوَّلِ المألوفِ من أترابه(٢)

ساروا به من باطلِ الدنيا إلى ... بُحْبوحَةِ الحقِّ المبينِ وغابِه(٣)

ومضَوْا به لسبيل آدمَ قَبله ... ومَصايرِ الأَقوامِ من أعقابه

تحنو السماءُ على زَكِيٍّ سَريرِه ... ويَمَسُّ جِيدَ الأَرضِ طِيبُ رِكابه

وتَطيب هامُ الحاملين وراحُهم ... من طِيب مَحْمِلِه، وطِيبِ ثيابه

وكأَنَّ مصرَ بجانِبَيْهِ رَبْوَةٌ ... آذارُ آذنها بوَشْكِ ذَهابه

ويكاد من طربٍ لعادته الندى ... يَنْسَلُّ للفقراء من أثوابه(٤)

الطيِّبُ ابنُ الطيِّبين ، وربَّما ... نضح الفتى فأَبان عن أحسابه

والمؤمنُ المعصومُ فى أخلاقه ... من كل شائنةٍ ، وفى آدابه

أبدًا يراه اللهُ فى غَلَسِ الدُّجَى ... من صَحْنِ مَسجده ، وحول كِتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من امثلة مكارم الاخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفى فى سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه اسماعيل بك شيرين .

١ــ اراد تشبيهه بعلى زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنهما ، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط الا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه « نعم »

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر .

٢ــ الصنو : الأخ الشقيق . والتوام : المولود مع غيره فى بطن ، وهذه حال الفقيد مع اخيه . والاتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه ــ٣ــ بحبوحة المكان : وسطه ــ٤ــ الندى : الكرم .

ويرى اليتامى لائذين بظلِّه ويرى الأَراملَ يَعتصِمْنَ ببابه
ويراه قد أدّى الحقوقَ جميعَها لم يَنْسَ منها غيرَ حقِّ شبابه
أدّى من المعروف حِصَّةَ أَهْلِه وقضى من الأَحساب حقَّ صِحابه (١)

* * *

(مهويش) ، أين أبوكِ؟ هل ذهبوا به لِمَ لمْ يَعد ؟ أيَّانَ يومُ إيابه ؟ (٢)
قد وكَّل اللهُ الكريمَ وعَيْنَه بكِ ، فاحسبيه على كريم رِحابه
ودَعِى البُكا ، يكفيه ما حَمَّلْتِه من دمعكِ الشاكى ، ومن تَسْكابه
ولقد شرِبْتِ بحادث يا طالما شربَتْ بناتُ العالمين بِصَابه
كلُّ امرئٍ غادٍ على عُوّاده وسؤالهم : ما حالُه ؟ ماذا به ؟
والمرءُ فى طلب الحياةِ طويلةً وخُطى المنيَّةِ من وراءِ طِلابه ؟
فى بِرِّ (عَمِّكِ) ما يقوم مكانَه فى عَطْفه ، وحنانِه ، ودِعابه

* * *

(إسكندريةُ) ، كيف صَبْرُكِ عن فتًى الصبرُ لم يُخلق لمثل مُصابه (٣)
عَطِلَتْ سماؤكِ من بَريق سَحابِها وخَبا فَضاؤكِ من شُعاع شِهابه
زَيْنُ الشبابِ قَضَى ، ولم تتزوَّدِى منه ، ولم تتمتَّعى بقَرابه
قد نابَ عنكِ ، فكان أَصدقَ نائبٍ والشعْبُ يَهْوَى الصِّدق فى نُوّابه
أعلمتِه اتَّخذ الأَمانةَ مَرَّةً سبَباً يُبلِّغه إلى آرابه ؟
لو عاش كان مؤمَّلاً لمواقفٍ يرجو لها الوادى كِرامَ شبابه

١ـ المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .
٢ـ مهويش : اسم تركى ، وهو علم على ابنة الفقيد .
٣ـ كان الفقيد من الاسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

يجلو على الألبابِ هِمّةَ فِكْرِهِ ويناوِلُ الأسماعَ سِحرَ خِطابه
ويَفِى كدَيْدَنِهِ بحقٍّ بلادِهِ ويَفِى بعهد المسلمين كَدابه(١)

* * *

تَفْواكَ (إسماعيلُ) ؛ كلُّ عَلاقةٍ سَبَبُتُها الدهرُ .العَضوضُ بنابه(٢)
إنَّ الذى ذُقتَ العَشِيَّةَ فَقْدَه بتٌّ اللياليَ مُوجَعاً لعذابه
فارقتَ صِنْوَكَ مَرّتَيْنِ ، فَلاقِهِ فى عالَم الذكرى وبينَ شِعابه(٣)
من عادة الذكرى تَرُدُّ من النوى مَن لا يَدَيْنِ لنا بِطَىٍّ غِيابه
حُلمٌ كأحلام الكَرَى وسِناتِه مُسْتَعْذَبٌ فى صدقه وكِذابه
اسكُبْ دُموعَكَ لا أقول : اسْتَبْقِها فأخو الهوى يَبكى على أحبابه .

---

١ ــ الديدن : العادة ــ٢ــ اسماعيل بك شيرين شقيق المرثى .
٣ ــ يشير هذا البيت الى ان الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى .

محمد عبد المطلب(*)

قام من عِلّته الشاكى الوَصِبْ　　وتلقّى راحةَ الدّهرِ التّعِبْ(١)

أيُّها النفسُ ، اصبرى واسترجعى　　هتفَ الناعى بعبد المُطّلِب(٢)

نزل التُّرْبَ على مَن قبلَه　　كلُّ حىٍّ مُنتهاه فى التُّرُب

ذهب اللَّيِّنُ فى إرشادِه　　كالأَبِ المُشْفِقِ والحَدِّ الحَدِب

القريبُ العَتْبِ مِنْ مَعْنَى الرِّضا　　والقريبُ الجِدِّ من معنى اللَّعِب

والأَخُ الصادقُ فى الوُدِّ إذا　　ظَهرَ الإخوانُ بالوُدِّ الكَذِب

خاشعٌ فى درسه ، مُحْتَشِمٌ　　فَكِهٌ فى مجلس الصَّفْوِ طَرِب

قلّد الأَوطانَ نَشْأً صالحاً　　وشباباً أهلَ دين وحَسَب

ربّما صالتْ بهم فى غدِها　　صَولةَ الدولةِ بالجيش اللَّجِب(٣)

جعلوا الأقلامَ أرماحَهُمُ　　وأقاموها مقاماتِ القُضُب

لا يميلون إلى البَغْيِ بها　　كيف يَبغِى مَن إلى العلم انتسب ؟

شاعِرَ البَدْوِ ، ومنهم جاءنا　　كلُّ معنًى رقَّ ، أو لَفْظٍ عَذُب

قد جرت أَلسُنُهُم صافيةً　　جرَيانَ الماء فى أصل العُشُب

سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبعِ ، ومن　　كُلْفَةِ الأَقلام ، أو حَشْوِ الكُتُب(٤)

(*) هو الاستاذ محمد عبدالمطلب استاذ الادب فى مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثرا فى نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفى سنة ١٩٣١ ، واقيمت له حفلة تأبين القيت فيها هذه القصيدة .

١ــ يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة ــ٢ــ الاسترجاع : هو قول : (انا لله وانا اليه راجعون) ــ٣ــ الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة ــ٤ــ العنت : المشقة .

قد نزلْتَ اليومَ فى باديةٍ عَمرتفيها (امْرَأَ القيس)الحِقَب(١)
ومشى (المجنونُ) فيها سالياً نَفَضَ اللَّوْعةَ عنه والوَصَب(٢)
أعِرِ الناسَ لساناً ينظموا لك فيه الشعرَ أو يُنْشُوا الخُطَب
قُمْ صِف الخُلْدَ لنا فى مُلْكِه من جلال الخُلْقِ، والصُّنْعِ العَجَب
وثمارٍ فى يواقيتِ الرُّبَى وسُلافٍ فى أباريق الذهب(٣)
وانثر الشعرَ على الأبرار فى قُدُس الساحِ وعُلوِىٍّ الرحب
واستعِر (رضوانَ) عُودَىْ قَصَبٍ وتَرنَّمْ بالقوافى فى القَصَب(٤)
واسْقِ بالمعنى إلٰهيًّا، كما تتَساقَوْنَ الرَّحِيقَ المنسكِب
كلّما سبَّحْتَ للعرشِ به رَفعَ الرحْمٰنُ والرُّسلُ الحُجُب
قُمْ تأمَّلْ؛ هذه الدارُ وفَى لكَ من طُلَّابها الجمعُ الأَرِب(٥)
وفَتِ الدارُ لبانى رُكْنِها وقضى الحقَّ بنو الدارِ النُّجُب(٦)
طلبوا العلمَ على شَيخِهِمُ زمناً، ثم إذا الشيخُ طُلِب
غابَ عن أعينهم، لكنّه ماثلٌ فى كلِّ قلبٍ، لم يَغِب
صورةٌ مُحْسِنَةٌ ما تختفى ومثالٌ طيبٌ ما يحتجب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضى يُنصِفُ الأُخرى ويقضى ما وَجب
عاش عَيْشَ الناسِ فى دنياهُمُ وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدرسَ الذى لُقِّنَهُ عُجَمُ الناسِ قديماً والعرب

١ـ امرؤ القيس : الشاعر الجاهلى المعروف ـ٢ـ المجنون : مجنون ليلى ، من شعراء البادية كامرىء القيس ـ٣ـ يواقيت الربى : الأكمام المتفتحة بالورد والثمار التى تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر . ٤ـ رضوان : هو الملك القائم على الجنة . والقصب : المزمار او الناى الذى يترنم به ـ٥ـ الجمع الارب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء . ٦ـ النجب : جمع نجيب .

يرثى جدته (*)

خُلِقْنا للحياةِ وللمماتِ … ومن هذين كلُّ الحادثاتِ

ومَنْ يولَدْ يَعش ويَمُتْ كأن لَّمْ … يَمُرّ خيالُهُ بالكائنات

ومَهْدُ المرء فى أيدى الرَّواقى … كنعش المرء بينَ النائحات(١)

وما سَلِمَ الوليدُ من اشْتكاء … فهل يخلو المعمَّرُ من أذاة ؟ (٢)

هىَ الدنيا ، قتالٌ نحن فيه … مقاصدُ للحُسام وللقَناة

وكلُّ الناسِ مدفوعٌ إليه … كما دُفِعَ الجبانُ إلى الثبات

نُرَوَّعُ ما نُرَوَّعُ ، ثم نُرمَى … بسهمٍ من يدِ المقدورِ آتى

صلاةُ اللهِ يا (تمزارُ) تجزِى … ثَراكِ عن التِّلاوةِ والصَّلاة

وعن تسعين عاماً كنتِ فيها … مثالَ المحسناتِ الفُضْلَيات

بَرَزْتِ المؤمناتِ ، فقال كلٌّ : … لعلكِ أنتِ أمُّ المومنات

وكانت فى الفضائل باقياتٌ … وأنتِ اليومَ كلُّ الباقيات

تَبنَّاكِ الملوكُ ، وكنتِ منهم … بمنزلة البنين أو البنات

يُظِلُّون المناقبَ منكِ شتَّى … ويُؤوُونَ التُّقَى والصالحات

وما ملكوكِ فى (سوفٍ) ، ولكنْ … لدى ظلِّ القَنا والمرهَفات

(*) جدته هى المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتمكان ابراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجـــدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

١ــ المهد : الموضع يهيأ للطفل . والرواقى : جمع راقية ، والراقيـــة عند العرب هى الأم أو نحوها ، تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظا له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

٢ــ المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الابيات الثلاثة ، ان الدنيا لا ثبات لها ؛ فالانسان كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر فى لقاء الاقدار سواء ، فلا شىء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنَنْتِ لهم (بمُورَةَ) بنتَ عشرٍ وسيفُ الموتِ فى هام الكُمَاةِ(١)

فكنتِ لهم وللرّحمٰن صيداً وواسطةً لعِقْدِ المسلمات

تَبِعْتِ محمداً من بعد عيسى لخيركِ فى سنيكِ الأُولَيَات

فكان الوالدان هدًى وتقْوَى وكان الوِلْدُ هذى المعجزات

ولو لم تَظْهرى فى العُرْبِ إلّا بأحمدَ كنتِ خيرَ الوالدات(٢)

تجاوزتِ الولائدَ فاخراتٍ إلى فخر القبائل واللغات

وأحكم مَنْ تَحكَّمَ فى يَراعٍ وأبلغِ مَنْ تَبلَّغَ مِن دَواة

وأبرإ مَنْ تبرَّأ من عداءٍ وأنزهِ مَنْ تنزَّه مِن شَمات

وأصْوَنِ صائنٍ لأخيه عِرْضاً وأحفظِ حافظٍ عهدَ اللِّدات

وأقتلِ قاتلٍ للدهرِ خُبْرًا وأصْبَرِ صابرٍ للغاشيات

كأنّى والزمانُ على قتالٍ مُساجلةً بميدان الحياة(٣)

أخاف إذا تثاقلَت الليالى وأُشْفِق من خُفوف النائبات

وليس بنافعى حَذَرى ، ولكنْ إباءٌ أن أراها باغِتات

أمأمونٌ من الفَلَكِ العوادى و (برجَلُهُ) يَخُطُّ الدائرات ؟

١ـ عننت لهم .. الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » اذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الاول لجدته . والكماة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال ان جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : انها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها ، حيث أكرمها الله ، فنشأت مسلمة ، ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم ــ٢ــ احمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء ، يقول لجدته فى هذا البيت : اذا لم يكن لك نسب فى العرب الا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبى الذى يخاطب به امه فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد لكان اباك الضخم كونك لى أما

٣ـ المساجلة فى القتال هى من قولهم : « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك » .

تأمّلْ : هل ترى إلّا شِباكاً ... من الأيّام حَوْلَك مُلْقَيات ؟
ولو أن الجهاتِ خُلقن سبعاً ... لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لَعاً للنعش ، لا حُبًّا ، ولكنْ ... لأَجْلِكِ يا سماء المَكْرُمات(١)
ولا خانته أيدى حامِلِيه ... وإن ساروا بصبرى والأَناة
فلم أرَ قبله المريخَ مُلْقًى ... ولم أسمع بدفن النيِّرات
هناكَ وَقفْتُ أسأَلُكِ إتّئادًا ... وأُمسِكُ بالصفات وبالصَّفاة (٢)
وأنظرُ فى تُرابكِ ، ثم أُغضِى ... كما يُغضِى الأَبِىُّ على القَذاة
وأذكر من حياتكِ ما تقضَّى ... فكان من الغداة إلى الغداة

١ــ لعا : كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول « لعا له » اذا أردت سلامته و « لا لعا له » اذا اردت غير ذلك ــ٢ــ الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبده (*)

مُفسِّرَ آى الله بالأمس بيننا   قُم اليومَ فسِّرْ للورى آيةَ الموتِ

رُحِمْتَ ، مَصيرُ العالمين كما ترى   وكلٌّ هناءٍ أو عزاءٍ إلى فَوْت

هو الدهرُ : ميلادٌ ، فشغلٌ ، فمأْتمٌ

فذِكرٌ كما أبقى الصَّدَى ذاهبَ الصَّوت(١)

(*) هو الاستاذ الامام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .

١ــ يقول : ان الانسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على الصوت شبيها بصوته ، ويقال له الرجع ايضا .

رياض باشا(*)

مَماتٌ فى المواكب ، أم حياةُ ... ونعشٌ فى المناكب ، أم عِظاتُ ؟
ويَوْمُكَ فى البريَّةِ ، أم قيامٌ ... وموكِبُكَ الأَدلَّةُ والشِّيات ؟(١)
وخطْبُكَ يا (رياضُ) ، أم الدواهى ... على أنواعها والنّازلات ؟
يجِلُّ الخَطبُ فى رجلٍ جليلٍ ... وتكبرُ فى الكبيرِ النائبات
وليس الميْتُ تَبكيه بلادٌ ... كمن تَبكى عليه النائحات

* * *

وهل تَلْقَى منداياها الرواسى ... فتَهْوِى ، ثُمَّ تُضْمِرها فَلاة ؟(٢)
وتُكْسَرُ فى مراكزها العَوالى ... وتُدْفَنُ فى التراب المُرْهَفات ؟(٣)
ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهْراً ... وكانت لا تَقرُّ بها الحَصاة ؟
ويَرْمِى الدهرُ (نادِىَ عينِ شمسٍ) ... ولا يَحْمِى لِواءَهُم الرُّماة ؟(٤)
أَجَلْ ؛ حُمِلَتْ على النعشِ المعالى ... ووُسِّدَتِ الترابَ المَكْرُمات
وحُمِّلَتِ المدافعُ ركنَ سلمٍ ... يُشيِّعه الفوارسُ والمُشاة
وحَلَّ المجدُ حُفْرتَه ، وأمسَى ... يُطِيف به النوائحُ والبُكاة

* * *

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديو اسماعيل الى أواخر حكم عباس الثانى تقريبا ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

١ـ الشيات : جمع شية ، وهى العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته باشراط وعلامات القيامة ـ٢ـ الفلاة : الصحراء . ـ العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف ـ٤ـ نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى اقامه أعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى اقامه اعيان القبط فى فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا اعادها الله .

هوَى عن أوْجِ رِفعتِه (رياضٌ) وحازَتْه القرونُ الخالياتُ
كأن لم يملإِ الدنيا فَعالاً ولا هَتفَتْ بدولته الرُّواة
نعاه (البرقُ) مُضْطرِباً ، فماجَتْ نجومٌ فى السماء مُحلِّقات
كأن الشمسَ قد نُعِيَتْ عِشاءً إليها فهْىَ حَسْرَى كاسفات
صحيفةُ غابرٍ طُويَتْ ، وولَّت على آثارِ من دَرجوا وفاتوا
يقول الآخرون إذا تَلَوْها : كذلك فَلْيَلِدْن الأُمَّهات
جزى اللهَ الرضا أبوَيْ (رياضٍ) هما غرَسَا وللوطن النبات
بنو الدنيا على سَفرٍ عَقيمٍ وأسفارُ النوابغِ مُرجعات
أرى الأمواتَ يَجمعُهم نشورٌ وكم بُعِثَ النوابغُ يومَ ماتوا
صلاحُ الأرضِ أحياءً ومَوْتَى وزينتُها وأنجُمُها الهُداة
قرائحُهم وأيديهم عليها هدًى ، ويسارةٌ ، ومُحسِّنات
فلو طُلِبَتْ لهم دِيَةٌ لقالت كنوزُ الأرضِ : نحن هى الدِّيات

* * *

أبا الوطنِ الأسيفِ ، بكتْكَ مصرُ كما بكَت الأبَ الكهفَ البَناتُ
قَضَيْتَ لها الحقوقَ فتًى وكهْلا ويومَ كبرْتَ وانحنَتِ القَناه
ويومَ النَّهْىُ للأُمراء فيها ويومَ الآمرون بها العُصاة(١)
فكنْتَ على حكومتها سِراجاً إذا بَسطتْ دُجاها المُشْكِلات
يزيد الشيبُ نفسَك من حياةٍ إذا نقصَتْ مع الشيب الحياة
وتملوْك السُّنُونَ قوًى وعزماً إذا قيل : السُّنون مُثبطات

١ـ يشير الى أيام الثورة العرابية فى مصر والى لون الحكم قبل تلك الثورة .

كسيْفِ الهندِ أبْلَى حين فُلَّتْ ورقَّتْ صَفحتاه والظُّبات(١)
رفيعُ القدرِ بالأمصار يُرنى كما نَظرتْ إلى النَّجم السُّراة(٢)
كأنك فى سماء المُالكِ (يحيى) وآلُك فى السماء النيِّرات(٣)
تَسوسُ الأمرَ ، لا يُعطِى نفاذاً عليك الآمرون ولا النُّهاة
إذا الوزراء لم يُعطوا قِياداً نبذتهمُ كأنهمُ النَّواة
زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ كذلك كان (بسمركُ) الثُّبات(٤)
صِفاتٌ بَلَّغتْك ذُرَى المعالى كذلك تَرفع الرجلَ الصِّفات
وجدتَ المجدَ فى الدنيا لِواءً تلقَّاه المقاديمُ الأُباة
ويبقى الناسُ ما داموا رَعايا ويبقى المُقدِمون همُ الرُّعاة

* * *

(رياضُ) ، طَوَيْتَ قرْناً ما طوَتْه مع (المأمون) (دِجْلةُ)و(الفرات)(٥)
تمنَّت منه أياماً تحلَّى بها الدُّوَلُ الخوالى الباذخات
ووَدّ (القيصران) لَوَ أنّ (روما) عليها من حَضارته سِمات(٦)
حَباكَ اللهُ (حاشِيَتيْه) عُمْراً وأعمارُ الكرام مُبارَكات
فقمتَ عليه تجرِبةً وخُبْرًا ومدرسةُ الرجال التجرِبات
تمرُّ عليك كالآيات تَتْرَى صنائعُ أهلهِ والمحدَثات

١ــ الظبات جمع ظبة ــ بضم الظاء ــ حد السيف ــ٢ــ السراة ــ بضم السين ــ : جمع سارى ، ولا يكون السرى الا للمشى بالليل . ٣ــ يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد ــ٤ــ بسمرك : وزير المانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة والسياسة . والزماع : الذى يزمع الامر فى جراة واقدام ثم لا ينثنى ــ٥ــ المأمون : هو المأمون العباسى ، ودجلة والفرات : نهران بالعراق ــ٦ــ سمات : علامات .

فأدركتَ (البخارَ) وكان طفلاً ... فشبَّ ، فبايعَتْه الصافِنات(١)
تُجاب على جناحَيْه الفيافى ... وتحكم فى الرياح المنشآت
ويُصعَد فى السماء على (بروج) ... غداً هى فى العوالم بارِجات(٢)
وبَيْنا الكهرُباءُ تُعَدُّ خرقاً ... إذا هى كلَّ يومٍ خارقات
ودان البحرُ حتى خِيضَ عُمقاً ... وقِيدَتْ بالعِنان السافيات(٣)
وبُلِّغَتَ الرسائلُ ، لا جَناحٌ ... يَجوب بها البحارَ، ولا أداة
كأن القُطرَ حين يُجيب قُطراً ... ضمائرُ بينها مُتناجِيات

* * *

رَهينَ الرَّمْسِ ، حدّثنى مَلِيًّا ... حديثَ الموتِ تبْدُ لِىَ العِظات(٤)
هو الخبرُ اليقينُ ، وما سواه ... أحاديثُ المُنى والتُّرَّهات(٥)
سألْتُكَ : ما المنِيَّةُ ؟ أىُّ كأسٍ ؟ ... وكيف مَذاقُها ؟ ومَن السُّقاة ؟
وماذا يُوجِس الإنسانُ منها ... إذا غَصَّت بعلْقَمها اللَّهاة ؟(٦)
وأىُّ المَصْرَعَيْنِ أشدُّ : موتٌ ... على عِلْمٍ ، أم الموتُ الفَوات ؟(٧)
وهل تقع النفوسُ على أمانٍ ... كما وقعَتْ على (الحرمِ) القطاة؟(٨)

١ـ الصافنات : الخيل ـ٢ـ يريد بالبروج : الطائرات ـ٣ـ العنان الزمام ، والسافيات : الرياح ـ٤ـ الرمس : القبر ـ٥ـ الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل ـ٦ـ اللهاة ـ بفتح اللام ـ اللحمة المشرفة على الحلق من اقصى الفم ـ٧ـ الموت الفوات : الموت المفاجىء ـ٨ـ القطاة : الحمام ، او طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به .

وتَخْلُد أم كزعم الهول تَبْلَى ... كما تبلَى العِظامُ أو الرُّفات ؟

تعالى اللهُ قابِضُها إليه ... وناعِشُها كما انتعش النبات

وجازيها النعيمَ حِمًى أميناً ... وعيشاً لا تُكدِّره أذاة

أَمثلُك ضائقٌ بالخَلق ذَرْعاً ... وفى بُرْدَيْك كان له حماة ؟(١)

أليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ ... وأن الحيَّ غايتُه الممات ؟

فنَمْ ما شِئْت ، لا تُوحِشْكَ دنيا ... ولا يَحْزُنْكَ من عيشٍ فَوات

تصرَّمَت الشبيبةُ والليالى ... وغاب الأَهلُ ، واحتجبت اللَّذات

خَلَتْ (حِلْمِيَّةٌ) ممَّن بناها ... فكيف البيتُ حوالك والبنات ؟(٢)

أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ... ومن نِعمٍ مَلأْنَ (الطوْدَ) شاة ؟(٣)

وهل لك من حريرهما وِسَادٌ ... إذا خَشُنَتْ لجنبَيْك الصَّفاة ؟(٤)

تولَّى الكلُّ ، لم ينفعك منه ... سوى ما كان يَلتقِط العُفاة

عِبادُ اللهِ أكرمُهم عليه ... كِرامٌ فى بَرِيَّته ، أُساة

كمائدةِ المسيحِ ، يقوم بُؤْسٌ ... حوالَيها ، وتَقعُد بائسات

أخذتُكَ فى الحياةِ على هَناتٍ ... وأىُّ الناس ليس له هَنات ؟(٥)

فصفحاً فى الترابِ إذا التقينا ... ولُوشِيَتِ العداوةُ والتِّرات

١ــ حماة : جمع حام ، وهو المدافع والمانع من العدوان ، والحامى : الاسد لحمايته عرينه ــ٢ــ الحلمية : حيث كانت دار الفقيد . وقوله : « وكيف البيت حولك والجنات » : يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك . ٣ــ المحلة : محلة روح قرية فى اقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد املاك الفقيد الواسعة ــ٤ــ الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر ــ٥ــ الهنات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير ، وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الاول من الشبوقيات .

خُلِقتُ كأنَّنى (عيسى) ، حرامٌ ... على قلبى الضَّغِينةُ والشَّماتُ
يُساءُ إلىَّ أحياناً ، فأمضى ... كريماً ، لا أقوت كما أقات
وعَندى للرجال — وإن تجافوْا — ... مَنازلُ فى الحفاوَة لا تُفات

* * *

طلعْتَ على (النَّدِىِّ) (بعين شمسٍ) ... فوافَتْها بشمسَيْنِ الغداة
على ما كان يَندو القومُ فيها ... توافَى الجمعُ وائْتمر السَّراة(١)
تملَّكهم وقارُك فى خشوعٍ ... كما نظمَتْ مُقيميها الصَّلاة
رأيتَ وُجوهَ قومِك كيف جَلَّتْ ... وكيف تَرعرعَتْ مصرُ الفتاة
أُجيلَ الرأىُ بين يديك حتى ... تبيَّنَت الرَّزانةُ والحَصاة(٢)
وأنتَ على أعِنَّتهم قديرٌ ... وهم بك فى الذى تقْضِى حُفاة(٣)
إذا أبدى الشبابُ هَوًى وزَهْواً ... أشار إليه حِلْمُكَ والأناة
فهلَّا قُمْتَ فى النادى خطيباً ... لك الكَلِمُ الكبارُ الخالدات ؟
تُفَجِّر حكمةَ (التسعين) فيه ... فآذانُ الشَّبيبةِ صاديات ؟(٤)
تقول : متى أرى (الجيرانَ) عادوا ... وَضَمٌّ على الإخاء لهم شَتات ؟(٥)
وأين أُولو النُّهَى مِنَّا ومنهم ... عسى يَأْسُون ما جرح الغُلاة ؟(٦)

١— يندو القوم : اذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف —٢— الحصاة : العقل والرأى —٣— الحفاة : جمع حفى ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفى عنها » ، اى سائل عنها باستقصاء —٤— التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، اى ظامئات —٥— الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر —٦— الغلاة : هم البالغون حد الافراط فى عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بين العشيرة رُسْلُ شرٍّ ... وفَرَّقَت الظُّنونَ السَّيِّئات

إذا الثقةُ اضمحلَّتْ بين قومٍ ... تمزَّقَت الرَّوابطُ والصِّلات

فثِقْ ، فعسى الذين ارتَبْت فيهم ... على الأَيام إخوانٌ ثِقات

وربَّ مُحبَّبٍ لا صبرَ عنه ... بَدَتْ لك فى مَحبَّته بَداة(١)

ومكروهٍ على أَخَذاتِ ظنٍّ ... تُحبِّبُه إليك التجرِبات

بنى الأَوطان ، هبّوا ، ثم هبّوا ... فبعضُ الموتِ يَجلبه السُّبات(٢)

مشى للمجدِ خَطْفَ البرقِ قومٌ ... ونحن إذا مشينا (السلحفاة)

يُعِدّون القُوَى برًّا وبحراً ... وعُدَّتُنا الأَمانِى الكاذبات

---

١ ــ البداة ، من قولهم : بدا لى فى هذا الامر بداء ، اى ظهر لى فيه شيء ــ٢ــ السبات : النوم ، واصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتا » .

عثمان باشا غالب(*)

ضجَّتْ لمصرَعِ (غالبٍ) في الأَرضِ (مملكةُ النباتِ)

أَمستْ (بتيجانٍ) عليـ ـه من الحِداد مُنكَّسات(١)

قامت على (ساقٍ) لغيـ ـبته ، وأَقعدت الجهات

في مأْتمٍ تَلْقَى الطبيعـ ـةَ فيه بين النائحات

وترى (نجومَ الأَرضِ) من جَزَعٍ مَوَائِدَ كاسفات

والزَّهرُ في (أَكمامِه) يَبكي بدمع الغاديات

وشَقائقُ النُّعمانِ آ بَتْ بالخدودِ مُخَمَّشات(٢)

أَما مُصابُ الطبِّ فيـ ـه فسَلْ به مَلَأَ الأُساةِ(٣)

أَوْدَى الحِمامُ بشيخهم ومَآبهم في المعضلات

مُلْقِي الدروس المُسْفِرا تِ عن الغُروس المُثمِرات

قد كان حَرْبَ الظلمِ ، حر بَ الجهلِ ، حربَ التُّرَّهات

والمُستضاءَ بنوره في الخافيات المظلمات

عَلَمُ الورَى في عِلْمه في الغربِ مُغْتَرَبُ الرُّفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار اليه بالبنان ، توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ .

١ ــ التيجان للنبات : هى اكاليل الثمار ، كالاكمام ــ٢ــ شقائق : جمع شقيقة ، وهى الموضع ينبت الاعشاب . وشقائق النعمان موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الالوان والشيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فاعجبه ، فقال : هو لى ، فلم يعد أحد يمسه ، ومن ذلك سمى شقائق النعمان ، وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له : شقائق النعمان ، والخدود فى شقائق النعمان يقصد بها الورد ، وتخميشها : بمعنى لطمها او قطعها ــ٣ــ الملأ : الجماعة من الناس . والاساة جمع آسى : وهو الطبيب .

قد كان فيه محلَّ إجـــــلالِ الجهابذةِ الثقات
ومُمَثِّلَ المصريِّ فى حظِّ الشعوبِ من الهبات
قل للمُريب : إليكَ ، لا تـأْخذْ على الحرِّ الهنات
إن النوابغَ (أهلَ بَدْ رٍ) ما لهم من سيئات(١)
هم فى عُلا الوطنِ الأَدا ةُ فلا تَحُطَّ مِن الأَداة
وهمُ الأُلَى جمعوا الضما ئرَ والعزائمَ من شَتات
لهم التَّجِلَّةُ فى الحيا ةِ ، وفوق ذلك فى الممات
(عثمانُ) ، قُمْ ترَ آيةً اللهُ أحيا (الموميات)
خرجَتْ بَنِينَ من الثرى وتحرّكَتْ منه بَناتِ
واسمَعْ بمصر الهاتفـــين بمجدها والهاتفات
والطالبين لحقها بينَ السَّكِينةِ والثبات
والجاعليها قِبْلةً عندَ الترنُّمِ والصَّلاة(٢)
لا قَوْا أبوّتَهم على غُرِّ المناقبِ والصفات
حتى الشبابُ تراهُمُ غلبوا الشيوخَ على الأَناة
وزنوا الرجالَ ، فكان ما أَعْطَوْا على قدر الزِّنات(٣)
قل للمُغالِطِ فى الحقا ئق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاءَ رسولُه وأتى بإحدى المعجزات
عيسى الشُّعورِ إذا مشى ردَّ الشعوبَ إلى الحياة

---

١ — أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منهما لاحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن اليه قبل شوقى حياه الله —٢— الترنم : احد ضروب العبادة فى المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين —٣— الزنات : جمع زنة (كعدة) وهى المرة من الوزن .

عبد الحى (*)

طُوِىَ البِساطُ وجَفَّت الأَقداحُ وغدَتْ عواطلَ بعدكَ الأَفراحُ(١)
وانفضّ نادٍ بالشآم، وسامرٌ فى مصرَ أنت هَزارُه الصَّدَّاح(٢)
وتَقوَّضَتْ للفن أطْولُ سَرْحةٍ يُغْدَى إلى أفيائها ويُراح(٣)
والله ما أدرى وأنتَ وحيدُه أعليه يُبْكى، أم عليك يُناح؟
(إسحاقُ) مات، فلا صَبُوحَ، و(مَعْبَدٌ)
أوْدَى، فليس مع الغبوقِ فَلاح(٤)
مَلِكُ الغِناء أزاله عن تختِهِ قَدَرٌ يُزيل الراسياتِ مُتاح
فى التُّرْب فوقَ (بنى سويفَ) يتيمةٌ ومن الجواهر زَيِّفٌ وصِحاح(٥)
ما زال تاجُ الفن تيَّاهًا بها حتى استبدَّ بها الردَى المُجتاح
لو تستطيع كرامةً لمكانها مَشَتِ الرياضُ إليه والأَدْواح

* * *

رُحْماكَ (عبدَالحىِّ)، أُمُّكَ شَيْخَةٌ قعدَتْ، وهِيضَ لها الغَداةَ جَناح
كُسِرَتْ عَصاها اليومَ، فهى بلا عصاً
وقَضى فَتاها الأَجْوَدُ المِسْماح
اللهُ يعلم، إن يَكُنْ فى قلبها جُرحٌ ففى أحشاءِ مصرَ جِراح

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى، ذاع صيته فى مصر وجاوزها الى الاقطار العربية حتي عد وحيد عصره وامام فنه. توفى سـنة ١٩١٢م.
١ـ طوى البساط: تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور ـ٢ـ الهزار: طائر حسن الصوت، وهو فارسى، معرب هزاز دستان ـ٣ـ السرحة: الشجرة العظيمة. والافيـاء: جمع فىء، وهو ـ من الشجر ـ الظل. ٤ـ اسحاق ومعبد: علمان على مغنيين. والصبوح: الشرب اول الصباح. والغبـوق. الشرب بالعشى ـ٥ـ دفن الفقيـد فى بنى سويف وهى بلـدة مشهورة بالقطر المصرى. والجواهر الزائفة، هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة.

والناسُ مَبْكِىٌّ وباكٍ إثْرَهُ   وبُكا الشعوبِ إذا النوابغُ طاحوا
كان الندامَى إن شَدَوْتَ وعاقروا   سِيّانِ صوتُك بينهم والراح(١)
فيما تقول مُغنّيًا ومُحدِّثًا   تتنافس الأَسماعُ والأَرواح(٢)
فارقتَ دنيا أرهَقتْك خَسارةً   وغنِمْتَ قُرْبَ اللهِ وهو رَبَاح
يا مُخلِفًا للوعد ، وَعْدُك ماله   عندى ولا لك فى الضمير بَراح
عَيِيَتْ به وبكَ المنيَّةُ ، وانقضى   سببٌ إليه بأُنْسِنا نَرتاح
لما بلغنا بالأَحِبّةِ والمنى   بابَ السرورِ تغيَّب المفتاح
زعموا نَعِيَّكَ فى المجامع مازحًا   هَيْهاتَ ! فى رَيْبِ المَنونِ مِزاح
الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ   عندَ المنيَّةِ يَجزع المِفراح(٣)
رَمَت المنايا إذ رمَيْنَك بُلْبُلا   أرداه فى شَرَكِ الحياةِ جِماح
آهاتُه حُرَقُ الغرامِ ، ولفظُه   سجعُ الحَمام لَوَ انَّهُنَّ فِصاح
وذَبَحْنَ حَنْجَرةً على أوتارها   تُؤْسَى الجِراحُ ، وتُذْبَحُ الأَتراح
وفَلَلْنَ من ذاك اللسان حديدةً   يَخشى لئيمٌ بأْسَها ووقاح
وأبحْنَ راحتَك البِلَى ، ولطالما   أمسى عليها المالُ وهو مُباح
روحٌ تناهتْ خِفّةً فتخيَّرتْ   نُزُلاً تَقاصَرُ دونه الأَشباح
قُمْ غنِّ وِلْدانَ الجِنانِ وَحُورَها   وابعثْ صَداك فكلُّنا أرواح

---

١ ـ الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لان كليهما مسكر ـ٢ـ يقول : ان حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى انه كان فكه الحديث بارع النكتة ـ٣ـ المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا (*)

سِرْ أَبا صالحٍ إلى الله واتركْ ... مصرَ فى مأْتمٍ وحزنٍ شديد

هذه غايةُ النفوسِ ، وهذا ... مُنتهَى العيشِ مُرّه والرَّغيد

هل ترى الناسَ فى طريقك إلَّا ... نَعْشَ كَهْلٍ تَلاه نعشُ الوَليد ؟

إنَّ أَوهَى الخيوطِ فيما بدا لى ... خَيْطُ عيشٍ مُعلَّقٌ بالوريد(١)

مُضْغَةٌ بينَ خفقةٍ وسُكونٍ ... ودَمٌ بينَ جَرْيَةٍ وجُمود

أَنزلوا فى الثرى الوزيرَ ، وواروْا ... فيه تسعين حِجَّةً فى صُعود

كنتَ فيها على يَدٍ من حرير ... لِلَّيالى ، فأَصبحَتْ من حَديد(٢)

قد بلوناكَ فى الرياسة حينًا ... فبلوْنا الوزيرَ عبدَ الحميد(٣)

آخذًا من لسانِ فارسَ قِسْطًا ... وافرَ القسْمِ من لسان لَبيد(٤)

فى ظلال الملوكِ ، تُدْنِى إليهم ... كلُّ آوٍ لظلِّكَ الممدود

لستَ مَنْ مَرَّ بالمعالم مَرًّا ... إنما أنت دولةٌ فى فقيد

قُمْ فحدِّثْ عن السنين الخَوالى ... وفُتوحِ المُمَلَّكِين الصِّيد(٥)

(*) هو احد باشوات مصر الكبار ، عاصر اكثر ولاة مصر من الاسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد ان عمر حوالى تسعين عاما .

١ــ الوريد : شريان بكسر الشين ، وهو عرق رئيسى فى جسم الانسان ، يشبه العروق فى جسم الانسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك الى اثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها ــ٢ــ يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش.

٣ــ بلوناك فى الرياسة: اى اختبرناك. والوزير عبدالحميد : هو عبدالحميد الكاتب المشهور ــ٤ــ القسم : هو العطاء أو الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض ان المرثى كان ملما بالفارسية والعربية ــ٥ــ الصيد جمع اصيد ، وهو العزيز الجانب .

والذى مَرَّ بينَ حالٍ قديمٍ　　أنتَ أدرَى به وحالٍ جديد
وصِفِ العزَّ فى زمان (علىٍّ)　　واذكر اليُمْنَ فى زمان سعيد(١)
كيف أسْطولُهم على كل بحرٍ　　وسَراياهُمُ على كلِّ بِيدٍ؟(٢)
قد تولَّوْا وخلَّفوك وفِيًّا　　فى زمانٍ على الوَفِىِّ شديد
فالْحَقِ اليومَ بالكرام كريماً　　والْقَهم بينَ جَنَّةٍ وخُلود
وتقبَّلْ وداعَ باكٍ على فقـ　　ـدك ، وافٍ لعهدك المحمود

١ـ يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الخديو سعيد باشا ـ٢ـ السرايا : جمع سرية ـ بالياء المشددة مفتوحة ـ وهى القطعة من الجيش لايزيد عددها عن الاربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء .

محمد فريد بك (*)

كلُّ حَيٍّ على المنيّة غادى ... تتوالى الركابُ والموتُ حادى(١)

ذهب الأوّلونَ قَرْنًا فقرْناً ... لم يدُمْ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بادى(٢)

هل ترى منهُمُ وتَسمعُ عنهم ... غيرَ باقى مآثرٍ وأيادى؟(٣)

كُرَةُ الأَرضِ كم رَمَتْ صَوْلجَانا ... وطوَتْ من ملاعبٍ وجِياد

والغبارُ الذى على صفحتَيْها ... دَوَرانُ الرَّحَى على الأَجساد(٤)

كلُّ قبرٍ من جانب القَفْرِ يبدو ... عَلَمَ الحقِّ ، أو منارَ المَعَاد

وزِمامُ الرِّكابِ من كلِّ فَجٍّ ... ومَحَطُّ الرِّحالِ من كلِّ وادى

تطلع الشمسُ حيث تطلع نَضْخًا ... وتَنَحَّى كمِنْجَلِ الحَصَّاد(٥)

تلك حمراءُ فى السماءِ ، وهذا ... أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِراسِ الجِلاد

ليت شعرى تعمُّدًا وأصرًّا ... أَم أعانا جناية الميلاد

كذب (الأَزهرانِ) ؛ ما الأَمرُ إِلّا ... قَدَرٌ رائحٌ بما شاءَ غادى(٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا ، بذلها الى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد الى أن مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ ، محكوما عليه بالنفى والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة الى وطنه الا ميتا .

١ــ الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها ــ٢ــ الحاضر : ساكن الحضر ، والبادى : ساكن البادية ــ٣ــ الأيادى : جمع يد ، ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادى الا بهذا المعنى ، فاذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : ايدى ــ٤ــ المفهوم من المقام ان الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المعهودة ــ٥ــ قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، أى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه ــ٦ــ الأزهران : الشمس والقمر .

يا حَماماً ترنَّمَتْ مُسْعِداتٍ   وبها فاقةٌ إلى الإسعاد(١)

ضاق عن ثُكْلِها البُكا ، فتغنَّتْ   رُبَّ ثُكْلٍ سمِعْتَه من شادي(٢)

الأناةَ الأناةَ ، كلُّ أليفٍ   سابقُ الإلْفِ ، أو مُلاقي انفراد

هل رَجَعْتُنَّ فى الحياة لفَهْمٍ ؟   إن فهمَ الأمورِ نِصفُ السَّداد

سَقمٌ من سلامةٍ ، وعزاءٌ   من هناءٍ ، وفُرْقَةٌ من وِداد

يُجْتَنَى شهدُها على إبَرِ النحـ   ـلِ ، ويُمْشَى لوِرْدِها فى القَتاد(٣)

وعلى نائمٍ وسَهْرانَ فيها   أجَلٌ لا يَنامُ بالمِرْصاد

(لُبَدٌ) صادَهُ الرَّدَى ، وأظنّ النَّسْـ   ـرَ من سَهمِهِ على ميعاد(٤)

ساقةَ النَّعْشِ بالرئيس ، رُوَيْداً   مَوْكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الإتِّئاد(٥)

كلُّ أعوادِ مِنبرٍ وسريرٍ   باطلٌ غيرَ هذه الأعواد

تستريح المطِيُّ يوماً ، وهذى   تنقلُ العالَمين من عهد عادِ

لا وراءَ الجِيادِ زِيدَتْ جلالاً   منذ كانت ولا على الأجياد

أسألتم حَقِيبةَ الموتِ : ماذا   تحتَها من ذخيرةٍ وعَتاد ؟

إنّ فى طَيِّها إمامَ صُفوفٍ   وحَوارِيَّ نِيَّةٍ واعتقاد(٦)

لو تركتم لها الزِّمامَ لجاءت   وحدَها بالشهيد دارَ الرشاد

---

١ ـ الاسعاد : الاعانة ، تقول : اسعدني على كذا ، اى أعنى عليه .
٢ ـ الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغنى ـ٣ـ القتاد : شجر صلب له شوك كالابرة ـ٤ـ لبد ، بضم اللام وفتح الباء : علم على آخر نسور لقمان ، زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر ، كان آخرها النسر المسمى : لبد ، اما قوله (واظن النسر) فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر ، وانما يقصد احد الكواكب فى السماء معروفا باسم النسر ، يقول ان لكل كائن سهم من المنية مقدور ـ٥ـ ساقة الجيش او ساقة النعش : هم السائرون فى المقدمة . والاتئاد : بمعنى الترفق والتمهل ـ٦ـ الحوارى : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

انظروا ، هل تَرَوْنَ في الجمع مصرًا حاسرًا قد تجلَّلتْ بسواد ؟

تاجُ أحرارِها غُلاماً وكهلاً راعَها أن تراه في الأصفاد

وسُدُوه التراب َ نِضْوَ سِفارٍ في سبيلِ الحقوقِ نِضْوَ سُهاد(١)

واركزوه . إلى القيامة رُمْحًا كان للحَشْدِ ، والنَّدَى ، والطِّراد

وأقِرُّوه في الصفائح عَضْبًا لم يَدِنْ بالقَرار في الأغماد

نازحَ الدارِ ، أقْصَرَ اليومَ بَيْنٌ وانتَهتْ مِحْنَةٌ ، وكفَّتْ عوادى(٢)

وكفَى الموتُ ما تخاف وترجو وشَفَى من أصادقٍ وأعادى

مَن دَنا أو نأى فإنَّ المنايا غايةُ القربِ أو قُصارَى البِعاد

سِرْ مَعَ العمرِ حيثُ شِئْتَ تَئُوبا وافقد العمر لا تُؤبْ من رُقاد

ذلك الحقُّ لا الذى زعموه فى قديمٍ من الحديث مُعاد

وجرى لفظُه على ألسُنِ النا س ، ومعناه في صدور الصِّعاد(٣)

يَتَحلَّى به القوىُّ ولكنْ كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد

هل تَرى كالترابِ أحسنَ عدلاً وقياماً على حقوق العباد ؟(٤)

نزل الأقوياءُ فيه على الضَّعْـ فَى ، وحلَّ الملوكُ بالزُّهَّاد

صفحاتٌ نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسْـلِ ، مَغسولةٌ من الأحقاد

قُمْ إنِ اسْطَعْتَ من سريرك ، وانظر سِرَّ ذاك اللواء أجناد

١ــ النضو : المهزول الجسم ــ٢ــ عوادى الدهر : عوائقه ــ٣ــ الصعاد : الرماح ــ٤ــ يقول : انه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض الا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا الا فى التراب ، حيث يسوى الاقوياء بالضعفاء ، والطامعين بالقانعين .

هل تَراهم وأنتَ مُوفٍ عليهم غيرَ بُنْيانِ أُلْفَةٍ واتّحاد؟(١)

أمةٌ هُيِّئَتْ وقومٌ لخير الدّهْـ ـرِ أو شرِّه على استعداد

مصرُ تبكى عليك فى كل خِدْرٍ وتَصوغُ الرثاءَ فى كل نادى

لو تأمّلْتَها لراعَك منها غُرَّةُ البرِّ فى سَوادِ الحِداد

مُنْتهَى ما به البلادُ تُعزَّى رجُلٌ مات فى سبيل البلاد

أمّهاتٌ لا تحمل الثُّكلَ إلا للنجيب الجرىءِ فى الأولاد

(كفريدٍ) ، وأين ثانى فريدٍ ؟ أىُّ ثانٍ لواحدِ الآحاد ؟

الرئيسِ الجوادِ فيما علمنا وبَلوْنا وابنِ الرئيسِ الجواد ؟

أكلَتْ مالَهُ الحقوقُ ، وأبْلى جِسمَهُ عائدٌ من الهمِّ عادى

لك فى ذلك الضَّنَى رِقَّةُ الرو ح ، وخَفْقُ الفؤادِ فى العُوّاد

عِلَّةٌ لم تَصِلْ فِراشَك حتى وطِئَتْ فى القلوب والأكباد

صادفَتْ قُرْحَةً يُلائمها الصبـ ـرُ ، وتأْبَى عليه غيرَ الفساد

وعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادًا لك فيها ، فكان شرَّ ضِماد

وإذا الرُّوح لم تُنَفِّسْ عن الجسـ ـم (فبقراطُ) نافخٌ فى رَماد(٢)

١ـ يشير هذا البيت الى حقيقة تاريخية ، هى أن عودة الفقيد ميتا كانت فى زمن اتحاد الامة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ ـ٢ـ بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تَتَّقِدُ والدموعُ تَطَّرِدُ
أَيُّهَا الشَّجِيُّ ، أَفِقْ من عَناءٍ ما تجد
قد جرَتْ لغايتها عَبْرَةٌ لها أمد
كلُّ مُسْرِفٍ جَزَعاً أو بُكًى ، سيَقْتَصِد
والزمانُ سُنَّتُه فى السُّلُوِّ يجتهد
قل لثاكِلَيْنِ مشَى فى قواهما الكَمَد
لم يُعافَ قبلَكما والدٌ ، ولا وَلَد
الذين مِيلَ بهم فى سِفارِهم بَعُدُوا
ما علمنا أَشَقُوا بالرحيل أم سَعِدوا
إن منزلاً نزلوا لا يَرُدُّ مَن يَرِد
كلُّنا إليه غداً ليس بالبعيد غَدُ

* * *

البنونَ هم دَمُنا والحياةُ والوُرُد(١)
لا تَلَدُّ مثلَهم مُهْجَةٌ ، ولا كَبِد
يستوون واحِدُهم – فى الحنان – والعَدَد
زينةٌ ، ومصلحةٌ واستراحةٌ ،

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل « بك » فى فقد وحيده سنة ١٩٣٥ .

١ – الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد –٢– الدد – بالفتح – اللهو واللعب .

فتنةٌ إذا صَلحوا   مِحْنةٌ إذا فسدوا

شاغلٌ إذا مَرِضوا   فاجعٌ إذا فُقِدوا

جُرحُهم إذا انتُزِعوا   لا تَلُمُّه الضُّمُدُ

العزاءُ ليس له   آسِياً ، ولا الجَلَد

* * *

قل (لِهيكل) كَلِمًا   من ورائها رَشَد

لم يَشُبْ مهذَّبَها   باطلٌ ولا فَنَد(١)

قد عَجِبْتُ مِن قَلَمٍ   ثاكلٍ وينْجَرِد

أنتَ ليثُ معركةٍ   وهو صارمٌ فَرَد

والسيوفُ نَخْوَتُها   فى الوَطِيس تَتَّقِد(٢)

أنت ناقدٌ أرِبٌ   والأريبُ ينتقد

ما تقول فى قَدَرٍ   بعضُ سِنِّه الأبَد؟

وهْوَ فى الحياة على   كلِّ خُطْوَةٍ رَصَد

يَعْثُر الأنامُ به   إن سَعَوا ، وإن قعدوا

يَنْزِلُ الرجالُ على   حُكْمِه وإن جَحَدوا

القضاءُ مُعْضِلةٌ   لم يَحُلَّها أحَد

كلّما نقضْت لها   عُقْدَةً بدتْ عُقَد

أتعَبَتْ مُعالجها   واستراح مُعْتقِد

* * *

١ــ الفند : هو الكذب .
٢ــ الوطيس : الحرب .

عالَمٌ مُدَبِّرُه بالبقاء مُنْفَرِد
مِن بِلَى كَوائِنه كائناتُه الجُدُد
لا تقل به إِدَدٌ إنّ حُسْنَه الإِدَدَ(١)
تلتقي نقائضُه غايةً وتتَّحِد
الفَناء فيه يدٌ للبقاء أو عَضُد
ائْتِلافُه رَشَدٌ واختلافُه سَدَد
جَدٌّ في عمارته مُنْصَفٌ ومضْطَهَد
والغنى لخِدمته كالفقير محتشِد
وهو في أعِنَّتِه مُمْعِنٌ ومُطَّرِد
والحياةُ حَنْظَلَةٌ في حروفها شُهُد
هَيكلُ الشقاء له من مَدامِعٍ عَمَد
قامت النعوش على جانبَيْهِ والوُسُد
عُرْسُه ومأْتَمُهُ غايتاهُما نَفَدُ

---

١ — الادد — جمع اداة ، بالكسر — وهى الداهية .

ثروت باشا (*)

يموت في الغابِ أو في غيرِه الأسدُ ... كلُّ البلادِ وِسادٌ حين تُتَّسَدُ(١)

قد غَيَّبَ الغربُ شمسًا لا سَقامَ بها ... كانت على جَنَباتِ الشرقِ تَتَّقِد

حدا بها الأَجَلُ المحتومُ فاغتربَتْ ... إن النفوسَ إلى آجالِها تَفِد

كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ في الحياةِ سوى ... يومٍ يُفارِقُ فيه المُهجةَ الجسدُ

* * *

سَعى الغمامَ إلى الوادي وساكنِه ... برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجَلَد

برقُ الفجيعةِ لما ثار ثائرُه ... كادتْ كأمسِ له الأحزابُ تَتَّحِد

قام الرجالُ حيارَى مُنصِتين له ... حتى إذا هدَّ من آمالهم قعدوا

علا الصعيدَ نهارٌ كلُّه شجَنٌ ... وجلَّل الريفَ ليلٌ كلُّه سُهُدُ

لم يُبْقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا ... ولم يَرُدَّ على الباكين ما فقدوا

وراءَ رَيْبِ الليالي أو فُجاءَتِها ... دمعٌ لكلِّ شماتِ ضاحكٍ رَصَد(٢)

* * *

باتت على الفُلْكِ في التابوتِ جَوْهَرَةٌ ... تكادُ بالليل في ظلِّ البِلَى تقِدُ(٣)

يُفاخِرُ النيلُ أصدافَ الخليجِ بها ... وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرِدُ(٤)

(*) هو المغفور له عبدالخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما ، وسياسيا اداريا خطيرا ، تولى رياسة الحكم فى البلاد اكثر من مرة ، وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر الى اوربا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر ، فلم يمهله الموت ، فقضى بفرنسا فى سنة ١٩٢٨ ، وجىء به ميتا ، وكان بينه وبين امير الشعراء صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر اثرهما فى هذه المرثية ، التى تقرأها فتحس رجعها يعود اليك من اعماق الخلود .

١ـ هذا المطلع يشير الى موته بفرنسا ـ٢ـ رصد : بمعنى مترقب .

٣ـ يشير الى مجيئه من أوربا فى نعش على الباخرة . وتقد : تضىء .

٤ـ يريد بالخليج : الخليج الفارسى . وبالبحرين : مجموعة جزر عربية بالقرب من الشاطىء الغربى للخليج الفارسى ، وعندها يصاد اللؤلؤ .

إنّ الجواهرَ أسناها وأكرمُها ... مايقذِفُ المهدُ ، لامايقذفُ الزَّبَدُ

حتى إذا بلغ الفلكُ المدى انحدَرتْ ... كأنَّها فى الأَكفِّ الصارمُ الفرِد

تلك البقيةُّ من سيف الحمى كِسَرٌ ... على السرير ، ومن رُمح الحِمى قِصَد(١)

قد ضمّها فزكا نعْشٌ يُطاف به ... مُقدَّمٌ كلِواء الحقِّ مُنفرِد

مشتْ على جانبيه مصرُ تَنْشُدُه ... كما تدلَّهت الثَّكلَى ، وتَفتقِد(٢)

وقد يموت كثيرٌ لا تُحِسُّهمُ ... كأنهم من هَوانِ الخطب ما وُجِدوا

ثُكْلُ البلاد له عقلٌ ، ونكبتُها ... هى النجابةُ فى الأولاد ، لا العدد

* * *

مُكلِّلُ الهامِ بالتصريح ، ليس له ... عودٌ من الهام يَحويه ولا نَضد(٣)

وصاحبُ الفضلِ فى الأعناقِ ليس له ... من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَد

خلا من المِدْفَع الجبَّارِ مَركَبُهُ ... وحلّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشَد

إن المدافِعَ لم يُخْلَقْ لصُحبتِها ... جندُ السلام ، ولا قُوّادُه المُجُد

* * *

يا بانِيَ الصرح لم يَشغَله مُمتدِحٌ ... عن البناء ، ولم يصرفه مُنتقِد

أصمُّ عن غضبٍ مِنْ حَوْلِه ورِضًى ... فى ثورةٍ تَلِدُ الأبطالَ أو تَئِد(٤)

١ــ القصد ــ بكسر القاف ــ : جمع قصدة ــ بكسرها ايضــا ، وهى القطعة مما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : اى منكسر ــ٢ــ التدله : ذهاب الفؤاد من عشق او حزن ونحوهما . وقــوله : « تفتقد » من قولهم : وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر ــ٣ــ العود هنا : هو السرير . النضد ــ محركة الضاد ــ ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه . كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير ، كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام او منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل ، ومن هذا النحو يقول البيت التالى : « وصــاحب الفضــل فى الأعناق ... الخ» ــ٤ــ يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ ، والواد : دفن الأحياء ، يريد انه كان يعمل فى بناء صرح الوطن ، بدون رغبــة فى مدح ، او خوف من ذم ، فى شجاعة لا تخاف الثورة ، وهى لا عقل لها .

تصريحُك الخطوةُ الكبرى ومرحلةٌ ... يدنو على مثلها ، أو يبعد الأَمَد

الحقُّ والقوةُ ارتدّا إلى حَكَمٍ ... من الفياصل ، ما فى دينه أَوَد

لولا سِفارتُك المهديّةُ اختصما ... ومَلَّ طُولَ النِّضالِ الذئبُ والنَّقَد(١)

مازِلْت تَطرقُ بابَ الصلح بينهما ... حتى تفتحت الأَبوابُ والسُّدَد

وجَدْتها فرصةً تُلْقى الحِبالُ لها ... إنَّ السياسةَ فيها الصَّيْدُ والطَّرَد(٢)

طلبْتَها عندَ هُوجِ الحادثاتِ كما ... يمشى إلى الصيد تحتَ العاصفِ الأَسَد

لما وجدت مُعدّاتِ البناء بنَتْ ... يداك للقوم ما ذمُّوا وما حمدوا

بنيت صَرحك من جُهد البلاد ، كما ... تُبْنَى مِن الصَّخرِ الآساسُ والعُمُد

فيه ضحايا من الأَبناء قَيِّمةٌ ... وفيه سَعْىٌ من الآباء مُطَّرِد

وفى أَواسِيه أقلامٌ مُجاهدةٌ ... على أَسنَّتِها الإحسانُ والسَّدَد(٣)

وفيه أَلويةٌ عزَّ الجهادُ بهم ... لولا المنيّةُ ما مالوا ، ولا رقدوا

رميْت فى وَتدِ الذلِّ القديمِ به ... حتى تَزعزعَ من أَسبابه الوتِد

طوى حِمايتَهُ المحتَلُّ ، وانبسطتْ ... حمايةُ اللهِ ، فاسْتذْرَى بها البلد

فَمْ غيرَ باكٍ على ماشِدْت من كرمٍ ... ماشِيدَ للحقِّ فَهْوَ السَّرْمَدُ الأَبد

يا (ثروةَ) الوطنِ الغالى ، كفَى عظةً ... للناس أنك كنزٌ فى الثرى بَدَد(٤)

لم يُطْغِكَ الحكمُ فى شتّى مَظاهرِه ... ولا استخفَّك لِينُ العيشِ والرَّغَد

تغْدُو على اللهِ والتاريخِ فى ثِقةٍ ... ترجو فتُقْدِمُ ، أو تخْشَى فتتَّئِد

نشأْتَ فى جَبْهةِ الدنيا ، وفى فمِها ... يدورُ حيثُ تَدور المجدُ والحسَد

١ــ النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .
٢ــ الطرد : مطاردة الصيد ــ٣ــ الاواسى : جمع آسية ، وهى من البناء : المحكم الدعامة . والسدد : بمعنى السداد ، اى الصواب ــ٤ــ البدد : المتفرق.

لكلِّ يومٍ غَدٌ يمضى بروْعَتِهِ — وما ليومِكَ يا خيرَ اللِّداتِ غدُ
رَمَتْكَ فى قنواتِ القلبِ فانصدعَتْ — منيَّةٌ ما لها قلبٌ ، ولا كَبِد
لمَّا أناختْ على تامُورِكَ انفجرَتْ — أزكَى من الوَرْدِ ، أو من مائه الوُرُد(١)
ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه — فيه الصديقُ وفيه الأهلُ والولد
ولم تطاوِلْكَ خوفاً أن يُناضلَها — منك الدهاءُ ورأىٌ مُنقِذٌ نَجِد
فهل رثى الموت للبرِّ الذَّبيحِ ؟ وهل — شجاه ذاكَ الحنانُ الساكنُ الهَمِد؟
هَيْهَات ! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ — لم يَبكِ من آدمٍ أحبابَه أحد
مَشَتْ تَذُودُ المنايا عن وَديعتها — مدينةُ النُّورِ ، فارتدَّتْ بها رَمَد(٢)
لو يُدفعُ الموتُ رَدَّتْ عنك عادِيَهُ — للعلم حولكَ عينٌ لم تنمْ ويَد

* * *

« أبا عزيز » سلامُ اللهِ ، لا رُسُلٌ — إليك تحمل تسليمى ، ولا بُرد(٣)
ونفحةٌ من قوافى الشعر كنت لها — فى مجلسِ الراحِ والرَّيْحانِ تحتَشِد
أرسلتُها وبعثْتُ الدمعَ يكنُفُها — كما تَحدَّرَ حولَ السَّوْسَن البَرَد(٤)
عطفتُ فيك إلى الماضى وراجعنى — وُدٌّ من الصغَرِ المعسولِ مُنعقِد
صافٍ على الدهر لم تُقْفِرْ خليَّته — ولا تغيَّر فى أبياتها الشُّهُد
حتّى لمحتُكَ مَرموقَ الهلالِ على — حداثةٍ تَعِدُ الأوطانَ ما تَعِد
والشعرُ دمعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطفةٌ — ياليتَ شعرىَ هل قُلْتُ الذى أَجِد؟(٥)

١ــ التامور : القلب . والورد ، جمع وريد : العرق فى الجسم .
٢ــ مدينة النور : تطلق فى هذا العصر على باريس ــ٣ــ البرد : جمع بريد .
٤ــ السوسن : نوع من الزهر ، والبرد : هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج ــ٥ــ اى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

عبد العزيز جاويش(*)

أصاب المجاهدُ عُقْبَى الشهيد … وألقى عَصاه المضافُ الشَّريد

وأمسى جَمادًا عدوٌّ الجمودِ … وباتَ على القيد خَصمُ القيود

حَداه السُّفارُ إلى مَنزلٍ … يلاقى الخفيفَ عليه الوئيد

فقَرَّ إلى موعدٍ صادقٍ … مُعزٌّ اليقينِ مُذِلٌّ الجحود

وبات الحَوارِىٌّ من صاحِبَيْهِ … شَهيدَيْن أَسْرَى إليهم شهيد

تَسَرَّبَ فى مَنْكِبَىْ (مصطفى) … كأمسِ ، وبينَ ذِراعَىْ (فريد)(١)

فيالَكَ قبرًا أكَنَّ الكنوزَ … وساجَ الحقوقَ ، وحاط العهود

لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ … فهل أنت ياقبرُ أوفى الغُمود ؟

ثَلاثُ عقائدَ فى حفرةٍ … تَدُكُّ الجبالَ ، وتُوهِى الحديد

قعَدْنَ فكُنَّ الأساسَ المتينَ … وقام عليها البناءُ المَشِيد

فلا تَنْسَ أمسِ وآلاءه … ألا إن أمسِ أساسُ الوجود(٢)

ولولا البِلَى فى زوايا القبورِ … لما ظهرَتْ جِدَّةٌ للمُهود

ومَنْ طلب الخُلْقَ من كنزه … فإن العقيدةَ كنزٌ عَتيد

تعلَّمَ بالصبر ، أو بالثباتِ … جَليدُ الرجالِ ، وغيرُ الجليد

* * *

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، احد السابقين فى خدمة القضية المصرية ، كان زعيما سياسيا دينيا عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الاسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفى والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد الى مصر ولم يلبث الا بضع سنين ، ومات فى سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها .

١ــ هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى ، وكانا صاحبى الفقيد فى المبدأ والجهاد .

٢ــ الآلاء : النعم .

طَرِيدَ السياسةِ منذُ الشبابِ ... لقد آن أن يستريح الطريد
لقيتَ الدواهِيَ من كَيْدِها ... وما كالسياسة داهٍ يكيد(١)
حَمَلْتَ على النفس ما لا يطا ... قُ ، وجاوزتِ المستطاعَ الجهود
وقُلِّبْتَ فى النار مثلَ النُّضا ... رِ ، وغُرِّبْتَ مثلَ الجُمانِ الفريد
أتذكر إذْ أنتَ تحت (اللواء) ... نَبِيهَ المكانةِ ، لجَمٌّ العديد ؟(٢)
إذا ما تطلَّعْتَ فى الشاطئين ... رَبا الريفُ، وافتنَّ فيك الصعيد
وهزَّ النديُّ لك المنكِبَيْنِ ... وراحَ الثرى من زحامٍ يَميد
رسائلُ تُذرِى بسجعِ البديعِ ... وتُنْسِى رسائلَ عبدِ الحميد
يَعِيها شيوخُ الحِمَى كالحديث ... ويحفظها النَّشْءُ حِفْظَ النشيد
فما بالُها نَكِرَتْها الأُمورُ ... وطولُ المدَى ، وانتقالُ الجُدود ؟(٣)
لقد نسىَ القومُ أمسِ القريبَ ... فهل لأَحاديثه من مُعيد ؟
يقولون : ما (لأَبى ناصرٍ) ... وللتُّرْكِ ؟ ما شأْنُه والهنود ؟
وفِيمَ تحمَّل هَمَّ القريبِ ... من المسلمينَ وهَمَّ البعيد ؟
فقلتُ : وما ضرَّكم أن يَقومَ ... من المسلمين إمامٌ رشيد ؟
أتستكثرون لهم واحدًا ... ولِّى القديم نصيرَ الحديد ؟
سَعى ليؤلِّف بينَ القلوبِ ... فلم يَعْدُ هَدْىَ الكتابِ المجيد
يَشُدُّ عُرا الدينِ فى داره ... ويدعو إلى الله أهلَ الجحود
ولِلقومِ حتى وراءَ القفارِ ... دعاةٌ تُغَنِّى ، ورُسْلٌ تشيد

* * *

١ــ الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الامــر العظيم ــ٢ــ كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول ــ ٣ ــ الجدود هنا : بمعنى الحظوظ .

جزى الله مَلْكًا من المحسنين رءُوفُ الفؤادِ ، رحيمُ الوريد(١)
كأنَّ البيانَ بأيامه أو العِلْمَ تحتَ ظلالِ (الرشيد)(٢)
يُداوِى بِنداه جِراحَ الكرامِ ويدركهم فى زوايا اللُّحود
أجارَ عِيالَك من دهرهم وجاملهم فى البلاء الشديد
تولى الوليدة فى يُتمها وكفكفَ بالعطف دمعَ الوليد

* * *

سلامٌ (أبا ناصرٍ) فى التراب يُعِير الترابَ رَفيفَ الوَرود
بَعُدْتَ وعزَّ إليك البريدُ وهل بينَ حَىٍّ ومَيْتٍ بريد ؟
أجَلْ ؛ بيننا رسلُ الذكرياتِ وماضٍ يُطِيفُ ، ودمعٌ يجود.
وفكرٌ وإن عقلَتْه الحياةُ يَظَلُّ بوادى المنايا يَرود(٣)
أجَلْ ؛ بيننا الخُشْبُ الدائباتُ وإن كان راكبُها لا يعود
مضى الدهرُ وهْىَ وراءَ الدموعِ قيامٌ بمُلْكِ الصَّحارى قُعود
وكم حملَتْ من صَديدٍ يَسيلُ وكم وضَعَتْ من جِناشٍ ودُود
تَشَدُّتُكَ بالموت إلا أبنْتَ أأنت شَقِىٌّ به أم سعيد ؟
وكيف يُسَمَّى الغريبَ امرؤٌ نَزِيلُ الأُبُوّةِ ، ضَيْفُ الجُدود ؟(٤)
وكيف يُقال لجار الأوائـ لِ جارِ الأواخرِ : ناءٍ وَحيد ؟

١— هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر ، حيث تعطف على أبناء الفقيد ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
٢— هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب فى عهده اعتزازا كبيرا .
٣— يرود : أى يبحث ويكتشف ٤— يقول : ان الميت ينزل فى التراب ضيفا على آبائه وجدوده ، اذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

كأْسٌ مِن الدنيا تُدارْ   مَنْ ذاقها خَلع العِذارْ(١)

الليلُ قوّامٌ بها   فإذا وَنَى قام النهار

وحَبا بها الأعمارَ ، لم   تدُم الطِّوالُ ، ولا القِصار

شَرِبَ الصبيُّ بها ، ولم   يخل المُعَمَّرُ مِن خُمار

وحَسا الكرامُ سُلافَهَا   وتناول الهَمَلُ العُقار(٢)

وأصاب منها ذو الهوى   ما قد أصاب أخو الوقار

ولقد تميلُ على الجما   د ، وتصرَع الفلَكَ المُدار

كأْسُ المنيّةِ فى يدٍ   عَسْراءَ ، ما منها فِرار(٣)

تجرى اليمينَ ، فَمَنْ تولَّى يَسْرَةً   جرَت اليَسار

أوْدَى الجرىءُ إذا جرى   والمستميتُ إذا أغار

ليثُ المعامعِ ، والوقا   ئع ، والمواقِع ، والحِصار

وبقيّةُ الزُّمَرِ التى   كانت تَذود عن الذِّمار

جندُ الخلافةِ ، عَسكرُ السـ   ـلطانِ ، حاميةُ الديار

ضاقت (كريدُ) جبالُها   بك يا (خلوصى) والقِفار

(*) وجه هذه التعزية الى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الاميرالاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا فى قمع الثورة فى الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

١ــ العذار : الحياء والوقار ــ٢ــ السلاف والعقار : من اسماء الخمر ، يقال : حسا فلان الماء اذا شربه شيئا بعد شيء ــ٣ــ يقال للرجل : اعسر ، اذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر اذا كان مذكرا ، وبالعسراء اذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ، لانها كذلك .

أيّامُكم فيها – وإن طال المدى – ذاتُ اشْتِهار
عَلِمَ العدوُّ بأنّكم أنتم لِمعْصمِها سِوار
أحْدَقْتُمُ بمقرِّه فتركتموه بلا قرار
حتى اهتدى مَنْ كان ضلٌّ، وثاب من قد كان ثار
واعتزّ ركنٌ للولا ية كان مُنْقضَّ الجِدار

* * *

عِشْ للعُلا والمجدِ – يا خيرَ البنين – ولِلفخار
أبكى لدمعك جارياً ولدمع إخوتِكَ الصِّغار
وأوَدُّ أنكُمُ رجا لٌ مثل والدِكم كِبار
وأريد بيتكُمُ عما را، لا يُحاكيه عمّار
لا تخرجُ النَّعماءُ منه، ولا يُزايِلُه اليَسار

ذكرى هيجو (*)

ما جلَّ فيهم عيدُكَ المأثورُ إلا وأنت أجلُّ يا فكتورُ
ذكروكَ بالمئة السنينَ ، وإنها عُمرٌ لمثلكَ فى النجوم قصير
ستدوم مادام البيانُ ، وماارتقت للعالمين مَداركٌ وشعور
ولئن حُجِبْتَ فأنت فى نظر الورى كالنجم لم يُرَ منه إلا النور
لولا التُّقَى لفتحْتُ قبرَك للمَلا وسألتُ : أين السيِّدُ المقبور ؟(١)
ولقلتُ : ياقومُ انظروا إنجيلكم هل فيه من قلم الفقيد سُطور ؟
مَنْ بعدَه مَلكَ البيانَ ؟ فعندكم تاجٌ فقدتم رَبَّهُ وسرير
مات القريضُ بموت (هوجو) ، وانقضى
مُلْكُ البيانِ ، فأنتُمُ جُمهور
ماذا يزيد العيدُ فى إجلاله وجَلاله بيَراعِه مَسطور ؟
فقدَتْ وجوهُ الكائناتِ مُصَوِّرًا نزل الكلامُ عليه والتصوير
كُشِفَ الغطاءُ له ، فكلُّ عبارةٍ فى طَيِّها للقارئين ضَمير
لم يُعْيِهِ لفظٌ ، ولا معنًى ، ولا غرضٌ ، ولا نظمٌ ، ولا منثور
مُسْلِي الحزينِ يَفُكُّهُ من حزنه ويَرُدُّه لله وهْوَ قرير
ثأرَ الملوك ، وظلَّ عندَ إبائه يرجو ويأمل عفوَه المثؤور
وأعارَ (واترلو) جلالَ يَراعِه فجلالُ ذاك السيفِ عنه قصير(٢)
يأيُّها البحرُ الذى غمر الثرى ومِنَ الثرى حُفَرٌ له وقبور
أنت الحقيقةُ إن تَحجَّب شخصُها فلها على مرِّ الزمانِ ظهور

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير (فيكتور هيجو لمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

١ــ الملأ : جماعة الناس ــ٢ــ واترلو : علم على موضع من المواضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

ارفعْ حِدادَ العالمين وعُدْ لهم ‏ ‏ كَيْما يُعَيِّد بائسٌ وفقير

وانظرْ إلى البُؤساءِ نظرةً راحمٍ ‏ ‏ قد كان يُسعد جَمْعَهم ويُجير(١)

الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرْتَها ‏ ‏ من عهد آدَم ما بها تغيير

البؤس والنُّعْمى على حاليهما ‏ ‏ والحظُّ يَعدِل تارةً ويجور

ومن القويِّ على الضعيف مُسَيْطِرٌ ‏ ‏ ومن الغنيِّ على الفقير أمير

والنفسُ عاكفةٌ على شهواتها ‏ ‏ تَأْوِى إلى أحقادها وتثور

والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتنقضى ‏ ‏ والموتُ أصدقُ ، والحياةُ غرور(٢)

١ــ يشير الى رواية البؤساء ، تاليف فكتور هيجو ــ٢ــ العيش آمال تجد : اى تتجدد .

عبده الحامولى (*)

ساجعُ الشرقِ طار عن أوْكارِهِ ... وتَوَلَّى فنٌّ على آثاره(١)

غاله نافذُ الجناحين ماضٍ ... لا تَفِرُّ النسورُ من أظفاره

يطْرُق الفرخَ فى الغُصون ويَغشَى ... (لُبَدًا) فى الطويلِ من أعماره(٢)

كان مِزمارَهُ ، فأصبح داو ... دُ كئيباً يبكى على مِزماره(٣)

(عبدُهُ) بَيْدَ أن كلَّ مُغَنٍّ ... عَبْدُه فى افتنانِه وابتكاره

مَعْبَدُ الدوْلَتَيْنِ فى مصرَ ، وإسحا ... قُ (السَّمِيَّيْنِ) رَبِّ مصرٍ وجاره(٤)

فى بِساط الرشيدِ يوماً ، ويوماً ... فى حِمَى جعفرٍ وضافى سِتاره(٥)

صَفْوُ مُلْكَيْهما به فى ازديادٍ ... ومن الصَّفو أن يلوذَ بداره

يُخْرِج المالكين من حِشْمَةِ المُلْ ... كِ ، ويُنْسِى الوقورَ ذِكْرَ وَقاره

رُبَّ ليلٍ أغارَ فيه القَمارِى ... وأثارَ الحِسانَ من أقماره(٦)

(*) توفى عبده الحامولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا الى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل .

١ـ الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر ـ٢ـ لبد : اسم نسر .
٣ـ يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب المزامير .
٤ـ يشبهه بمعبد واسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار العربية . يعنى ان عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد واسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره ، والغرض ان المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد ، الى بساط الوزراء المشابهين لجعفر ـ٦ـ القمارى : جمع قمرية ، نوع من الحمام حسن التغريد . والاقمار : جمع قمر . يريد انه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار .

بصَبًا يُذْكِرُ الرِّياضَ صَباهُ ‏ ‏ ‏ وحجازٍ أرقَّ مِن أسحاره(١)

وغناءٍ يُدارُ لحْنًا فلَحْنًا ‏ ‏ ‏ كحديثِ النديمِ أو كعُقاره

وأنينٍ لو أنه من مَشوقٍ ‏ ‏ ‏ عرف السامعون مَوْضِعَ ناره

يتمنَّى أخو الهوى منه آهاً ‏ ‏ ‏ حينَ يُلْحَى تكون من أعذاره

زَفَراتٌ كأنها بَثُّ (قيسٍ) ‏ ‏ ‏ فى معانى الهوى وفى أخباره(٢)

لا يُجاريه فى تفنُّنِه العو ‏ ‏ ‏ دُ ، ولا يَشْتكِى إذا لم يُجارِه

يسمع الليلُ منه فى الفجر : ياليـ ‏ ‏ ‏ ـلُ ، فيُصْغِى مُسْتَمْهِلاً فى فِراره

فُجِعَ الناسُ يومَ مات (الحمولى) ‏ ‏ ‏ بدواءِ الهمومِ فى عَطّاره

بأبِى الفنِّ ، وابنِه ، وأخيهِ ‏ ‏ ‏ القوىِّ المكينِ فى أسراره

والأبِىِّ العفيفِ فى حالَتيْهِ ‏ ‏ ‏ والجوادِ الكريمِ فى إيثاره

يَبْخِسُ اللحنَ عن غَنِىٍّ مُدِلٍّ ‏ ‏ ‏ ويُذيقُ الفقيرَ من مُختاره(٣)

يا مُغيثًا بصوته فى الرزايا ‏ ‏ ‏ ومُعينًا بماله فى المَكاره

ومُجِلَّ الفقيرِ بين ذَويه ‏ ‏ ‏ ومُعِزَّ اليتيمِ بين صِغاره

وعِمادَ الصديقِ إن مال دهر ‏ ‏ ‏ وشِفاءَ المحزونِ من أكداره

لستَ بالراحلِ القليلِ فتُنسى ‏ ‏ ‏ واحدُ الفنِّ أمَّةٌ فى ديارِه

---

١ ــ صبا الرياض ــ بفتح الصاد ــ : نسيمها . اما كلمة « صبا » الواقعة فى اول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد ايضا ، كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ؛ وكذلك « حجاز » : نغمة معروفة فى الغناء أيضا ــ٢ــ قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى ــ٣ــ المدل بالمال: المتباهى به ، يشير هذا البيت الى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه ، انه كان يلجأ اليه الفقراء ليحيى افراح اولادهم ، فيحسن اليهم ، ويجيب طلبهم ، وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما آثر هــذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الاغنياء الكبار ، ويروى اه فى هذا الباب حكايات كثيرة .

غايةُ الدهرِ إن أتى أو تَوَلّى ما لَقيتَ الغداةَ من إدباره

نزل الجد فى الثرى ، وتساوَى ما مضى من قيامه وعِثاره

وانقضى الداءُ باليقين من الحا ئِنِ ، فالموتُ مُنتهَى إقصاره

لَهْفَ قومى على مخايلِ عزٍّ زال عنّا بروضِهِ وهَزاره(١)

وعلى ذاهبٍ من العيش ، ولَّيْـ ـتَ فولَّى الأخيرُ من أوطاره

وزمانٍ أنت الرِّضَى من بقايا ه ، وأنت العَزاءُ من آثاره

كان للناس ليلُه حينَ تشدو لحقَ اليومَ ليلُه بنهاره

١ـ الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى .

قاسم بك أمين (*)

يا أيُّها الدَّمعُ الوَفِىُّ ، بدارِ نقضى حقوقَ الرفقةِ الأخيار(١)
أنا إن أهنتُك فى ثراهم فالهوى والعهدُ أن يُبْكَوْا بدمعٍ جارى(٢)
هانوا وكانوا الأكرمين ، وغُودروا بالقَفْر بين منازلٍ ودُيار
لهفى عليهم ؛ أُسْكِنوا دورَ الثرى من بعد سُكْنَى السمعِ والأبصار
أين البشاشةُ فى وسم وجوههم والبشرُ للندماء والسُّمّار ؟(٣)
كنا من الدنيا بهم فى رَوْضةٍ مَرّوا بها كنسائم الأسحار

* * *

عطفاً عليهم بالبكاء وبالأسى فتَعهُّدُ الموتى من الإيثار(٤)
ياغائبينَ وفى الجوانح طيْفُهم أبكيكُمُ من غُيّبٍ حُضّار
بينى وبينكمُ وإن طال المدَى سَفرٌ سأزمَعُه من الأسفار
إنى أكادُ أرى محلِّىَ بينكم هذا قَرارُكُمُ ، وذاك قَرارى

* * *

أوَكُلّما سَمح الزمانُ وبُشِّرَت مصرٌ بفردٍ فى الرجال مَنار(٥)
فُجِعَتْ به ، فكأنه وكأنها نجمُ الهدايةِ لم يَدُمْ للسارى ؟

(*) المرحوم قاسم بك امين هو الزعيم صاحب دعــوة تحرير المرأة فى مصر ، وقد توفى فى سنة ١٩٠٩ .

١ــ بدار : يعنى بادر ــ٢ــ يقول : ان الذين ابذل دمعى واهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى ، وليس عجيبا أن يبكى الانسان أهل حبه وهواه . ٣ــ السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصدقاء بالليل ــ٤ــ الايثار : هو ان تعطى لغيرك ما أنت محتاج اليه ــ٥ــ المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق .

إنّ المصيبةَ فى (الأَمين) عظيمةٌ مَحمولةٌ لمشيئةِ الأقدارِ

فى أَرْيَحىٍّ ماجدٍ مُسْتَعْظَمٌ رُزْءُ الممالكِ فيه والأَمصار

أَوْفَى الرجالِ لعهدِه ولِرأْيه وأَبَرّهم بصديقهِ والجار

وأَشَدّهم صَبرًا لمعتقَداته وتـأَدُّباً لمجادلٍ ومماری

يَسقِى القرائحَ هادئاً مُتواضعاً كالجَدول المُترقْرِقِ المتوارى

قلْ للسَّماءِ تَغُضُّ من أَقمارها تحت الترابِ أَحاسنُ الأَقمار

من كل وضَّاءِ المآثر فائتٍ زُهرَ النجومِ بذهْره السيار

تمضى الليالى لا تنال كمالَه بمعيب نقصٍ أَو مَشينِ سِرار(١)

آثارُه بعدَ المواتِ حياتُه إنَّ الخلودَ الحقَّ بالآثار

يَامَنْ تفرَّد بالقضاءِ وعِلمِه إلا قضاءَ الواحدِ القهّار

ما زلتَ ترجوه ، وتخشى سهْمَه حتَّى رمَى فأَحطْتَ بالأَسرار

هلا بُعثتَ فكنت أَفصحَ مخْبِرًا عمَّا وراءَ الموتِ من (لازار) ؟(٢)

انفُضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى فعَسَاىَ أَعلمُ ما يكون غُبارى

هذا القضاءُ الجِدُّ ، فارْوِ ، وهات عن

حُكْمِ المنيةِ أَصدقَ الأَخبار

كلٌّ وإن شَغَفَتْهُ دُنياه هوًى يوماً مُطلِّقُها طلاقَ (نَوار)(٣)

لله (جامعةٌ) نَهضْتَ بـأَمرها هى فى المشارق مَصدرُ الأَنوار(٤)

١ــ سرار ــ بفتح السين وكسرها ــ : مشتق من قولهم : استسر القمر ، اذا خفى ليلة السرار ، وهى آخر ليلة او ليلتين فى الشهر ــ٢ــ لازار أو عازار : اسم الرجل الذى أحيـاه سـيدنا عيسى ، ويقـول لو بعثت لكنت أفصح فى اخبارك عن الموت من هذا الرجل ــ٣ــ نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجـة الفرزدق الشاعر، فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم ــ٤ــ هى الجامعة المصرية ، وكان للفقيد فضل مذكور فى انشائها .

أُمْنيّةُ العُقلاء قد ظفِروا بها   بعد اختلافِ حوادثٍ وطَوارى
والعقلُ غايةُ جَرْيه لأَعنَّةٍ   والجهلُ غايةُ جَرْيه لعِثَار
لو يعلمون عظيمَ ما تُرْجى له   خرجَ الشحيحُ لها من الدينار
تشْرِى المماللكُ بالدّم استقلالَهَا   قوموا اشتروه بفضَّةٍ ونُضار
بالعلم يُبنى الملكُ حقَّ بِنائه   وبه تُنال جلائلُ الأَخطار
ولقد يُشاد عليه من شُمِّ العُلا   ما لا يُشادُ على القنا الخطَّار(١)
إن كان سَرَّك أن أقمتَ جِدارها   قد ساءها أن مالَ خيرُ جِدار
أضحت من الله الكريم بذمّةٍ   مَرْموقةِ الأَعوانِ والأَنصار
كُلِئَتْ بأَنظار (العزيزِ) ، وحُصِّنَتْ   (بفؤادَ) ؛ فهى مَنيعةُ الأَسوار(٢)
وإذا العزيزُ أعارَ أمرًا نظرةً   فاليمنُ أعجلُ ، والسُّعودُ جَوارى
ماذا رأيتَ من الحجاب وعُسرِه   فدعَوْتنا لِترَفُّقٍ ويَسار ؟
رأىٌ بَدا لك لم تجدْه مُخالفاً   ما فى الكتاب وسُنَّةِ المختار
والباسِلان : شجاعُ قلبٍ فى الوَغى   وشُجَاعُ رأىٍ فى وَغى الأَفكار
أَوَدِدْت لو صارت نساءُ النيلِ ما   كانت نساءُ (قُضاعةٍ) و(نِزار) ؟(٣)
يَجمعن فى سِلْم الحياةِ وحربِها   بأْسَ الرِّجالِ وخَشْيةَ الأَبكار
إن الحجابَ سماحةٌ ويَسارةٌ   لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى
جَهِلوا حقيقتَه وحِكْمة حُكمه   فتجاوزوه إلى أذًى وضِرار

* * *

١ــ الخطار : اى المهتز واهتزاز القنا : كناية عن استعداده للقتال .
٢ــ العزيز : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوى عباس وقتئذ . وفؤاد ، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول ــ٣ــ ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات ، وانما المقصود المراة العربية الموصوفة فى البيت التالى .

يا قُبّة (الغورى) تحتكِ مأتمٌ ... تَبقى شعائرُه على الأدهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المدى ... إن فاتهم إحياؤه فى دار
هيهات! تُنسَى أمةٌ مدفونةٌ ... فى أربعين من الزمان قِصار
إن شئتَ يوماً أو أردت فحقبةً ... كلٌّ يمرُّ كليلةٍ ونهار
هاتوا ابنَ (ساعدةٍ) يُؤبِّنُ قاسماً ... وخذوا المراثِىَ فيه من (بَشّار)(١)
من كلِّ لائقةٍ لباذخ قدرِه ... عَصماءَ بينَ قلائدِ الأشعار

١ـ ابن ساعدة، هو قس بن ساعدة الايادى، احد خطباء العرب الحكماء، يضرب به المثل فى بلاغة الخطب. وبشار: هو بشار بن برد الشاعر المشهور. يقول ان قاسما لا يؤبنه الا امثال قس من الخطباء وامثال بشار من الشعراء.

تولستوی (*)

(تولستویُ)، تُجرِی آیةُ العلمِ دمعهَا علیك: ویَبکی بائسٌ وفقیرُ

وشعبٌ ضعیفُ الرکنِ زال نَصیره وما کلَّ یومٍ للضعیف نصیر

ویَندُب فلَّاحون أنت مَنارُهم وأنت سراجٌ غیَّبوه مُنیر

یعانونَ فی الأکواخِ ظُلماً وظُلمةً ولا یملکون البثَّ وهْوَ یسیر

تطوف کعیسی بالحنان وبالرضی علیهم. وتَغْشَی دورَهم وتزور

ویَأْسَی علیك الدِّینُ، إذ لك لُبُّه وللخادمین الناقمین قُشور

أیکفر بالإنجیل مَنْ تلك کُتْبُه أناجیلُ منها مُنذِرٌ وبَشیر ؟

ویبکیك إلفٌ فوق (لیلی) ندامةً غداةَ مشی (بالعامریِّ) سَریر

تناولَ ناعیكَ البلادَ کأنَّه یراعٌ له فی راحَتَیْك صَریر(١)

وقیل: تولَّی الشیخُ فی الأرض هائماً وقیل: (بدَیْرِ) الراهباتِ أَسیر

وقیل: قَضَی لم یُغْنِ عنه طبیبهُ وللطبِّ من یطشِ القضاء عَذیر

إذا أنت جاورْت (المعرِّیَّ) فی الثری وجاور(رَضْوَی) فی التراب(ثَبیر)(٢)

وأقبلَ جمعُ الخالدینَ علیْکما وغالَی بمقدار النظیرِ نظیر

جَماجِمُ تحتَ الأَرضِ عَطَّرها شذًی جَنَاهُنَّ مسكٌ فوقها وعَبیر

بهنّ یُباهِی بطنُ (حَوَّاء)، واحتوَی علیهن بطنُ الأَرضِ وهْوَ فَخور.

(*) تولستوی: هو الفیلسوف الروسی الشهیر، کان عالما عاملا بما یقول، فتخلی عن ماله الجم لیساوی نفسه بالفقراء، ولعل روایاته ومؤلفاته کانت الأناجیل الاولی للثورة الاخیرة فی روسیا وقد توفی سنة ١٩١٠ وهو شیخ کبیر.

١ـ الصریر: التصویت. والیراع: القلم ـ٢ـ المعری: هو ابو العلاء المعری، وشعره الفلسفی الاجتماعی مشهور. ورضوی وثبیر علمان علی جبلین: أولهما بالمدینة وثانیهما بمکة: یرید تشبیهه هو والمعری بهذین الجبلین.

فقُلْ ياحكيمَ الدهر حَدِّثْ عن البِلَى ... فأنت عليمٌ بالأُمور خبير
أحطْتَ من الموتى قديماً وحادثاً ... بما لم يُحَصِّلْ مُنْكرٌ ونكير :(١)
طوانا الذى يطوى السمٰواتِ فى غدٍ ... ويَنشُرُ بعدَ الطىِّ وهْو قدير(٢)
تقادم عَهدانا على الموتِ ، واسْتوى ... طويلُ زمانٍ فى البِلَى وقصير
كأَنْ لم تَضِقْ بالأمس عَنِّى كنيسةٌ ... ولم يُؤْوِنى دَيْرٌ هناك طَهور
أرى راحةً بين الجنادلِ والحصى ... وكلُّ فِراشٍ قد أَراح وَثير(٣)
نظرنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ ... وكنَّا كِلانا فى الحياة ضَرير
إليكَ اعترافى ، لا لقَسٍّ وكاهنٍ ... ونجْوايَ بعدَ اللهِ وهْوَ غفور
فزهدُك لم يُنْكِرْه فى الأَرض عارفٌ ... ولا مُتعالٍ فى السماء كبير
بيانٌ يُشَمُّ الوحيُ من نفحاته ... وعلمٌ كعلم الأنبياء غَزير
سلكتُ سبيلَ المُتْرَفِينَ ، ولذَّ لى ... بنونَ ومالٌ ، والحياةُ غُرور
أداةُ شتائى الدفْءُ فى ظلِّ شاهقٍ ... وعُدَّةُ صيفى جَنَّةٌ وغَدير
ومُتِّعْتُ بالدنيا ثمانين حِجَّةً ... ونضْر أيَّامى غِنًى وحُبور
وذكرٌ كضوءِ الشمسِ فى كلِّ بَلدةٍ ... ولا حَظَّ مثلُ الشمسِ حينَ تَسير
فما راعنى إلا عَذارَى أجَرْنَنى ... ورُبَّ ضعيفٍ تحتَمِى فيُجير
أردْتُ جِوارَ اللهِ والعمرُ مُنْقضٍ ... وجاورتُه فى العمر وهْوَ نَضير
صِبًا ، ونعيمٌ بين أهلٍ ومَوْطنٍ ... ولذَّاتُ دنيا ، كلُّ ذاك نَزور(٤)
بهنّ — ومايدريز . ما الذنبُ؟ — خشيةٌ ... ومن عَجَبٍ تَخْشَى الخطيئةَ حُور(٥)

١— يريد انه كان يعرف اشرار النفوس جد المعـرفة —٢— النشر : هو البعث من الموت ، وهو أيضا ضد الطى —٣— الفراش الوثير : اللين الناعم . ٤— نزور : اى قليل —٥— الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحِشٍ ... ولله أنسٌ فى القلوب ونُور

وأشبهُ طُهْرٍ فى النساء بِمَرْيَمٍ ... فتاةٌ على نَهج المسيحِ تسير

تُسائلُنى : هل غيَّر الناسُ مابهم ؟ ... وهل حَدَثَتْ غيرَ الأمور أمور ؟

وهل آثر الإحسانَ والرفقَ عالمٌ ... دواعى الأذى والشرُّ فيه كثير ؟

وهل سلكوا سُبْلَ المحبَّةِ بينهم ... كما يتصافى أسرةٌ وعَشير ؟

وهل آنَ مِنْ أهل الكتابِ تسامُحٌ ... خَليقٌ بآدابِ الكتابِ جَدير ؟

وهل عالجَ الأحياءُ بؤساً وشِقوَةً ... وقلَّ فسادٌ بينهم وشرور ؟

قِم انظر وأنت المالِئُ الأرضَ حكمةً ... أأجدى نظيمٌ ، أم أفادَ نَثير ؟

أناس كما تدرى ، ودنيا بحالها ... ودهرٌ رَخِيٌّ تارةً وعَسير

وأحوالُ خلقٍ غابرٍ مُتجدِّدٍ ... تشابه فيها أوَّلٌ وأخير

تمرّ تباعا فى الحياة كأنها ... ملاعبُ لا تُرْخَى لهن سُتور

وحرصٌ على الدنيا ، ومَيلٌ مع الهوى ... وغِشٌ ، وإفكٌ فى الحياةِ ، وزُور

وقام مقامَ الفردِ فى كلِّ أمّةٍ ... على الحكم جَمٌّ يستبدٌ غَفير

وحُوِّر قولُ الناس : مَوْلًى وعَبْدُه ... إلى قولهم : مُستأجِرٌ وأجير

وأضحى نفوذُ المال لا أمرَ فى الورى ... ولا نَهْى إلا ما يرَى ويُشير

تساسُ حكوماتٌ به وممالكٌ ... ويُذْعِن أقيالٌ له وصدور(١)

وعصرٌ بنوه فى السلاحِ ، وحِرْصُهُ ... على السلم يُجْرِى ذكرَه ويُدير

ومن عجبٍ فى ظلِّها وهْوَ وارفٌ ... يُصادف شعبا آمناً ، فيُغير

ويأخذُ من قوت الفقيرِ وكَسْبِه ... ويؤوِى جيوشاً كالحصى ويَمير

ولما استقلّ البرَّ والبحرَ مذهباً ... تَعَلَّقَ أسبابَ السماء يطير

١ــ اقيال : جمع قيل ، وهو الملك . والصدور : جمع صدر ، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قِفوا بالقبور نُسائِلْ عُمَرْ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرْ ؟
سلوا الأرضَ: هل زُيِّنتْ للعليـــــم ؟ وهل أُرِّجَتْ كالجِنانِ الحُفَر ؟
وهل قام (رضوانُ) من خلفها يُلاقى الرَّضِيَّ النَّقِيَّ الأَبرّ ؟
فلو علِمَ الجمعُ مِمَّنْ مَضَى تنَحَّى له الجمعُ حتى عَبر
إلى جَنَّةٍ خُلِقَتْ للكريم ومَن عَرَفَ اللهَ ، أو مَنْ قَدَر

* * *

برَغْمِ لتـاوبِ وحبَّاتِها ورَغْمِ السماعِ ، ورَغْمِ البصر
نزولُكَ فى التُّرْبِ زَيْنَ الشبابِ سناءَ « النَّدِىِّ » سَنَى « المؤتمر »(١)
مُقيلَ الصديقِ إذا ما هَفا مُقيلَ الكريمِ إذا ما عثر
حَيِيتَ فكنتَ فخارَ الحياةِ ومُتَّ فكنتَ فخارَ السِّير
عجيبٌ رَداكَ ؛ وأعجبُ منه حياتُك فى طولها والقِصَر
فما قبلَها سمعَ العالمون ولا علموا مُصحفًا يُختصر
وقد يَقتلُ المرءَ همُّ الحياةِ وشغلُ الفؤادِ ، وكدُّ الفِكر
دَفَنَّا التجاربَ فى حُفرةٍ إليها انتهى بك طولُ السَّفر
فكم لكَ كالنَّجم من رِحلةٍ رأى البدوُ آثارَها والحَضَر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا، كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

١ — الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذى اقامه أعيان المسلمين فى هليوبوليس ، ردا على المؤتمر الذى اقامه اعيان الاقباط فى اسيوط . والسناء — بالمد — : الضوء ، — وبالقصر — : الرفعة .

«نِقاباتُك» الغُرُّ تَبكى عليك ويَبكى عليك «النَّدِىُّ» الأغر
ويبكى فريقٌ ، تخيَّرتَه شَريفَ المَرامِ ، شَريفَ الوَطَر
ويَبكى الأُلَى أنتَ علَّمتَهُمْ وأنت غرسْتَ ، فكانوا الثمر
حَياتُك كانَتْ عِظاتٍ لهم ومَوتُك بالأَمسِ إحدى العِبَر
سَهِرنا قُبَيْلَ الرَّدى ليلةً وما دارَ ذكرُ الرَّدى فى السمر(١)
فقمتَ إلى حفرة هُيِّئَتْ وقمتُ إلى مثلِها تُحْتَفَر
مَددتُ إليك يدًا للوَداع ومدَّ يدًا للِّقاء القدَر
ولو أنَّ لى علمَ ما فى غدٍ خَبَأْتُك فى مُقْلتِى مِن حذَر
وقالوا : شَكَوْتَ ، فما راعنى وما أَوَّلُ النارِ إلا شَرَر
رثيتُك لا مالكًا خاطرى من الحُزن ، إلا يسيرًا خطر(٢)
ففيك عرفتُ ارتجالَ الدُّموعِ ومنك عَلِمْتُ ارتجالَ الدُّرر
بمثلك يُرثَى بآىِ الكتابِ ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فيا قبرُ ، كنْ روضةً من رِضًى عليه ، وكنْ باقةً من زهَر
سقتْك الدموعُ ، فإن لم يَدُمْنَ كعادتِهِنَّ سقاك المطر

١ــ السمر : حديث الليل ــ٢ــ يريد : لا مالكا من خاطرى الا بقية قليلة الخر لا تغنى فى رثائك .

عمر بك لطفى (*)

اليومَ أَصْعَدُ دونَ قبرِكَ مِنْبَرا ... وأُقلِّدُ الدنيا رِثاءَك جَوْهَرَا
وأَقصُّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ ... تتقدَّم العلماءَ فيه مسَطَّرا
ذكرًا لفضلك عندَ مصرَ وأَهلِها ... والفضلَ من حُرُماتِه أَن يُذْكَرا
العلمُ لا يُعْلِي المراتبَ وحدَه ... كم قدَّم العملُ الرجالَ وأَخَّرا
والعلمُ أَشبهُ بالسماء رجالُه ... خُلِطَتْ جَهاماً فى السحاب ومُمْطِرا
طُفنا بقبرِكَ ، واستلمنا جَنْدلاً ... كالركنِ أَزْكَى ، والحَطيمِ مُطهَّرا (١)
بين التشرُّفِ والخشوع ، كأَنَّما ... نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوَّرا
لو أنصفوكَ جنادلاً وصفائحًا ... جعلوكَ بالذكر الحكيم مُسَوَّرا
يامَنْ أَرانى الدهرُ صحةَ وِدِّه ... والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفْتَرى
وسمعتُ بالخُلُقِ العظيمِ روايةً ... فأَرانى الخلقَ العظيمَ مُصَوَّرا
ماذا لقيتَ من الرُّقاد وطوله ؟ ... أَنا فيك أَلقى لوعةً وتحسُّرا
نَمْ ما بَدا لك آمناً فى منزلٍ ... الدهرُ أَقصرُ فيه من سِنَةِ الكَرَى
مازلتَ فى حَمْدِ الفِراشِ وذمِّه ... حتى لقيتَ به الفِراشَ الأَوْثرا(٢)
لا تَشكُوَنَّ الضُّرَّ من حشراته ... حشراتُ هذا الناسِ أَقبحُ مَنظرا
ياسيِّدَ (النادى) وحاملَ همِّه ... خلَّفتَه تحت الرَّزِيَّةِ مُوقَرا(٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى فى حفلة اقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الاربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الارتجال .

١ـ يقول : اننا نطوف بقبرك ونستلم احجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين ـ٢ـ الفراش الاوثر : هو الفراش الاكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر ـ٣ـ النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا : اى مثقلا بما يحمله من فقدك .

شهدَ الأعادى كم سَهِرْتَ لمجده ... وغدَوْتَ فى طلب المزيدِ مُشمِّرا
وكم اتَّقيْتَ الكَيْدَ واستدفعْته ... ورميْتَ عُدْوانَ الظنونِ فأقصرا
ولَبِثْتَ عن حَوْضِ الشَّبيبة ذائدًا ... حتى جزاكَ اللهُ عنه الكَوْثرا
شُبانُ مصرَ حِيالَ قبرِكَ خُشَّعٌ ... لا يملكون سوى مدامعهم قِرى (١)
جمعَ الأسى لك جمعَهم فى واحدٍ ... كان الشبابَ الواجدَ المُسْتعْبِرا(٢)
لولاك ما عرفوا التعاوُن بينهم ... فيما يسُرُّ ، ولا على ما كدَّرا
حيث التفَتَّ رأيتَ حولك منهمُ ... آثارَ إحسانٍ وغرساً مُثمِرا
كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمةٍ ... والعقلُ بينهما يُباع ويُشْترَى
تمشى إلى الأكواخ ترشِد أهلَها ... مشىَ الحواريِّينَ يَهْدون القُرى(٣)
متواضعاً لله بينَ عِبادِه ... واللهُ يبغض عبدَه المتكبِّرا
لم تَدْرِ نفسُك : ماالغُرورُ ؟ وطالما ... دخل الغُرورُ على الكبار فصغَّرا
فى كلِّ ناحيةٍ تَخُطُّ نِقابةً ... فيها حياةُ أخى الزراعةِ لو دَرَى
هى كيمياؤُكَ ، لاخُرافَةُ (جابرٍ) ... تَذَرُ المُقِلَّ من الجماعة مُكْثِرا(٤)
والمالُ لا تجنِى ثِمَارَ رءُوسِه ... حتى يصيبَ من الرءُوس مُدَبِّرا
والملكُ بالأموالِ أمنعُ جانبًا ... وأعزُّ سلطاناً ، وأصدقُ مَظهرا
إنا لَفى زمنٍ سِفاهُ شعوبِه ... فى ملكهم كالمرءِ فى بيت الكِرا(٥)

---

١ — القرى — بكسر القاف — : مايقدم للضيف من اكرام ونحوه .
٢ — الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى —٣— الحواريون : هم أصحاب عيسى ابن مريم —٤— جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير أو هو الذى لايملك الاشيئا قليلا —٥— بيت الكرا : هو بيت الأجرة .

أسِواكَ مِنْ أهلِ المبادىء مَنْ دَعا ... للجِدِّ ، أوجمعَ القلوب النفرا ؟
الموتُ قبلَكَ فى البَريَّةِ لم يَهَبْ ... طَه الأمين ، ولا يسوع الخيِّرا(١)

* * *

لما دُعيتُ أتيتُ أنثُرُ مَدْمَعِى ... ولو استطعتُ نثرْتُ جَفنى فى الثرى
أبكى يمينَكَ فى التراب غمامة ... والصَّدْرَ بحراً ، والفؤادَ غضَنْفَرا
لم أُعْطَ عنكَ تَصَبُّراً ، وأنا الذى ... عزَّيْتُ فيك عن الأمير المَعْشَرا(٢)
أزِنُ الرجالَ ، ولى يَراعٌ طالما ... خلَع الثناءَ على الكرام مُحَبَّرا
بالأمسِ أرسلْتُ الرثاء مُمَسَّكاً ... واليومَ أهتِفُ بالثناء مُعَنْبَرا
غيَّرْتَنى حزناً ، وغيَّرك البِلَى ... وهواك يأبَى فى الفؤاد تغيُّرا(٣)
فعَلَىَّ حفظُ العهد حتى نَلتقى ... وعليك أن ترعاه حتى نُحشَرا

---

١ — يسوع : المسيح —٢— كان امير الشعراء هو نائب الخديو عباس فى تعزية الفقيد — ٣ — يشير الى قصيدته السابقة فى الفقيد

الأميرة (*)

حَلَفْتُ بالمُسْتَّرَهْ والرَّوْضةِ المعطَّرَهْ(١)
ومجلسِ الزَّهراء فى الـ حظائر المنوَّرة(٢)
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبَةِ المطهَّره
ما أنزَلوا إلى الثَّرَى بالأمس إلا نَيِّره(٣)
سيروا بها تَقِيَّةً نقيةً مُبرَّره
تُجِلُّ سِتْرَ نَعْشِها كالكُسْوَةِ المُسَيَّره(٤)
ونَنْشَقُ الجنَّةَ من أعوادِه المُنضَّره

* * *

فى موكِبٍ تَمَثَّلَ الـ حقُّ فكان مَظْهَرَه
دع الجنودَ والبنو دَ والوفودَ المُحْضَره
وكلَّ دمعٍ كَذِبٍ ولَوْعَةٍ مُزَوَّره
لا ينفع الميْتَ سوى صالحةٍ مُدَّخَره
قد تُرْفَعُ السُّوقةُ عنـ دَ اللهِ فوقَ القَيْصَرَه

* * *

(*) هى الأميرة فاطمة اسماعيل ، كان لها الفضل الاول فى تأسيس وانشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت الى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠ .

١ـ المسترة : الكعبة ـ٢ـ يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه ، ومجلسها فى حجرات النبوة ـ٣ـ نيرة : هى واحدة النجوم النيرة ـ٤ـ الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر الى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الاجلال ـ٥ـ القيصرة : علم كل ملكة للروم . والقيصر : علم على ملكها .

يا جزَعَ العِلْمِ على (سُكَيْنَة) المُوقَّره!(١)
أمسى بربْعٍ مُوحِشٍ منها ودارٍ مُقْفِره
من ذا يُؤسِّى هذه الـ جامعةَ المُسْتَعْبِره(٢)
لوعِشْتِ شِدْتِ مثلَها للمرأةِ المحرَّره
بنيتِ رُكنَيْها ، كما يبنى أبوكِ المَأْثُرَه
قرنْتِ كلَّ حجرٍ فى أُسِّها بجوهَره
مَفخرةٌ لبيتكم كم قبلها من مَفخرة !

* * *

يابنتَ إسماعيلَ ، فى الـ ميْتِ لحىٍّ تَبْصِره(٣)
أكان عندَ بيتِكم لهذه الدنيا تِرَه ؟(٤)
هلَّا وصَفْتِها لنا مُقبلةً ومُدبره ؟
ولونَها صافيةً وطعمَها مكدَّره ؟
كالحلم ، أوكالوهم ، أو كالظلِّ ، أو كالزَّهَرَه ؟

* * *

(فاطمُ) ، مَنْ يُولَدْ يمُتْ المهدُ جسرُ المقبره(٥)
وكلُّ نفسٍ فى غدٍ مَيِّتةٌ فمُنْشَره
وإنه مَنْ يَعملِ الـ خيرَ أو الشَّرَّ يَرَه

١ـ يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب .
٢ـ المستعبرة : اى الباكية لفقدها عطفك ـ٣ـ التبصرة : بمعنى الموعظة .
٤ـ ترة : هى الثار ـ٥ـ فاطم : اى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرىء القيس .

* افاطم مهلا بعض هذا التدلل *

وإنما يُنَبِّهُ الـ غافلُ عندَ الغَرْغَرَة(١)
يَلفِظها حَنظلةً كانت بفِيهِ سُكَّره(٢)
ولن تَزالَ من يَدٍ إلى يَدٍ هٰذى الكُرَه

* * *

أين أبوكِ ؟ مالُه وجاهُه ، والمقدره ؟
وادى النَّدَى ، وغَيْثُه وعَيْنُه المُفَجَّره(٣)
أين الأُمورُ ، والقصو رُ ، والبدورُ المُخْدَره ؟
أين الليالى البيضُ ، والـ أُصائلُ المزَعْفَره ؟(٤)
وأين فى ركن البِلا دِ يَدُه المُعَمِّره ؟
وأين تلك الهِمَّةُ الـ ماضيةُ المشمِّره ؟
تبغى لمصر الشرق أو أكثرَهُ مُستعمَرَه
جرى الزمانُ دونَها فردّه وأعثَره
فإن همَمْتَ فاذكر الـ مَقادرَ المُقَدَّره
مَن لا يُصِبْ فالناسُ لا يَلتمسون المعذِرَة

١ــ الغرغرة : وقت حشرجة الروح فى الصدر ــ٢ــ يلفظها : اى يلفظ الحياة ــ٣ــ الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع ــ٤ــ الأصائل : الوقت من بعد العصر الى المغرب . والمزعفـرة : اى الملـونة بلون الزعفـران . والليالى البيض والأصائل المزعفرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَنْ له أثَرْ وحياةٌ مِنَ السِّيَرْ
أَدْعُه غائباً ، وإن بعُدَتْ غايةُ السفر
آيبُ الفضلِ كلّما آبتِ الشمسُ والقمر (١)
رُبَّ نورٍ مُتمّمٍ قد أتانا مِنَ الحُفَر (٢)
إنما الميْتُ مَنْ مشى ميتَ الخيرِ والخبَر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِدْ وإذا مات لم يَضِر
ليس فى الجاهِ والغِنَى منه ظِلٌّ ولا ثمر
قبُح العِزُّ فى القُصو رِ إذا ذَلَّتِ القَصَر

* * *

أعْوَزَ الحقٌّ رائدٌ وإلى (مصطفى) افتَقَر
وتمنّت حِياضُه هَبَّةَ الصارِمِ الذَّكَر
الذى يُنْفِذُ المُدى والذى يَركبُ الخطر (٣)
أيُّها القومُ ، عظِّموا واضعَ الأُسٍّ والحجر
أُذكروا الخُطبةَ التى هى من آيِهِ الكُبَر (٤)

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هذه احداها ، وقد القيت فى الاحتفال الذى اقيم تمجيدا لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

١ــ يقول : فى كل أوبة شمس ، وفى كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد فضل، ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتا ، وغاية الأمر انه غائب فى سفر بعيد ــ٢ــ الحفر : القبور ــ٣ــ الذى ينفذ المدى : يراد به صاحب الطعنات النافذة ــ٤ــ يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع.

لم يَرَ الناسُ قبلَها مِنبرًا تحتَ مُحْتَضَر
لستُ أنسَى لِواءَه وهو يَمشِى إلى الظَّفَر
حَشَرَ الناسَ تحتَه زُمَرًا إثرَها زُمَر
وتَرى الحقَّ حولَه لا ترى البِيضَ والسُّمُر(١)
كلَّما راح أو غَدا نَفَخَ الرُّوحَ فى الصُّوَر

* * *

يا أخا النَّفْسِ فى الصِّبا لَذَّةَ الروحِ فى الصِّغر
وخليلاً ذَخَرْتُه لم يُقَوَّمْ بمُدَّخَر
حالَ بينى وبينه فى فُجاءاتِه القَدَر
كيف أجزِى مَوَدَّةً لم يَشُبْ صَفْوَها كدَر ؟
غيرَ دَمْعٍ أقولهُ قَلَّ فى الشَّأنِ أو كَثُر ؟
وفُؤادٍ مُعَلَّلٍ بالخيالات والذِّكَر ؟
لم ينم عنك ساعةً فى الأحاديث والسَّمَر ؟
قُمْ تَرَ القومَ كتلةً مثلَ مَلمومةِ الصَّخر(٢)
جَدَّدوا أُلفةَ الهوى والإخاءَ الذى شُطِر
ليس للخُلْف بينهم أو لأسبابه أثر
ألَّفتْهم روائحٌ غادياتٌ من الغِيَر

---

١ — البيض : السيوف . والسمر : الرماح — ٢ — ملمومة : بمعنى مجتمعة ، ويقال للدرع : ملمومة ، وكذا يقال للكتيبة — وهى الفرقة من الجيش — ملمومة ايضا .

وصحَوْا من مُنوَّمٍ وأفاقوا من الخَدَر(١)

أقبلوا نحوَ حقِّهم ما لهم غيْرَه وَطَر

جعلوه خَلِيَّةً شرعوا دونَها الإِبَر(٢)

وتواصَوْا بخطَّةٍ وتداعَوْا لموتمر(٣)

وقُصارَى أولي النُّهَى يَتلاقوْنَ في الفِكَر

آذنونا بموقفٍ من جلالٍ ومن خَطَر

نسمع الليثَ عنده دون آجامه زأر

قُلْ لهم في نَدِيِّهم : مصرُ بالباب تنتظِر(٤)

---

١ — الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح —٢— الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الأبر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، اذا انتضاه من غمده —٣— تدعوا : تجمعوا —٤— يريد بالندى : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيأ .

المنفلوطى (*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وَداعِ	ونعاكَ فى عَصْفِ الرياحِ الناعى (١)
هتف النُّعاةُ ضُحًى ، فأَوْصَدَ دونهم	جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأَسماعِ
مَنْ ماتَ فى فَزَعِ القيامةِ لم يَجِدْ	قدَماً تُشَيِّع أو حفاوة ساعى
ما ضرَّ لو صبَرتْ ركابُك ساعةً	كيف الوقوفُ إذا أهاب الداعى؟
خلِّ الجنائزَ عنك ، لا تحفِل بها	ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاعِ
سِرْ فى لواءِ العبقريّةِ ، وانتظِمْ	شتَّى المواكب فيهِ والأَتباعِ
واصعد سماءَ الذكر من أسبابها	واظهر بفضلٍ كالنهار مُذاعِ
فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ	لَبِقٍ بوشْيِ المتعاتِ صَناعِ
مَرموقِ أسبابِ الشبابِ وإن بَدَتْ	للشيب فى الفَودِ الأَحَمِّ رَواعى (٢)
تتخيلُ المنظومَ فى منشوره	فتراهُ تحت روائعِ الأَسجاعِ
لم يَجْحَدِ الفُصحَى ، ولم يَهجُم على	أسلوبها ، أو يُزْرِ بالأَوضاعِ
لكنْ جرَى والعصرَ فى مِضمارِها	شَوْطاً ، فأَحْرَزَ غايةَ الإبداعِ
حُرُّ البيانِ ، قديمُه وحديثُه	كالشمسِ جِدَّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ
يونانُ لو بُعِثت (بهوميرٍ) لما	خَسِرَتْ — لعَمْرُكَ — صَفْقَةُ المبتاعِ

* * *

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى ، اشتهر بأسلوب انشائى خاص لفت اليه أنظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

١ — يشير بيوم الهول الى ان وفاة الفقيد كانت فى يوم اطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا —٢— الفود : احد الفودين ، وهما جانبا الرأس من الامام ، والأحم : الاسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

يا مُرسلَ (النظراتِ) فى الدنيا وما ... فيها على ضَجَرٍ وضِيقِ ذِراع (١)

ومُرَقْرِقَ (العبراتِ) تجرى رِقَّةً ... للعالم الباكى من الأوجاع (٢)

مَنْ ضَاقَ بالدنيا فليس حكيمَها ... إنَّ الحكيمَ بها رَحيبُ الباع

هِىَ والزمانُ بأرضِهِ وسمائِه ... فى لُجَّةِ الأقدارِ نِضْو شِراع (٣)

مَنْ شَذَّ ناداه إليه فردَّهُ ... قَدَرٌ كراعٍ سائقٍ بقطاع (٤)

ما خَلْفَهُ إلا مَقودٌ طائعٌ ... مُتلفِّتٌ عن كبرياءِ مُطاع

جبارُ ذِهْنٍ ، أو شديدُ شكيمةٍ ... يمضى مُضِىَّ العاجزِ المُنصاع

مِن شَوْهَةِ الدنيا إليك فلم تَجِدْ ... فى الملكِ غيرَ مُعذَّبين جِياع ؟

أبكل عينٍ فيه أو وَجْهٍ ترى ... لمحاتِ دمعٍ أو رسومَ دِماع ؟ (٥)

ما هكذا الدنيا ، ولكنْ نُقْلَةٌ ... دمعُ القَريرِ وعَبْرَةُ المُلتاع

لا الفقرُ بالعَبَراتِ خُصَّ ولا الغنى ... غِيَرُ الحياةِ لهنَّ حُكْمٌ مشاع (٦)

ما زالَ فى الكوخِ الوضيعِ بَواعِثٌ ... منها ، وفى القصرِ الرفيعِ دَواعِى

فى القفرِ حَيَّاتٌ يُسيِّبها به ... حاوى القضاءِ ، وفى الرياضِ أفاعِى

ولَرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقنَّعٍ ... أرْبَى على بُؤْسٍ بغير قِناع

* * *

١ـ النظرات : اسم كتاب للفقيد ـ٢ـ العبرات : اسم كتاب له أيضا .

٣ـ نضو شراع : اى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط ـ٤ـ القطاع : طائفة من الغنم ؛

٥ـ رسوم دماع : اى آثار تبدو فى مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا فى موضع مسيلها ـ٦ـ غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

يا (مصطفى) البلغاء ، أىّ يَراعةٍ فقدوا ؟ وأىّ مُعلِّمٍ بيَراع ؟
اليومَ أبصرتَ الحياةَ ، فقلْ لنا : ماذا وراءَ سرابِها اللمّاع ؟
وصِفِ المنونَ ، فكم قعدْتَ ترى لها شَبَحًا بكلِّ قرَارة ويَفاع(١)
سكن الأَحبّةُ والعِدَى ، وفَرغْتَ مِنْ حِقْدِ الخُصوم ، ومِنْ هوى الأَشياع
كم غارةٍ شَنُّوا عليكَ دفعْتَها تصِلُ الجهودَ فكُنْ خيرَ دِفاع
والجهدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمَارُه والجهدُ بعدَ الموتِ غيرُ مُضاع
فإذا مضى الجيلُ المِراضُ صدورُه وأتى السليمُ جوانبَ الأَضلاع
فافزعْ إلى الزمن الحكيم ، فعنده نقْدٌ تنزَّهَ عن هوى ونِزاع
فإذا قضى لك أُبْتَ مِن شُمِّ العُلا بثَنِيَّةٍ بَعدَت على الطّلّاع(٢)
وأَجلُّ ما فوقَ الترابِ وتحتَه قلمٌ عليه جَلالةُ الإِجماع
تلك الأَناملُ نام عنهنّ البِلَى عُطِّلْنَ من قلمٍ أَشمَّ شُجاع
والجبنُ فى قلم البليغِ نظيرُه فى السيف مَنْقَصَةٌ وسوءُ سماع

---

١ — اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد — ٢— الثنية : الطريق فى أعالى الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفضتُ لِعِزَّةِ الموتِ اليَراعا ... وجَدَّ جلالُ مَنْطِقِهِ ، فراعا
كفَى بالموتِ للنُّذُرِ ارتجالاً ... وللعَبَراتِ والعِبَرِ اختراعا
حكيمٌ صامتٌ فضَح الليالى ... ومَزَّق عن خَنا الدنيا القِناعا
إذا حضر النفوسَ فَلا نعيمًا ... ترى حولَ الحياةِ ولا مَتاعا
كشفتُ به الحياةَ فلم أجِدْها ... ولَمْحةَ مائها إلا خِداعا
وما الجرّاحُ بالآسى المرجَّى ... إذا لم يقتل الجُثَثَ اطِّلاعا(١)
فإن تَقُل الرِّثاءَ فقُلْ دموعاً ... يُصاغ بهنَّ ، أو حِكَماً تُراعَى
ولا نكُ مثلَ نادبةِ المُسجَّى ... بَكت كَسْبًا ، ولم تَبْكِ الْتِياعا(٢)
خلَتْ دولُ الزمانِ وزُلْنَ رُكناً ... وركنُ الأَرض باق ، ما تَداعى(٣)
كأنَّ الأرضَ لم تَشهدْ لِقاءً ... تكاد له تَميدُ ، ولا وَداعا
ولو آبتْ ثواكلُ كلِّ قَرْنٍ ... وجَدْنَ الشمسَ لم تَثْكَل شُعاعا
ولكن تُضْرَب الأمثالُ رُشدًا ... ومنهاجاً لمن شاءَ اتِّباعا
ورُبَّ حديثِ خيرٍ هاجَ خيرًا ... وذكرِ شجاعةٍ بَعث الشُّجاعا

* * *

(معارفُ) مصرَ كان لهنَّ ركنٌ ... فذُقْنَ اليومَ للركنِ انصِداعا
مضى أعْلى الرجالِ لها يمينًا ... وأرْحَبُهم بحَلَّتها ذِراعا

(*) عاطف بركات باشا : احد رجالات مصر القدمين ، واحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى الى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ .

١ــ يقال : قتل الأمر اطلاعــا ، اذا بحثــه طويلا . والآسى : الطبيب .

٢ــ المسجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن ٣ــ تداعى الركن : اى سقط متهدما .

وأكثرُهُم لها وَقَفاتِ صِدقٍ ... إياءً فى الحوادث أو زَماعا

أَتَتْهُ فنالَها نَفَلاً وفَيْئًا ... فلا هبةً أَتَتْه ولا اصطِناعا (١)

تنقل يافعًا فيها وكهلاً ... ومن أسبابها بَلَغَ اليَفاعا

فتًى عجمَتْه أحداثُ الليالى ... فلا ذُلاًّ رأَيْن ، ولا اختِضاعا

سَجَنَّ مُهنَّدًا ، ونَفَيْن تِبْرًا ... وزِدْنَ المسك من ضغطٍ فضاعا(٢)

شديدٌ صُلَّبٌ فى الحق حتى ... يقولَ الحقُّ : لِينًا واتِّداعا(٣)

ومدرسةٍ سَمَتْ بالعلم ركنًا ... وأَنْهضَتِ القضاءَ والاشتِراعا(٤)

بناها محسنًا بالعلم بَرًّا ... يَشيد له المعالمَ والرباعا (٥)

وحاربَ دونها صرْعَى قديمٍ ... كأَنَّ بهم عن الزمنِ انقطاعا

إذا لمحَ الجديدُ لهم تَوَلَّوْا ... كذى رَمَدٍ على الضوءِ امتناعا

* * *

أخا «سيشيلَ» ، لاتذكرْ بحارًا ... بَعدنَ على المزار ولا بقاعا(٦)

وربِّكَ ما وراءَ نَواكَ بُعدٌ ... وأنتَ بظاهر الفُسْطاطِ قاعا(٧)

١ــ النفل : مفرد الأنفال : يعنى العطايا المكتسبة من الفىء . والفىء : الغنيمة . والاصطناع . هو ما يعبر عنه فى زماننا بالمحسوبية ــ٢ــ ضاع المسك والطيب : سطع عطره . لما قال : « فتى عجمته احداث الليالى » شرح كيف كان ذلك ، فأخبر انه سجن فكان اشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين اشتدت أحداث الليالى ضغطا ، كان الفقيد اشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد أرجا وطيبا ــ٣ــ صلب « باللام المشددة » : اى كثير الصلابة . **والاتداع** : من الوداعة ، وهى رقة الخلق ــ٤ــ يشير بهذا البيت الى ان الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ؛ ولم يستغن عنها الا بعد اصلاح الازهر والاكتفاء بأبنائه ــ٥ــ الرباع : جمع ربع : الدار ــ٦ــ سيشل ، احدى جزر الهند الثانية ، نفى اليها الفقيد ، حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى ــ٧ــ الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : اى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الارض ، ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نزلْتَ بعالَمٍ خَرق القضايا وأصبح فيه نظمُ الدهرِ ضاعا

فَخلٌ الأَربعين لحافليها وقُمْ تَجِد القرونَ مرَرْنَ ساعا(١)

* * *

مَرِضتَ فما ألحّ الداءُ إلّا على نفْسٍ تعوَّدَت الصِّراعا

ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابت مُفلَّلَ كلِّ حادثةٍ قِراعا(٢)

ومَنْ يتجرّع الآلامَ حيّاً تَسُغْ عند المماتِ له اجتراعا

أرِقْتَ . وكيف يُعطَى الغمضَ جفنٌ تَسُلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا ؟(٣)

ولم يَهدأْ وِسادُك في الليالى لعلمك أنْ ستُفنيها اضطجاعا

عَجِبْتُ لشارحٍ سببَ المنايا يُسَمِّى الداءَ والعِللَ الوِجاعا

ولم تكن الحتوفُ محلَّ شكٍّ ولا الآجالُ تحتملُ النزاعا

ولكنْ صُيَّدٌ ولها بُزاةٌ ترى (السّرطانَ) منها والصُّداعا(٤)

أرَى التعليم لمّا زلت عنه ضعيفَ الركنِ ، مَخذولاً ، مُضاعا

غريقٌ حاولت يَدُه شِراعاً فلمّا أوْشكَتْ فقد الشِّراعا

سَراةُ القومِ مُنصرفون عنه وصُحْفُ القوم تَقتضِب الدفاعا(٥)

لقد نسّاه يومُك ناصباتٍ مِن السّنوات قاساها تِباعا(٦)

قُم ابنِ الأُمَّهاتِ على أساسٍ ولا تبْنِ الحصونَ ولا القِلاعا

١ـ الأربعين فى هذا البيت ، مقصود بها الايام التى مضت على وفاته ، او السن التى توفى فيها . والساعا : جمع ساعة ـ٢ـ القراع : نوع من الحرب والمغالبة ـ٣ـ الرواع : من قولهم : ناقة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، اى شهمة زكية ـ٤ـ البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور .
٥ـ سراة القوم : سادتهم . والاقتضاب : بمعنى القطع او الايجاز والاختصار
٦ـ ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، اى فيه كد وجهد . وتباعا : اى متتابعة .

فهُنَّ يَلِدْن للقَصبِ المذَاكى — وهُنَّ يلِدْن للغابِ السِّباعا(١)

وَجدْتُ مَعانىَ الأَخلاق شتَّى — جُمِعْن فكنَّ فى اللفظ الرِّضاعا

عَزاء الصابرين (أبا بهِيٍّ) — ومثلُك مَنْ أناب ومَنْ أطاعا(٢)

صَبرْتَ على الحوادث حينَ جَلَّتْ — وحينَ الصبرُ لم يَكُ مُستطاعا

وإن النفسَ تهدأُ بعدَ حينٍ — إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا

إذا اختلف الزمانُ على حزينٍ — مَضى بالدمع ، ثم مَجا الدِّماعا

قُصارَى الفَرْقَدَيْنِ إلى قضاءٍ — إذا عثرا به انفصَما اجتِماعا

ولم تَحْوِ الكِنانة آلَ سعدٍ — أشدَّ على العِدا منكم نِباعا(٣)

ولم تحمِل كشيخكمُ المُفدَّى — نُهوضاً بالأَمانةِ واضطِلاعا

غداً فَصْلُ الخِطابِ ، فمَنْ يَشيرى — بأَنَّ الحقَّ قد غلب الطِّماعا ؟

سَلُوا أهلَ الكِنانةِ :هل تداعَوْا؟ — فإن الخصمَ بعد غدٍ تَداعى

وما (سعدٌ) بمُتَّجِرٍ إذا ما — تعرَّضت الحقوقُ شَرًى وباعا

ولكنْ تحتمِى الآمالُ فيه — وتدَّرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا(٤)

إذا نظرَتْ قلوبُكُمُ إليه — علا للحادثات وطال باعا(٥)

---

١ — المذاكى : الخيل التى كملت قوتها . والقصب : هو الخط الذى يتراهن عليه المتسابقون —٢— ابا بهى : ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . واناب : رجع الى الله —٣— النباع : جمع نبع ، وهو شجر القسى والسهام ، ينبت فى قمة الجبال . آل سعد : آل زغلول باشا اخوال الفقيد —٤— تدرع الحقوق به : أى تجعل منه درعا لها . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف واشباهها —٥— طال باعا : اى طال شأوا وعظم قوة .

المويلحى(*)

كاتبٌ مُحْسِنُ البيانِ صَناعُه ... استخَفَّ العقولَ حيناً يَراعُه(١)

اِبنُ مصرٍ ، وإنما كلُّ أرضٍ ... تنْطِقُ الضادَ مَهْدُهُ ورِباعُه(٢)

إنما الشرقُ منزلٌ لم يُفرِّق ... أهلَه إن تفرَّقتْ أصقاعه(٣)

وطنٌ واحدٌ على الشمس والفصـ ... ـحى، وفى الدمع والجراحِ اجتماعه

علمٌ فى البيان ، وابنُ لواءٍ ... أخذَ الشرقَ حِقبةً إبداعه

حَسْبُه السحرُ من تُراثِ أبيه ... إن تَولَّتْ قصورُه وضِياعه(٤)

إنما السحرُ والبلاغةُ والحكـ ... ـمةُ بَيْتٌ ، كلاهما مِصراعه

* * *

فى يَدِ النشْءِ من بيان (المويلحِى) ... مثلٌ يَنفع الشبابَ اتِّباعه

صُوَرٌ من حقيقة وخيالٍ ... هى إحسانُ فِكْرِهِ وابتداعه

رُبَّ سجعٍ كمُرْقِص الشعرِ لمَّا ... يَختلِفْ لَحْنُهُ ولا إيقاعه

أو كَسجعِ الحمامِ لو فصَّلتْهُ ... وتأنَّتْ به ، ودَقَّ اختراعه

هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ ... ما بَديعُ الزمانِ؟ ما أسجاعه؟(٥)

* * *

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه .

١ـ يقال : يد صناع ، أى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا ـ٢ـ رباع : جمع ربع ، وهو الدار ـ٣ـ اصقاعه ، جمع صقع بضم الصاد : الناحية . ٤ـ تولت القصور : اى ذهبت . والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والارض المغلة ـ٥ـ بديع الزمان : هو الهمذانى صاحب المقامات المشهورة

عجِبَ الناسُ من طباعِ المويلحيِّ ، وفى الأُسْدِ خُلْقُه وطِباعه

فيه كِبْرُ اللُّيوثِ حتى على الجو ع ، وفيها إباؤُه وامتِناعه

تعب الموتُ فى صَبورٍ على النز ع ، قليلٍ إلى الحياةِ نِزاعه(١)

صارع العيشَ حِقْبَةً ، ليت شعرى ساعةَ الموتِ كيف كان صِراعه؟

قهرَ الموتَ والحياةَ ، وقد تحـ كمُ فى رائض السِّباع سِباعه

مُهجةٌ حرّةٌ ، وخُلْقٌ أبِيٌّ عَيّ عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

* * *

فى الثمانين ـ يا (محمدُ) ـ عِلْمٌ لِعليمٍ ، وإن تَناهى اطِّلاعه(٢)

لِمْ تقاعَدْتَ دونها وتَوانَى سائقُ الفُلْكِ ، واضمحلَّ شِراعه؟

رُبَّ شَيْبٍ بَنَتْ صُروحَ المعالى سَنتاه ، وشادت المجدَ ساعه

فيه من هِمَّة الشبابِ ، ولكن ليس فيه جِماحُه واندفاعه

* * *

سيِّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضى فى غُباره أتباعه

حظُّهم (بالإمامِ) للموت رَكبٌ يَتلاقى بِطاؤُه وسِراعه

قَنَّعوا بالتراب وجهًا كريماً كان من رُقعةِ الحياء قِناعه

كَسَنا الفجرِ فى ظلال الغوادى كرمٌ صفحتاه ، هَدْىٌ شُعاعه

١ـ النزاع للميت : ساعات احتضاره . يقول انه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضاره ، ولا يكون هذا الا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت ـ٢ـ فى الثمانين : يقصد ثمانين عاما .

يا رحيدا كأمس فى كِسْر بيت ضيقٍ بالنَّزيل ، رحب ذِراعه(١)
كلُّ بيتٍ تَحلُّه يستوى عنـــــدك فى الزُّهدِ ضِيقُهُ واتِّساعه
نمْ مَلِيًّا ؛ فلست أوّلَ لـد ، بفَلاة (الإمام) طال اضطجاعه(٢)
حولَك الصالحون ، طابوا وطابَتْ أَكَماتُ (الإمام) منهم وقاعه(٣)
قلَّدوا الشرقَ من جمالٍ وخيرٍ ما يَئُودُ المُفنِّدين انتزاعه(٤)
أُسِّسَتْ نهضةُ البناء بقومٍ وبقومٍ سما وطالَ ارتفاعه
كلُّ حَىٍّ — وإن تراخت منايا هُ — قضاءٌ عن الحياة انقطاعه
والذى تحرص النفوسُ عليه عالمٌ باطلٌ قليلٌ مَتاعه

---

١ — كسر البيت — بكسر الكاف وفتحها : جانبه —٢— فلاة الامام : صحراء الامام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد —٣— اكمات : جمع أكمة : المرتفع من الارض . والقاع : المنخفض منها —٤— يئود : بمعنى يثقل ويتعب : والمفندين : المكذبين .

اسماعيل باشا صبرى (*)

أَجَلٌ وإن طال الزمانُ مُوافِى ... أَخْلِى يدَيْكَ من الخليلِ الوافِى

داعٍ إلى حقٍّ أهابَ بخاشعٍ ... لبس النذيرَ على هُدًى وعفاف(١)

ذهب الشبابُ ،فلم يكن رُزْئِى به ... دونَ المصابِ بصَفوة الأُلّاف

جَلَلٌ من الأرزاء فى أمثاله ... هِمَمُ العزاء قليلةُ الإسعاف

خَفَّتْ له العَبراتُ ، وهى أَبِيَّةٌ ... فى حادثاتِ الدهر ، غيرُ خِفاف

ولكلّ ما أتلفْتَ من مُستكرَمٍ ... إلا مودّاتِ الرجالِ تَلاف(٢)

ما أنتِ يا دُنيا ؟ أرويا نائمٍ ... أم ليلُ عُرْسٍ ،أم بِساط سُلاف؟

نَعماؤكِ الرَّيْحانُ ، إلا أنه ... مَسَّتْ حَواشِيه نَقيعَ زُعاف(٣)

مازِلْتُ أصحَبُ فيكِ خُلْقاً ثابتًا ... حتى ظفِرْتُ بخُلْقِكِ المتنافى

* * *

ذهب الذَّبيحُ السمحُ مثل سَمِيِّه ... طُهْرَ المُكَفَّنِ ، طيِّبَ الألفاف(٤)

كم بات يذبحُ صدرَه لشكاته ... أتُراه يحسبها من الأضياف؟(٥)

(*) اسماعيل باشا صبرى : أحد الشعراء السابقين الفحـول ؛ وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وكان أحد رجال الدولة فى عصره ، فقـد تسنم اعلى المناصب القضائية ، وترقى الى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣ .

١ــ النذير : الموت ــ٢ــ المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه ٣ــ نقيع زعاف : أى سم ناجع بالغ ــ٤ــ يشبه الفقيد بالذبيح ، والذبيح قيل : سيدنا اسحاق ، والمراد هنا سيدنا اسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له . والألفاف : يقصد بها الكفن ، يريد انه ذهب طيب المظهر والمخبر ــ٥ــ الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نَزَلتْ على سَحْرِ السَّماحِ ونَحْرِه وتقلَّبَتْ فى أكرمِ الأكنافِ(١)
لَجَّتْ على الصَّدرِ الرحيبِ وبرَّحَتْ
بالكاظمِ الغيْظِ، الصَّفوحِ، العافى
ما كان أقسَى قلبَها من عِلَّةٍ عَلِقتْ بأَرحمِ حَبَّةٍ وشَغافِ(٢)
قلبٌ لو انتظمَ القلوبَ حَنانُهُ لم يبْقَ قاسٍ فى الجوانحِ جافى
حتى رماه بالمنيَّةِ فانجلتْ مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى
أَخْنَتْ على الفلَكِ المُدارِ فلم يَدُرْ وعلى العُبابِ فقرَّ فى الرجّافِ(٣)
ومَضَتْ بنارِ العبقريَّةِ، لم تَدَعْ غيرَ الرَّمادِ، ودارساتِ أثافى(٤)
حَملوا على الأكتافِ نورَ جلالةٍ يذرَ العيونَ حواسدَ الأكتافِ
وتَقلَّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً ولكَمْ نعوشٍ فى الرقابِ زيافِ
مُتمايلَ الأعواد مما مَسَّ من كَرَمٍ، ومما ضَمَّ من أعطافِ
وإذا جلالُ الموتِ وافٍ سابغٌ وإذا جلالُ العبقريَّةِ ضافى
ويْحَ الشبابِ وقد تَخطَّرَ بينهم هل مُتِّعوا بتمسُّحٍ وطَوافِ؟
لوعاشَ قدوتُهم ورَبُّ «لِوائهم» نكَسَ «اللواء» لثابتٍ وقّافِ(٥)
فلكَمْ سقاه الودَّ حينَ وِدادُه حربٌ لأهلِ الحكمِ والإشرافِ
لا يومَ للأقوامِ حتى يَنهضوا بقوادمٍ من أمسِهم وخوافى(٦)

* * *

١ــ السحر: الرئة. والنحر: أعلى الصدر. والاكناف: جمع كنف، وهو الجانب ــ٢ــ يريد بقوله «ارحم حبة»: القلب. والشغاف (بالفتح): غلاف القلب ــ٣ــ العباب: هو الموج. والرجاف: البحر ــ٤ــ الأثافى: جمع اثفية، وهى ما يوضع عليه القدر ــ٥ــ رب لوائهم: يقصد به صاحب جريدة اللواء، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا ــ٦ــ القوادم والخوافى: ريش فى جناح الطائر. وقد ورد فى قول بعضهم:

* فان الخوافى قوة للقوادم *

لا يُعْجِبنَّكَ ما ترى من قُبَّةٍ ضربوا على موتاهُم ، وطِراف(١)

هجموا على الحقِّ المبينِ بباطلٍ وعلى سبيل القصدِ بالإسراف(٢)

يبنون دارَ اللهِ كيف بدا لهم غُرُفاتِ مُثْرٍ ، أو سقيفةَ عافى(٣)

ويُزوِّرون قبورَهم كقصورهم والأرضُ تضحك والرُّفاتُ السافى

* * *

فُجعَتْ رُبى الوادى بواحد أيكِها وتجرَّعَت ثُكْلَ الغدير الصافى

فقدتْ بناناً كالربيع ، مُجيدةً وشْىَ الرياضِ وصنعَةَ الأفواف(٤)

إن فاته نسَبُ «الرَّضِيِّ» فرُبَّما جَريا لغاية سُؤْدَدٍ وطِراف(٥)

أوكان دون أبى «الرضىِّ» أبوَّةً فلقد أعادَ بيانَ «عبدِ مَنافِ»

شرفُ العصاميِّين صُنْعُ نفوسِهم مَن ذا يقيس بهم بنى الأشراف؟

قل للمشير إلى أبيهِ وجَدهِ أعَلِمْتَ للقمرَيْنِ من أسلاف؟

لوأن (عمراناً) نِجارُك لم تَسُدْ حتى يُشارَ إليك فى الأعراف(٦)

* * *

١ـ طراف ـ على وزن كتاب : بيت من ادم ، ويقصد بها المقاصير الموضوعة على بعض القبور ـ٢ـ القصد : الاعتدال ، وهو فى كل شىء ضد الاسراف ـ٣ـ العافى: الفقير ـ٤ـ الأفواف : الثياب الرقيقة ـ٥ـ الطراف: هنا من قولهم : توارثوا المجد طرفا ، اى عن شرف ورفعة . والرضى : هو الشريف الرضى الشاعر المشهور ـ٦ـ عمران : ابو موسى عليه السلام ، وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف .

قاضي القضاة جَرَتْ عليه قضيّةٌ ... للموتِ ، ليس لها من استئناف

ومُصرِّفُ الأحكامِ موكولٌ إلى ... حُكمِ المنيَّة ، ماله من كافى

ومُنادِمُ الأملاكِ تحت قِبابِهم ... أمسى تُنادِمُه ذِئابُ فَيافى(١)

فى منزلٍ دارت على الصِّيدِ العُلا ... فيه الرَّحَى ومشتْ على الأرداف(٢)

وأُزيلَ من حُسنِ الوُجوهِ وعِزِّها ... ما كان يُعبد من وراءِ سِجاف(٣)

من كلِّ لمَّاحِ النعيمِ تقلَّبتْ ... ديباجَتاهُ على بِلًى وجَفاف

وترى الجماجمَ فى الترابِ تماثَلتْ ... بعدَ العقولِ تماثُلَ الأصداف

وترى العيونَ القاتِلاتِ بنظرةٍ ... مَنهوبةَ الأجفانِ والأسياف(٤)

وتُراعُ من ضَحِكِ الثُّغورِ ، وطالما ... فتنَتْ بحُلْو تبسُّمٍ وهُتاف

غزَتِ القرونَ الذاهبين غزالةٌ ... دمُهم بذِمّة قرْنِها الرَّعاف(٥)

يَجرى القضاءُ بها ، ويجرى الدهرُ عن ... يَدِها ، فيا لثلاثةٍ أحلاف !

ترْمى البريَّةَ بالحُبولِ ، وتارةً ... بحبائلٍ من خَيْطِها وكِفاف(٦)

نَسجتْ ثلاثَ عَمائمٍ ، واستحدَثتْ ... أكفانَ موتى من ثيابِ زِفاف(٧)

* * *

١ــ الاملاك : الملوك . والفيافى : الصحارى ــ٢ــ الصيد العلا : الملوك . والارداف : ابناء الملوك ، او الذين يلونهم فى المرتبة ــ٣ــ السجاف : الستر ، كالكلل ونحوها ــ٤ــ يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف ، وعبر بالاسياف ليجانس بينها وبين الاجفان ــ٥ــ غزالة : هى الشمس . والرعاف : اى قرنها الاحمر الذى يشبه الدم ــ٦ــ الكفاف : حبائل الصائد ــ٧ــ ثلاث عمائم : الشعر الاسود ، والاسود فيه شيب . والابيض ، اى ادوار العمر الثلاثة .

«أأبا الحُسين» ، تحيةً لثراك من ... رَوحٍ وريْحانٍ وعَذْبِ نِطاف

وسَلامُ أهلٍ وُلَّهٍ وصَحابةٍ ... حَسرَى على تلك الخِلالِ لِهاف

هل فى يَدَىَّ سوى قريضٍ خالدٍ ... أُزجيهِ بين يَدَيْكَ للإتحاف؟

ماكان أكرَمَه عليك! فهل ترى ... أنى بَعثتُ بأَكرمِ الألطاف؟

هذا هو الرَّيحانُ ، إلا أنه ... نَفحاتُ تلك الروْضةِ المِئْناف(١)

والدرُّ ، إلا أن مَهْدَ يتيمِه ... بالأمسِ لُجَّةُ بحرِك القذَّاف

أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئًا ... نَهْجَ المِهار على غُبار «خِصاف»(٢)

أتعلَّمُ الغاياتِ كيف تُرامُ فى ... مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قوافى

* * *

يا راكبَ الحدباء ، خلِّ زِمامَها ... ليس السبيلُ على الدليل بِخافى

دانَ المطىَّ الناسُ ، غيرَ مطيَّةٍ ... للحقِّ ، لا عَجْلَى ، ولا مِيجاف(٣)

لا فى الجيادِ ، ولا النِّياقِ ، وإنما ... خُلِقَتْ بغير حوافرٍ وخِفاف

تنتاب بالركبانِ منزلةَ الهدى ... وتَؤُمُّ دار الحقِّ والإنصاف

قد بَلَّغَتْ ربَّ المدائنِ ، وانتهتْ ... حيثُ انتهيْتَ بصاحبِ الأحقاف(٤)

* * *

نَمْ مِلءَ جَفنِك ، فالغُدُوُّ غوافلٌ ... عمَّا يَروعُك ، والعَشِىُّ غوافى

فى مَضجعٍ يكفيك من حسناتِه ... أن ليس جَنْبُكَ عنه بالمتجافى

---

١ — الروضة المئناف والانف : هى التى تحمى فلا يكاد احد يمر بها او يجتنى منها —٢— المهار : جمع مهر ، وخصاف : فرس مشهور فى العرب . ٣— الميجاف : السريعة —٤— رب المدائن : كسرى . وصاحب الاحقاف : عاد .

واضحك مِن الأقدارِ غير معجِّزٍ فاليوم لست لها من الأهداف

والموتُ كنتَ تخافه بك ظافرًا حتى ظفِرْت به ، فدَعْه كَفاف

قُلْ لى بسابقةِ الوِدادِ : أقاتِلٌ هو حين يَنزلُ بالفَتى ، أم شافِ؟

فى الأرضِ من أبوَيْكَ كنزا رحمةٍ وهوًى ، وذلك من جِوارِ كافِ

وبها شبابُك واللِّداتُ ، بكيته وبكيتهم بالمدْمَع الذَّرَّاف

فاذهب كمصباحِ السماء ، كلاكما مال النهار به ، وليس بطافِ

الشمسُ تُخْلَفُ بالنجومِ ، وأنت بالـ
آثار ، والأخبار ، والأوصاف

غلب الحياةَ فتًى يسدُّ مكانَها بالذكرِ ، فهو لها بَدِيلٌ وافِ

فوزى الغزى (*)

جرحٌ على جرحٍ ا حَنانَكِ (جِلّقُ) ... حُمِّلْتِ ما يُوهِي الجبالَ ويُزْهِقُ(١)

صبرًا لباة الشرقِ ؛ كلُّ مصيبةٍ ... تبْلَى على الصبر الجميلِ وتخلق(٢)

أنسيتِ نار الباطشين ، وهزّةً ... عَرَتِ الزمانَ ، كأَن (روما) تُحرَقُ(٣)

رعناءَ أرسلها ودسَّ شُواظَها ... فى حجرةِ التاريخ أرْعَنُ أحمق(٤)

فمشتْ تُحطِّم باليمين ذخيرةً ... وتَلُصُّ أُخرى بالشمال وتَسْرِق ؟

جُنَّتْ ، فضعضعها ، وراضَ جِمَاحَها ... من نَشْئِكِ الخُمْسِ الجنونُ المُطْبِق

لقِيَ الحديدُ حَمِيَّةً أمويَّةً ... لا تكتسى صَدَأً ، ولا هى تُطْرق

ياواضعَ الدّستورِ أمسِ كخُلْقِهِ ... ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هُو ضيِّق

نظمٌ من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ ... أدبُ الحضارةِ فيهما والمنطِق

لا تَخْشَ مما ألحقوا بكتابه ... يَبقَى الكتابُ وليس يبقَى المُلْحق

مَيْتَ الجلالِ ، من القوافى زَفْرةٌ ... تجرى ، ومنها عَبْرَةٌ تترقرق

ولقد بَعثتُهما إليكَ قصيدةً ... أفأنتَ مُنتظِرٌ كعهدِكَ شَيِّق ؟

أبكى ليالينَا القِصار وصحبةً ... أخذَتْ مُخِيلتُها تجيش وتَبْرُق(٥)

(*) فوزى الغزى : هو احد سراة الزعماء فى الشام ، واحد الوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى ، توفى واقيمت له حفلة تأبين فى دمشق ، والقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٢٠ .

١ــ جلق (بشدة اللام مفتوحة او مكسورة) : دمشق ــ٢ــ اللباة : انثى الاسد ــ٣ــ يشير الى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى احدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت ــ٤ــ الشواظ (بضم الشين وكسرها) : لهب لا دخان فيه ــ٥ــ السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة : اى ان صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليك ، فربّما ... كرِه الحديثَ عن الأجاجِ المغرَق(١)

طُبعتْ من السّمّ الحياةُ ، طعامُها ... وشرابُها ، وهواؤها المتنشّق

والناسُ بين بَطيئِها وذُعافِها ... لا يعلمون بأىِّ سمّيْها سُقُوا(٢)

أما الوَلىُّ فقد سقاكَ بسمّه ... ما ليس يَسقيك العدوُّ الأزرق(٣)

طلبوك والأجلُ الوَشيكُ يَحثُّهم ... ولكلِّ نفسٍ مُدّةٌ لا تُسبَق

لما أعان الموتُ كَيْدَ حِبالهم ... عَلِقَتْ ، وأسبابُ المنيةِ تَعلَق

طَرَقتْ مِهادَك حَيّةٌ بَشَريةٌ ... كفرتْ بما تنتابُ منه وتطرُق(٤)

* * *

يا (فوز) ، تلك دمشقُ خلفَ سَوادِها ... ترمى مكانكَ بالعيون وتَرْمُق(٥)

ذَكَرَتْ ليالِيَ بدرِها ، فتلفّتَتْ ... فعساكَ تَطلُع ، أو لعلّك تُشرِق

(بردَى) وراءَ ضِفافِه مُستعبِرٌ ... والحورُ مَحلولُ الضفائر مُطرِق(٦)

والطيرُ فى جَنَباتِ (دُمَّر) نُوَّحٌ ... يَجِدُ الهمومَ خَلِيُّهن ويأرَق(٧)

ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره ... أبذاتِ طَوْقٍ بعدَ ذلك يُوثَق؟(٨)

* * *

١ـ الأجاج : الملح المر ـ٢ـ الذعاف . سم الساعة ـ٣ـ العدو الازرق : هو الكثير العداوة ـ٤ـ المهاد : الفراش ، وفى هذا البيت اشارة الى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته ـ٥ـ سواد دمشق : اى القرى التابعة لها. ٦ ـ بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكى . والحور : شجر . وضفائر الحور : غصونه التى تشبه جدائل الشعر ـ٧ـ دمر (بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة) : عقبة فى دمشق . والخلى : الخالى من الهموم ، وهو ضد الشجى ـ٨ـ ذات الطوق : الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المراة .

عَشِقَتْ تَهاويلَ الجمالِ ، ولم تَجِدْ ... في العبقريَّة ما يُحَبُّ ويُعْشَق(١)

فمشَتْ كأنَّ بنانَها يَدُ مُدْمِنٍ ... وكأن ظلَّ السمِّ فيها زِئْبَق

ولو أنَّ مقدورًا يُرَدُّ لردَّها ... بحياته الوطنُ المَرُوعُ المُشْفِق

أشقى القضاءُ الأرض ، بعدَك أسرة ... لولا القضاءُ من السماء لما شَقوا

قَسَتِ القلوبُ عليهمُ وتحجَّرَتْ ... فانظر فؤادَك ، هل يلينُ ويَرْفُق؟

إن الذين نزلْتَ في أكنافهم ... صَفحوا ، فما منهم مَغِيظٌ مُحْنَق

سَخِروا من الدنيا كما سَخِرَتْ بهم ... وانبَتَّ من أسبابها المُتَعَلِّق(٢)

يا مأْتمًا من (عبدِ شمسٍ) مثلُه ... للشمس يُصْنعُ في الممات ويُنْسَق

إن ضاق ظهرُ الأرضِ عنك فبطنُها ... عمّا وراءكَ من رُفاتٍ أضيق(٣)

لما جَمَعْتَ الشامَ من أطرافِه ... وافَى يُعزِّي الشامَ فيك المشرِق

يبكي لواءٌ من شبابِ أُميَّةٍ ... يَحمي حِمَى الحق المبينِ ويَخفق

لمستْ نواصِيَها الحصونُ ترومُه ... وتلَمَّسَتْهُ فلم تجدْه الفَيْلَق(٤)

ركنُ الزعامةِ حين تطلب رأيَه ... فيَرَى ، وتسْأَلُه الخطابَ فينْطِق

ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحتَه ... عودُ المنابرِ يُستخَف فيُورِق(٥)

(فيحاءُ) ، أين على جِنانِك وردةٌ ... كانت بها الدنيا ترِفُّ وتعْبَق؟ (٦)

---

١ — التهاويل : الالوان المختلفة .
٢ — أنبت ، اى قطع .
٣ — الرفات : بقايا الميت .
٤ — نواصي الحصون : اعاليها .
٥ — يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .
٦ — فيحاء : دمشق .

علويّة تجد المسامع طيبها — وتُحِسُّ ريّاها العقولُ وتَنشَق

وأرائِكُ الزّهرِ الغصونُ ، وعرشُها — يَدُ أمةٍ وجبينُها والمفْرق

مَنْ مُبْلِغٌ عنّى شُبولة جِلّقٍ — قولاً يَبرُّ على الزمان ويصْدُق؟

باللهِ جلَّ جلالُه ، بمحمدٍ — بيسوعَ ، بالغزِّىِّ لا تتفرّقوا

قد تُفْسِدُ المرْعَى على أخواتها — شاةٌ تنِدُّ من القطيع وتَمْرُق

كريمة البارودى(*)

أحيثُ تَلوحُ المُنى تأفلُ ؟ كفى عِظةً أيها المنزلُ !(١)
حكيْتَ الحياة وحالاتِها فهلّا تخطّيْتَ ما تنقل ؟
أمِن جنْحِ ليلٍ إلى فجرِه حِمًى يَزْدَهِي ، وحِمًى يَعْطل؟(٢)
وذلك يوحِش من ربةٍ وذلك من رَبَّةٍ يَأْهَل ؟(٣)
أجاب النَّعِيُّ لديْكَ البشيرَ وذاقَ بكأْسَيْهما المحفِل
وأطرَق بينهما والدٌ أخو ترْحَةٍ ، ليلُه أليَل(٤)
يَفِيءُ إلى العقل فى أمره ولٰكِنَّهُ القلبُ ، لا يعقِل
تهاوت عن الوردِ أغصانُه وطارَ عن البيْضة البُلْبُل(٥)
وراحت حياةٌ ، وجاءت حياةٌ وأظهرَ قدرتَه المُبْدِل
وما غيرُ مَنْ قد أتى مُدْبِرٌ ولا غيرُ مَنْ قد مضى مُقبِل
كأنّى (بسامى) هلوعُ الفؤادِ إذا أسمعَتْ همْسةٌ يَعجَل
يَرى قدرًا يأمُلُ اللُّطفَ فيه وعادِي الرَّدَى دون ما يَأْمُل
يُضىءُ لضِيفانه بِشْرُه وبين الضلوعِ الغَضَى المُشْعَل(٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

١ـ تلوح المنى : بمعنى تشرق ، وتأفل : بمعنى تغرب ـ٢ـ جنح الليل (بضم الجيم وكسرها) : طائفة منه . ويعطل : بمعنى يخلو . والاصل فى العطل : التجرد من الحلي ـ٣ـ الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت ، ويأهل: يمتلىء او يعمر ـ٤ـ الترحة : الحزن . الأليل : الشديد السواد . ٥ـ تهاوت : اى تساقطت أو تخلت ـ٦ـ الغضى : شجر اذا اشتعل بقى جمره طويلا .

ويَقريهُمُ الأُنسَ فى منزلٍ ويَجمعُه والأَسى مَنزِل
فمن غادةٍ فى مَجالِى الزِّفافِ إلى غادةٍ داؤها مُعْضِل
وذى فى نفاستِهَا تَنطوى وذى فى نفائسها تَرفُل(١)
تَقسَّمَ بينهما قلبُه وخانته عيناه والأَرْجُل
فيانكدَ الحُرِّ: هل تنقضى ؟ ويا فرح الحرِّ، هل تَكمُل ؟
وياصبر (سامى): بلغْتَ المَدى ويا قلبه السهلَ، كم تَحمِل ؟
لقد زدْتَ من رِقَّةٍ كالصراط ودون صَلابتِكَ الجَنْدَل
يَمرُّ عليك خليطُ. الخُطوب ويجتازك الخِفُّ والمُثقِل(٢)
ويارجل الحِلْمِ: خُذ بالرضى فذلك من مُتَّقٍ أَجْمَل
أتحسَب شهدا إناءَ الزّمانِ وطينتُه الصابُ والحَنْظَل ؟
وما كان مِن مُرِّهِ يَعتلى وما كان مِن حُلوِهِ يسْفل
وأنت الذى شربَ المترَعاتِ فأَىُّ البواقِى به تَحفِل ؟
أَفى ذا الجلالِ، وفى ذا الوقارِ تُخِيفُكَ ضَراءُ أَو تُذهِل ؟
أَلم تكن الملْكَ فى عزِّه وباعُك من باعه أَطْوَل ؟
وقولُك من فوق قولِ الرِّجالِ وفعلُك من فعلهم أَنْبَل؟(٣)
ستعرِفُ دنياك من ساومتْ وأن وقارَك لا يُبْذَل
كأَنك (شمشونُ) هٰذى الحياةِ وكلٌّ حوادِثها هَيْكَل(٤)

١– النفاسة من قولهم : هـذا شىء نفيس ، اى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما اشبهها –٢– الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل . ٣– يشير الى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها –٤– شمشون : احد انبياء التوراة ، وله قصة هناك تدل على انه اعطى بسطة عظيمة فى القوة .

فتحي ونوري(*)

أنظر إلى الأقمار كيف تزولُ وإلى وُجوهِ السَّعْدِ كيف تَحول

وإلى الجبالِ الشُّمِّ كيف يُميلُها عادى الرَّدى بإشارةٍ فتميل

وإلى الرِّياح تَخِرُّ دون قَرارِها صرْعَى عليهن التُّرابُ مَهيل

وإلى النُّسورِ تقاصرت أعمارُها والعهدُ فى عُمر النُّسورِ يَطول

فى كلِّ منزلةٍ وكل سميَّة قمرٌ من الغُرِّ السُّماةِ قتيل

يهوِى القضاءُ بها ، فما من عاصِمٍ هيهات ! ليس من القضاءِ مُقيل

(فتحُ السماءِ) و (نورُها) سكنا الثرى فالأرضُ وَلْهى ، والسماءُ ثَكول

سِرْ فى الهواءِ ، ولُذ بناصيةِ السُّها الموتُ لا يخفَى عليه سبيل(١)

واركبْ جَناحَ النسرِ لا يَعْصِمْكَ من نسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل

ولكلِّ نفسٍ ساعةٌ ، مَنْ لم يَمُتْ فيها عزيزًا مات وهْوَ ذليل

أَإلى الحياةِ سَكنْتَ وهْى مُصارعٌ وإلى الأمانى يَسكنُ المسلول ؟

لا تَحفِلنَّ ببؤسِها ونعيمِها نُعْمى الحياةِ وبؤسُها تضليل

ما بين نَضرتِها وبين ذُبولِها عمرُ الورودِ ، وإنه لقليل

هذا بَشيرُ الأمسِ أَصبح ناعيًا كالحلم جاءَ بضدِّه التأويل

يجرى من العبَراتِ حولَ حديثِه ما كان من فرَحٍ عليه يَسيل

(*) فتحى ونورى : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما الى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بهما ، فماتا ، فكان لمصابهما فى مصر اسف شديد ، وكانت الخلافة الاسلامية وقتئذ ماتزال تربط المصريين بالعثمانيين .

١ — السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

ولرُبَّ أعراسٍ خَبَأْنَ مآتماً ... كالرُّقْطِ فى ظلِّ الرياضِ تقيل(١)

يا أيُّها الشهداءُ ، لن يُنْسى لكم ... فتحٌ أغرُّ على السماء جميل

والمجدُ فى الدنيا لأوّلِ مُبْتَنٍ ... ولمِن يُشيِّد بعده فيُطيل

لولا نفوسٌ زُلْنَ فى سُبُل العُلا ... لم يَهْدِ فيها السالكين دَليل

والناسُ باذلُ روحِه ، أو مالِهِ ... أو علمِه . والآخرون فُضول

والنَّصْرُ غرَّتُه الطلائعُ فى الوغَى ... والتابعون من الخميس حُجول(٢)

كم ألف مِيلٍ نحو مصرَ قطعتمُ ... فِيم الوقوفُ ودون مصر مِيل ؟

(طوروسُ) تحتكم ضئيلٌ ، طرْفُه ... لمّا طلَعتم فى السحاب كَليل

تُرخون للريح العِنان ، وإنها ... لكمُ على طُغيانها لذَلول

اِثنين إثر اثنين ، لم يخطر لكم ... أنّ المنيّة ثالثٌ وزَميل

ومن العجائب فى زمانِك أن يَفِي ... لك فى الحياةِ وفى الممات خليل

لو كان يُفدَى هالكٌ لفَداكمُ ... فى الجوّ نسرٌ بالحياة بَخيل

أىُّ الغُزاةِ أولِى الشهادةِ قبلكم ... عرْضُ السماءِ ضريحُهم والطُّول ؟(٣)

يَغْدو عليكم بالتحيَّةِ أهلُها ... ويرفرِفُ التسبيح والتهليل

١ــ يريد ان الاحزان تختبىء فى الارواح ، كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة فى ظلال الرياض ، فوجود الحيات فى ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما ان انطواء الأحزان فى ثنايا الأفراح مسمم لجوها ؛ مانع من الاستمتاع بكل سرورها ــ٢ــ الخميس : الجيش . والحجول : أصلها من اللون الابيض يكون فى قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : ان الذين يقدمون فى أوائل الجيوش ، يكونون فى جسم النصر أشبه بالغرة ؛ وهى لا تكون الا فى الوجه ؛ على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهى لا تكون الا فى الايدى والارجل ، وطبيعى أن الوجه أشرف ، وان كانت الحجول بعض سمات الجمال ــ٣ــ فى هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، اذ يقول لهم : ان الغزاة ــ وهم موضع الاجلال والاكبار ــ تشق قبورهم فى الارض ، ولكن اضرحتكم تخط فى السماء .

(إدريسُ) فوقَ يمينهِ ريْحَانةٌ   ويَسوعُ فوق يمينِه إكليل(١)

فى عالم سُكّانُه أنفاسُهم   طِيب ، وهَمْسُ حديثِهم إنجيل(٢)

إنى أخاف على السماء من الأذى   فى يوم ٍ يُفْسِد فى السماءِ الجيل(٣)

كانت مطهَّرة الأديم ِ، نَقِيَّةً   لا آدمٌ فيها ، ولا قابيل(٤)

يَتوجَّه العانى إلى رحماتِها   ويرَى بها برقَ الرجاءِ عليل

ويُشيرُ بالرأس المُكَلَّلِ نحوَها   شيخٌ ، وباللحظِ البرىءِ بَتول(٥)

واليومَ للشهواتِ فيها والهوى   سَيْلٌ ، وللدَّم ِ والدموع ِ مسيل

أضحتْ ومن سُفن الجواءِ طوائفٌ   فيها ، ومن خيل الهواءِ رَعيل(٦)

وأزيل هيكلُها المصونُ وسِرُّه   والدهرُ للسر المصونِ مُذيل(٧)

* * *

هلِعَت (دِمشْقُ) ، وأقبلَتْ فى أهلها   ملهوفةً ، لم تدر كيف تقول

مَشَت الشُّجونُ بها ، وعمَّ غِياطَها   بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبول(٨)

فى كلِّ سهلٍ أنةٌ وَمناحةٌ   وبكلِّ حَزْنٍ رنَّةٌ وعويل

---

١ — يسوع : هو عيسى ابن مريم . وادريس : هو احد الانبياء الرسل . وقد خص ادريس بالذكر ، لما جاء فى قصة الاسراء ، من أن النبى صلوات الله عليه رآه قائما على باب احدى السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : اخوك ادريس —٢— قوله : « وهمس حديثهم انجيل » : يقصد ان احاديثهم طهر وتقديس —٣— يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميدانا الحروب ، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم —٤— يريد «بقابيل» الاشارة الى اول دم اراقه الانسان ظلما لأخيه الانسان —٥— الراس المكلل : الذى يتوجه الشيب ، وهذه كناية عن حالة الضعف —٦— خيل الهواء : الطيارات . والرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين —٧— مذيل : مهين . اى ان الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكأنه اهانة —٨— الغياط : جمع غوطة ، وهى الموضع الكثير الماء والشجر . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكأنما نُعِيَتْ أميّةُ كلُّها ... للمسجد الأُمَوِىِّ ، فهْوَ طُلول(١)

خضَعَتْ لكم فيه الصفوفُ ، وأُزْلِفَتْ ... لكمُ الصَّلاةُ ، وقُرِّبَ الترتيل

من كلِّ نَعْشٍ كالثُّريّا ، مَجْدُه ... فى الأَرضِ عالٍ ، والسماء أَصيل

فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفنٌ ... بمدامع الروحِ الأَمين غَسيل

أعواده بين الرجالِ ، وأَصلُه ... بين(السُّهى)و(المُشتَرِى)مَحمول(٢)

يَمشى الجنودُ به ، ولولا أَنهم ... أَوْلَى بذاكَ مَشى به جِبريل

حتى نزلتم بُقعةً فيها الهوىٰ ... من قبلُ ثاوٍ ، والسماحُ نَزيل

عَظُمَتْ ،وجلَّ ضَريحُ (يوسفَ)فوقَها ... حتى كأَنَّ المَيْت فيه رسول(٣)

* * *

شِعرى : إذا جُبْتَ البحار ثلاثةً ... وحواكَ ظلٌّ فى (فروقَ) ظَليل(٤)

وتداولَتْكَ عصابةٌ عربيّةٌ ... بينَ المآذنِ والقِلاعِ نُزول

وبَلَغْتَ من بابِ الخِلافةِ سُدّةً ... لِسُتورِها التمسيحُ والتقبيل

قلْ للإمام محمدٍ ، ولآلهِ ... صبرُ العظامِ على العظائم جميل

تلك الخطوبُ — وقد حملتم شطرَها — ... ناءَ الفراتُ بشطرها والنيل

إن تَفقِدوا الآسادَ أَو أَشبالَها ... فالغابُ من أَمثالها مَأْهول

صبرًا ؛ فأَجرُ المسلمين وأَجرُكم ... عند الإِلٰه ، وإِنه لجزيل

يا مَنْ خلافتُه الرَّضِيَّةُ عِصْمَةٌ ... للحقِّ ، أَنت بأَن يُحقّ كفيل

واللهُ يعلم أَنّ فى خلفائه ... عدلاً يُقيم الملكَ حين يَميل

والعدلُ يَرفع للممالك حائطًا ... لا الجيشُ يرفعه ولا الأُسطول

١ـ طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء ـ٢ـ المشترى : من الكواكب السيارة ـ٣ـ يقصد « بيوسف » صلاح الدين الايوبى . ٤ـ جبت : قطعت . وفروق : الآستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الاسلامية وقتئذ .

هذا مقامٌ أنت فيه محمدٌ   والرفقُ عند محمدٍ مأمول(١)

بالله ، بالإسلام ، بالجرحِ الذى   ما انفكَّ فى جنب الهلال يَسيل

إلا حللتَ عن السجين وَثَاقَه   إنَّ الوثاقَ على الأسودِ ثقيل(٢)

أيقول واشٍ ، أو يُرَدِّدُ شامتٌ   صِنديدُ (برقة) مُوثَقٌ مَكبول؟(٣)

هو من سيوفِك أغمدُوه لريبةٍ   ما كان يُغمَدُ سيفُك المسلول

فاذكر أميرَ المؤمنين بَلاءَه   واستبقه ، إن السيوفَ قليل

١ــ كان يخاطب الخليفة محمد رشاد ــ٢ــ السجين : هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام اغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجت به فى السجن ، ولم يخرج الا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن اجمل مظاهرها ــ٣ــ برقة : احد الاقاليم الليبية حدثت به أهم الوقائع الحربية فى تلك الاغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

علی باشا أبو الفتوح(*)

ما بينَ دمعِى المُسْبَلِ عهدٌ وبينَ ثرَى (عَلِى)

عهدُ (البقيعِ) وساكنيـــه على الحَيا المتهلِّل(١)

والدَّمعُ مروحَةُ الحزيـ ـنِ وراحَةُ المُتَمَلْمِلِ

نَمضِى ، ويَلحَقُ منْ سلا فى الغابرينَ بمَنْ سُلى

كم مِنْ تُرابٍ بالدمو عِ على الزمان مُبلَّل

كالقبر ما لم يَبْلَ فيـــه من العِظام ، وما بلِى

ريَّان من مجد يعِـ زُّ على القصور موئّل

أمسَتْ جوانِبُه قَرا را للنُّجوم الأُفَّل

وحديثُهم مِسكُ النَّدِ ىِّ ، وعَنْبَرٌ فى المحفِل

* * *

قلْ للنَّعِىِّ : هتكْت دَمـــعَ الصابر المتَجَمِّل(٢)

المُلتقِى الأَحداثَ إنْ نزلَتْ كأَن لَّم تَنزِل

حَمَلَ الأَسَى (بأَبى الفتو ح) علَىَّ ما لمْ أَحمِل(٣)

حتى ذَهِلْتُ ، ومن يَذُق فقدَ الأَحِبَّةِ يَذْهَل

فعتبْتُ فى رُكن (القضا ء) على القضاءِ المُنْزَل

(*) على باشا ابوالفتوح : احد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيـد الطريق لنهضتها ، كان حقوقيا ضليعا ، واسندت له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والامل ، وقد توفى سنة ١٩١٣ ، فعد موته خســـارة وطنية كبرى .

١ـ البقيع : احد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة ـ٢ـ المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس ـ٣ـ الأسى : الحزن

لَهَفِى على ذاك الشبا بِ وذلك المستقبَل

وعلى المعارف إذ خَلَتْ من ركنِها والموئِل(١)

وعلى شمائلَ كالرُّبَى بينَ الصَّبا والجدول

وحياءِ وجهٍ كان يُؤْ ثَر عن «يَسوعَ» المرسَل

* * *

يا راوياً تحتَ الصفيـــحِ من الكرى والجندل(٢)

ومُسرْبلاً حُلَلَ الوزا رةِ بات غيرَ مُسَربَل

ومُوَسداً حُفَرَ الثرى بعدَ البناءِ الأَطول

إنى التفتُ إلى الشبا ب الغابرِ المتمثِّل

ووقفتُ ما بين المحقَّـ ـقِ فيه ، والمتخيِّل

فرأيت أياماً عَجِلْـ ـنَ ، وليْتَها لَمْ تَعْجَل

كانت مُوَطَّأَةَ المِها دِ لنا ، عِذاب المنهَل

ذَهبَتْ كحُلمٍ ، بيْدَ أنّ الحُلمَ لم يتأوَّل

إذ نحن فى ظلِّ الشبا بِ الوارفِ المتهدِّل(٣)

جاران فى دار النوَى مُتقابلانِ بمنزل

أيْكِى وأيْكُكَ ضاحكا ن على خمائل مونبِلِى(٤)

---

١ ــ الموئل : الملجأ الــذى يلجأ اليه فى الشدة ــ٢ــ يريد « بالصفيح والجندل » : حجارة القبر . يستعبر بالفقيد ــ وهو المرفه فى الحيــاة ــ كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة ، وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار ــ٣ــ المتهدل : من قولهم : تهدلت اغصان الشجر ، اذا تدلت ــ٤ــ يشير فى هذا البيت والذى قبله ، الى ان الفقيد كان هو وامير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العــلم فى جامعــة « مونبليه » ، وهى احدى مدن فرنسا الشهيرة . والايك فى الأصل : عش الطائر . والخمائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين

والدرسُ يجمعُنى بأفـ ضلِ طالبٍ ومُحصِّل
أيامَ تَبْذُل فى سبيـ لِ العلم ما لم يُبذَل
غَضَّ الشباب ، فكيف كنـ ت عن الشبابِ بمعْزِلِ ؟
وإذا دعاكَ إلى الهوى داعى الصِّبا لم تحفِل
ولو اطَّلعْتَ على الحيا ةِ فعلْتَ ما لم يُفعَل
لم يَدْرِ إلاَّ اللهُ ما خَبأَتْ لكَ الدنيا ، ولى
تَجرى بنا لمُفتَّح بينَ الغُيوب ومُقفَل
حتى تبدَّلْنا ، وذا كَ العهدُ لم يَتبدَّل
هاتيك أيامُ الشبا بِ المحسنِ المتفضِّل
مَنْ فاته ظلُّ الشبيـ بةِ عاش غير مُظلَّل

* * *

يا راحلاً أخلَى الديا رَ وفضلُه لم يَرحَل
تتحملُ الآمالُ إثْـ ر شبابِه المتحمِّل(١)
مشتِ الشبيبةُ جحْفَلاً تَبكى لِواءَ الجحفل(٢)
فانظر سريرَك ، هل جرى فوق الدموعِ الهُطَّل ؟
الله فى وطنٍ ضعيـ فِ الركنِ ، واهى المعقِل
وأبٍ وراءَك حُزنُه لِنواك حزنُ المثْكل
يَهَبُ الضِّياعَ العامرا تِ لمَنْ يردُّ له «على»
ليس الغنىُّ من البريَّـــــة غير ذى البال الخَلِى

١ـ الشباب المتحمل ، اى الراحل ٢ـ الجحفل : الجيش .

ونَجيبةٍ بين العقا ئِلِ هَمُّها لا ينسلى(١)
دَخَلَتْ منازِلَها المنو نُ على الجرىء المُشْبِلِ(٢)
كسرَتْ جناحَ مُنعَّمٍ ورمَتْ فوادَ مُدلَّلِ
فكأَن آلكَ من شجٍ ومُتيَّمٍ ومُرمَّلِ
آلُ «الحسينِ» (بِكربلا في كُربةٍ لا تنجلى)(٣)
خلعَ الشبابَ على القنا وبذلْتَه لِلمُغْضِــــل(٤)
والسيفُ أرحمُ قاتلاً من عِلَّةٍ فى مَقتلِ
فاذهب كما ذهبَ الحسيـ نُ إلى الجوارِ الأَفضَلِ
فكلاكما زينُ الشبا بِ بجنةِ اللهِ العلى

١ـ لا ينسلى : اى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها ـ٢ المشبل : هو الذى يلد الاشبال ، وهى أولاد السباع ـ٣ـ كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه ـ٤ـ يشبه الفقيد بالحسين ، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه ، كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا ينافى الاعتقاد بالاجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى أن لا مفر من القتل يقول بعضهم :

* فلو ترك القطا ليلا لنام *

جورجي زيدان(*)

ممالكُ الشرقِ ، أم أدراسُ أطلالِ وتلك دُولاتُه ، أم رَسْمُها البالى؟(١)

أصابَها الدهرُ إلاَّ فى مآثرِها والدهرُ بالناس من حالٍ إلى حال

وصار ما نتغنَّى من محاسنها حديث ذى مِحنةٍ عن صَفْوِه الخالى

إذا حفا الحقُّ أرضاً هانَ جانبُها كأنَّها غابةٌ من غيرِ رِئبال(٢)

وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها لفاتكٍ من عَوادى الذل قتَّال

نوابغَ الشرقِ ، هُزُّوهُ لعلّ به من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى

إن تنفخوا فيه من روح البيانِ ، ومن حقيقةِ العلمِ ينهضْ بعدَ إعضال

لا تجعلوا الدينَ باب الشرِّ بينكُمُ ولا محلَّ مُباهاةٍ وإدلال

ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلَكُمُ كلُّ امرئٍ لأبيهِ تابعٌ تالى

ليس الغلوُّ أميناً فى مَشُورته مناهجُ الرُّشْدِ قد تخفَى على الغالى

لا تطلبوا حقَّكم بَغْياً ، ولا صَلَفاً ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُختال

ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُه فرُبَّ مصْلحةٍ ضاعت بإهمال

(*) الاستاذ الكبير المرحوم جورجي زيدان منشىء دار الهلال الغراء هو احد مؤسسي النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، واحد اساطين رجال العلم والادب ، الذين يرجع الى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ ، بعد ان ترك خلفه من التراث العلمى والادبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

١ـ الادراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلـق . والاطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت اليه ممالك الشرق فى هذه الايام ، فهو يسأل مستنكرا : اهذه ممالك حقا ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمـة كانت موجودة وذهبت ؟ ـ٢ رئبال : أسد .

كم هِمَّةٍ دَفَعَتْ جيلاً ذُرا شرفٍ ... ونوْمَة هدمتْ بُنيانَ أجيال

والعلمُ فى فضله ، أَو فى مفاخِره ... ركنُ المماِلكِ ، صدرُ الدولةِ الحالى

إذا مشَتْ أُمّةٌ فى العالَمين به ... أبَى لها اللهُ أنْ تَمشِى بأَغلال

يقِلُّ للعلم عندَ العارفين به ... ما تقدِرِ النفسُ من حُبٍّ وإجلال

فقِفْ على أهله ، واطلبْ جواهره ... كناقدٍ مُمعِنٍ فى كفِّ لآَّل

فالعلم يفعل فى الأَرواح فاسدُه ... ما ليس يفعل فيها طِبٌّ دجَّال

ورُب صاحبِ درْسٍ لو وقفْتَ به ... رأيتَ شِبه عليم بينَ جُهّال

وتسبق الشمسَ فى الأَمصار حكمتُه ... إلى كهولٍ ، وشُبّانٍ ، وأَطفال

(زيدانُ) ، إنى مع الدنيا كعهدِك لى ... رِضَى الصديقِ ،مقِيلُ الحاسدِ القالى

لى دَوْلةُ الشعر دونَ العصر وائِلَةٌ ... مَفاخِرى حِكَمى فيها وأمثالى

إنْ تَمْشِ للخير أَو للشر بى قدمٌ ... أُشمِّرُ الذَّيْلَ ، أَو أَعثُرْ بأَذيالى

وإنْ لَقِيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ ... جَحَدْتُ فى جَنْبِ فضلِ اللهِ أَفضالى

وأَشكر الصُّنع فى سِرى وفى علَنى ... إن الصنائع تزكو عند أمثالى

وأَتركُ الغيبَ لله العليمِ به ... إن الغيوب صناديقٌ بأقفال

(كأَرْغُنٍ) الديْرِ إكثارى ومَوْقِعُه ... وكالأذانِ على الأسماع إقلالى(١)

رثَيْتُ قبلك أَحباباً فُجِعْتُ بِهم ... ورُحْتُ من فُرقةِ الأَحبابِ يُرثى لى

وما عَلِمْتُ رفيقا غير مُؤتمَنٍ ... كالموت للمرءِ فى حِلٍّ وترحال

أَرحْتَ بالَك من دنيا بلا خُلُقٍ ... أليس فى الموت أَقصى راحةِ البال؟

طالت عليك عوادى الدهرِ فى خَشِنٍ ... من التُّراب مع الأَيام مُنهال

لم نأْتِه بأَخٍ فى العيش بعدَ أَخٍ ... إلّا تركنا رُفاتاً عندَ غِربال

١ـ الارغن : آلة موسيقية معروفة .

لا ينفعُ النفس فيه وهْيَ حائرةٌ ... إلا زكاةُ النُّهَى ، والجاهِ . والمال

ما تصنع اليومَ مِن خيرٍ تَجِدْه غداً ... الخيرُ والشرُّ مِثقالٌ بمثقال

قد أكمل اللهُ ذيّاك (الهلالَ) لنا ... فلا رأى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمال

ولا يَزَلْ فى نفوس القارئين ؛ له ... كرامةُ الصُّحُفِ الأُولَى على التالى

فيه الروائعُ من علمٍ ، ومن أدبٍ ... ومن وقائعِ أيامٍ وأحوال

وفيه همةُ نفسٍ زانها خُلُقٌ ... هما لباغى المعالى خيرُ مِنوال

علَّمْتَ كلَّ نَئُومٍ فى الرجال به ... أنّ الحياة بآمالٍ وأعمال

ما كان من دُوَلِ الإسلام مُنصرِماً ... صَوَّرْته ، كلُّ أيامٍ بتمثال

نرى به القوم فى عِزٍّ وفى ضَعة ... والملكَ ما بينَ إدبارٍ وإقبال

وما عرَضْتَ على الألبابِ فاكهةً ... كالعلمِ تُبرِزُه فى أحسنِ القال

وَضعْتَ خيرَ (رواياتِ) الحياة ، فضَعْ ... روايةَ الموتِ فى أسلوبِها العالى

وصِفْ لنا كيف تجفو الروحُ هَيْكَلَها ... ويستبدُّ البِلَى بالهيكل الخالى

وهل تَحِنُّ إليه بعد فُرقتِه ... كما يَحِنُّ إلى أوطانه الجالى(١)

هِضابُ لُبنانَ من منْعاتِكَ اضطَرَبَتْ ... كأن لبنانَ مَرْمِيٌّ بزلزال

كذلك الأرضُ تبكى فَقْدَ عالِمِها ... كالأُم تبكى ذهابَ الناقعِ الغالى

١ــ الجالى : النازح أو المهاجر .

شهداء العلم والغربة(*)

ألا فى سبيلِ الله ذاكَ الدمُ الغالى ... وللمجدِ ما أبقَى من المَثَل العالى
وبعضُ المنايا هِمّةٌ من ورائِها ... حياةٌ لأقوامٍ ، ودُنيا لأجيال
أعَيْنَىَّ ، جودا بالدموع على دمٍ ... كريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهَتْ به الأحداثُ من غُربةِ النَّوَى ... إلى حادثٍ من غُربةِ الدهرِ قتّال
جرى أرجُوانيًّا ، كُمَيْتًا ، مُشَعْشَعًا ... بأبيضَ من غِسْل الملائِكِ سَلْسَال(١)
ولاذ بقُضبانِ الحديدِ شَهيدُه ... فعادَتْ رَفيفًا من عيونٍ وأطلال
سلامٌ عليه فى الحياةِ ، وهامدًا ... وفى العُصُرِ الخالى ، وفى العالَمِ التالى
خَليلَىَّ ، قُوما فى رُبَى الغربِ ، واسقيا ... رَياحينَ هامٍ فى التراب ، وأوْصال(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ... ذوت بينَ حِلٍّ فى البلاد وتَرحال
نعاها لنا الناعى ، فمال على أبٍ ... هَلوعٍ ، وأُمٌّ (بالكنانةِ) مِثكال
طَوَى الغربَ نحوَ الشرقِ يَعْدُو سُلَيْكُهُ ... بمضطَرِبٍ فى البرِّ والبحرِ ، مِرْقال(٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات اوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من ارض ايطاليا ، فقتل احد عشر طالبا وجىء بهم الى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، فاشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعله بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

١ — الأرجوانى : منسوب الى الأرجوان ، وهو صبغ احمر يشبه به الدم لشدة حمرته . والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع : الممزوج بالماء . والغسل (بكسر الغين) : ما يغسل به . يصف يوم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى احمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون أبيض ، كأنه الماء السلسال الذى اصابه من غسل الملائكة —٢— الأوصال : الاعضاء .
٣ — سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل فى السرعة أراد تشبيه الناعى به . مرقال : سريع .

يُسِرُّ إلى النفسِ الأَسَى غيرَ هامسٍ ... ويُلقِى على القلبِ الشَّجَى غيرَ قَوَّال

سماءُ الحِمَى بالشاطِئيْنِ وأرضُه ... مناحةُ أقمارٍ ، ومَأْتَمُ أشبال

* * *

تُرَى الريحُ تدرِى : ما الذى قد أعادهَا ... بساطًا ، ولكن من حديدٍ وأثقال ؟

يُقِلُّ من الفِتْيَانِ أشبالَ غابةٍ ... غُداةً على الأخطارِ رُكَّابَ أهوال

ثَنَتْهُ العوادى دونَ (أودِينَ) ، فانثنى ... بآخَرَ من دُهْمِ المقاديرِ ذَيَّال(١)

قد اعتَنقا تحتَ الدُّخانِ كما التقَى ... كَمِيَّان فى داجٍ من النقْعِ مُنجال(٢)

فسبحانَ مَنْ يَرْمِى الحديدَ وبأْسَه ... على ناعمٍ غَضٍّ من الزهرِ مِنهال

ومَنْ يأْخذُ السارين بالفجرِ طالعاً ... طُلوعَ المنايا من ثَنِيَّات آجال(٣)

ومَن يَجعلُ الأسفارَ للناس هِمَّةً ... إلى سَفَرٍ يَنْوُونَه غيرَ قُفَّال

* * *

فيا ناقِليهم ، لو تركتم رفاتَهم ... أقام يتيمًا فى حِراسةِ لآل(٤)

وبينَ (غَريبالْدى) و(كافورَ) مَضْجَعٌ ... لنُزَّاعِ أمصارٍ على الحقِّ نُزَّال(٥)

فهل عَطَفَتْكم رَنَّةُ الأهْلِ والحِمَى ... وضَجَّةُ أترابٍ عليهم وأمثال ؟

لئن فاتَ مصرًا أن يموتوا بأرضها ... لقد ظَفِرُوا بالبَعْثِ من تُرْبِهَا الغالى

وما شَغلتْهُمْ عن هَواها قِيامةٌ ... إذا اعتَلَّ رَهْنُ المحبِسَيْنِ بأشغال(٦)

١ـ دهم : جمع ادهم ، وهو الاسود . وذيال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه ـ٢ـ كميان : مثنى كمى ، وهو الشجاع المتكمى ، اى المتغطى فى سلاحه . والنقع : الغبار ـ٣ـ الثنيات : قمم الجبال ـ٤ـ يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآل بائع اللآلىء وصائدها وصانعها ـ٥ـ غريبالدى وكافور : بطلان من ابطال الحركة الاستقلالية فى ايطاليا ـ ٦ ـ رهن المحبسين : أول ماطلق هذا التعبير كان يطلق على ابى العلاء المعرى ، والمحبسان هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتُم من الغرب الشموسَ لمشرقٍ ... تَلَقَّى سناها مُظلمًا كاسِفَ البال

عواثرَ لم تَبلغْ صِباها ، ولم تَنَلْ ... مَدَاها ، ولم تُوصَلْ ضُحاها بآصال

يُطافُ بهم نَعْشًا فنعشًا ، كأنهمْ ... مَصاحِفُ لم يَعلُ المُصَلِّى على التالى(١)

تَوابيتُ فى الأعناقِ تترَى زكيّةً ... كتابوتِ موسى فى مَناكب إسْرال(٢)

مُلففةً فى حُلَّةٍ شَفقيَّةٍ ... هِلاليةٍ من راية النيلِ تِمثال

أَظَلَّ جلالُ العلم والموتِ وَفدَها ... فلم تُلْقَ إلا فى خُشُوعٍ وإجلال

تُفارقُ دارًا من غُرورٍ وباطلٍ ... إلى مَنزل من جِيرَةِ الحقِّ مِحْلال

فيا حَلبةً رَفَّتْ على البحر حِلْيَةً ... وهزَّتْ بها (حُلوانُ) أعطافَ مُختال(٣)

جرَتْ بين إيماضِ العواصمِ بالضُّحى ... وبينَ ابتسامِ الثَّغرِ بالموكِبِ الحالى

كثيرةَ باغى السبقِ لم يُرَ مِثلُها ... على عهدِ إسماعيلَ ذى الطَّوْلِ والنابل(٤)

لكِ اللهُ ، هذا الخطبُ فى الوهم لم يَقَعْ ... وتلك المنايا لم يَكُنَّ على بال

بَلَى ، كلُّ ذى نَفسٍ أخو الموتِ وابنُه ... وإن جَرَّ أذيالَ الحداثةِ والخال

وليس عجيبًا أن يموتَ أخو الصِّبا ... ولكن عجيبٌ عَيْشُهُ عِيشةَ السالى

وكلُّ شبابٍ أو مَشيبٍ رَهينةٌ ... بمُعترِضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتال

وما الشيبُ من خَيْلِ العُلا ، فاركَبِ الصِّبا ... إلى المجدِ تركَبْ مَتْنَ أقدرِ جوّال

يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى ... إذا الشيبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال

ويا نَشأَ النيلِ الكريمِ ، عزاءَكم ... ولا تذكروا الأقدارَ إلا بإجمال

١ــ المصلى : هو الذى يجىء أول الخيل فى السبق ، والتـالى : هو الذى يجىء تاليا له ــ٢ــ تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام والقى فى البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . واسرال : اى اسرائيل ــ٣ــ الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى اقلت رفات الشهداء فى عودتهم الى مصر .
٤ــ النابل : العطاء . وفى هذا البيت اشارة الى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد اسماعيل باشا .

فهذا هو الحقُّ الذى لا يردُّه ... تـأفُّفُ قال ، أو تلطُّفُ مُحتال(١)
عليكم لواءَ العلمِ ؛ فالفوزُ تحتَهُ ... وليس إذا الأعلام خانت بخذَّال(٢)
إذا مالَ صفٌّ فاخلفوه بآخرٍ ... وَصولِ مَساعٍ ، لا ملولٍ ، ولا آل(٣)
ولا يصلُحُ الفِتيانُ لا علمَ عندَهم ... ولا يجمعون الأمرَ أنصاف جُهَّال
وليس لهم زادٌ إذا ما تزوَّدوا ... بياناً جُزَافَ الكيلِ كالحَشَفِ البالى(٤)
إذا جَزِعَ الفتيانُ فى وَقْعِ حادثٍ ... فمَنْ لجليلِ الأمرِ أو مُعْضِلِ الحال؟
ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِهِ ... نُفوسُ الحوارِيِّين أو مُهجُ الآل(٥)
فَغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينَكم ... ترنُّمَ أبطالٍ بأيام أبطال
ألستم بَنِى القومِ الذين تكبَّروا ... على الضربات السَّبعِ فى الأبدِ الخالى؟(٦)
رُدِدْتُم إلى فِرْعَوْنَ جَدًّا ، ورُبما ... رجعتم لعمٍّ فى القبائل أو خال

١ــ قال : مبغض ــ٢ــ عليكم لواء العلم : اى الزموا أو التزموا .
٣ــ آل : من قولهم : هو لا يألو جهدا ــ٤ــ الحشف البالى : التمر اليابس .
٥ــ الحواريون : اصحاب عيسى . والآل : اصحاب محمد صلوات الله عليهما ــ٦ــ الضربات السبع : يشير الى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد زغلول بك(*)

آلَ (زغلولَ) ، حَسْبُكم من عزاء … سُنَّةُ الموتِ فى النَّبِيِّ وآلِه

فى خِلالِ الخطوبِ ما راع إلا … أنها دون صبرِكم وجَمالِه

حَمل الرُّزْءَ عنكمُ فى (سعيدٍ) … بلدٌ شيخُكم أبو أحماله(١)

قد دهاهُ من فقْدِه ما دهاكم … وبكى ما بكيْتُمُ من خِلاله

فكما كان ذُخْرَكم ومُناكم … كان من ذُخرِه ومن آماله

ليت منْ فلكٌ أسرَكم لم يَكِلْه … للمنايا تمدُّه فى اعتقاله

حجبتْ من ربيعِه ما رجوْتم … وطوَتْ رحلة العُلا من هلاله

آنسَتْ صحّةً فمرّت عليها … وتخطَّتْ شبابَه لم تُباله

إنما مِنْ كِتابِه يُتَوَفَّى المر … ءُ ، لا مِنْ شبابِه واكتهاله

لستَ تدرى الحِمامُ بالغاب هل حا … مَ على اللَّيْثِ ، أم على أشباله

يا (سعيدُ) اتَّئِدْ ، ورِفْقاً بشيخٍ … والِهٍ من لواعج الثُّكل واله(٢)

ما كفاه نوائبُ الحقِّ حتى … زِدْتَ فى هَمِّه وفى إشغاله

فَجأَ الدهرُ ، فاقتضبْتُ القوافى … من فُجاءاته وخَطْفِ ارتجاله

قُمْ فشاهدْ لو استطعْتَ قِياماً … حَسرَةَ الشعرِ ، والْتِياعَ خياله

كان لى منك فى المجامع راوٍ … عجَزَ (ابنُ الحسين) عن أمثاله(٣)

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له .

١ـ شيخكم أبو احماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .
٢ـ الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد ـ٣ـ ابن الحسين : الشاعر المتنبى . وراوى الشعر وراويته : الذى يروى الشعر ويحفظه .

فطِنٌ للصِّحاح من لُؤلُؤِ القو لِ ، وأدرَى بهنَّ مِنْ لَآله(١)
لم يَكُنْ فى غُلُوِّهِ ضيق الصَّد رِ ، ولا كان عاجزًا فى اعتداله
لا يُعادى ، ويُتَّقى أن يُعادَى ويُخلِّى سبيلَ مَنْ لم يُواله
فامْضِ فى ذمةِ الشبابِ نقيًّا طاهرًا ما ثَنيْت من أذياله
إنَّ للعصر والحياةِ لَلُوماً لستَ مِنْ أهلِه ولا مِنْ مَجاله
صانكَ اللهُ من فسادِ زمانٍ دَنَّسَ اللومُ مِن ثيابِ رِجاله
سيقولون : ما رثاه على الفضـ ـل ، ولكنْ رَثاه زُلْفَى لخاله
أيُّهم مَنْ أتَى برأس كُلَيْبٍ أو شَفَى القُطْرَ من عَياء اَحتلاله ؟
ليس بينى وبين خالِكَ إلا أننى ما حييتُ فى إجلاله
أتمنَّى لمصرَ أن يَجرِيَ الخيـ ـرُ لها مِنْ يَمينِه وشِماله
لستُ أرجوه كالرجال لصَيْدٍ من حَرام انتخابِهم أو حَلاله
كيف أرجو (أبا سعيدٍ) لشىءٍ كان يُقْضَى بكُفره وضلاله ؟ !
هو أهلٌ لأنْ يرُدَّ لقومى أمْرَهم فى حقيقة استقلاله
وأنا المرءُ لم أرَ الحقَّ إلا كنتُ مِن حِزْبِه ومن عُمَّاله
رُبَّ حرٍّ صنعْتُ فيه . ثناءً عجزَ الناحتون عن تمثاله(٢)

١ـ اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه ـ٢ـ يقول : اننى كثيرا ما اصنع للاحرار قصائد ثناء ، فتقوم فى تصويرهم وتخليد اشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين ان يصنعوا مثالها .

أمين بك الرافعى(*)

مال أَحبابُه خليلاً خليلا   وتولّى اللّذاتُ إلا قليلا
نَصلوا أَمسِ من غُبار الليالى   ومضى وحدَه يَحُثُّ الرحيلا(١)
سكَنتْ منهم الركابُ . كأَن لم   تضطربْ ساعةً ولم تَمْضِ مِيلا
جُرِّدوا من مَنازِلِ الأَرضِ إلا   حَجَرًا دارِسا ورَملاً مَهيلا(٢)
وتَعَرَّوْا إلى البِلَى ، فكساهم   خُشْنةَ اللَّحدِ والدُّجىٰ المسدولا
فى يَبابٍ من الثرى رَدَّه المو   تُ نقيًّا من الحقودِ غَسيلا(٣)
طَرَحوا عندَه الهمومَ ، وقالوا   إن عِبءَ الحياةِ كان ثقيلا
إنما العالمُ الذى منه جئنا   مَلعبٌ لا يُنوِّع التمثيلا
بطلُ الموتِ فى الرواية ركنٌ   بُنِيَتْ منه هيكلاً وفصولا
كلما راح أَو غدا الموتُ فيها   سَقط. السِّترُ بالدموع بَليلا

* * *

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتبا سياسيا عظيما ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثالا عاليا ، لطهارة الذمة ، ونبل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله فى تمسكه برايه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها الا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهدا فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٦ .

١ ــ نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كنائى عن الموت ، اذ غبار الليالى عبارة عن احداثها ، وليس فى امكان الحى التنصل من هذه الاحداث الا بالموت . يقول ان احبابه وخلانه سبقوه ، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على اثرهم مسرعا ، ليلحق بهم ، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا ــ٢ــ يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى ايديهم من ممتلكاتها الا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى لم يتقاتل الناس ؟ ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع ، وهم اذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات الا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رممهم ــ٣ــ اليباب : الخراب . يقول : ان هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الأكدار ، وغسله من الأحقاد ، فهو من أجل ذلك صار اروح للأرواح عن المواضع الآهلة بالعمران .

ذكرياتٌ من الأحبَّةِ تُمحَى بيَدٍ للزمان تَمحو الطُّلولا
كلُّ رسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ سوف يمشى البِلَى عليه مُحيلا
رُبَّ ثُكْلٍ أساكَ مِن قُرْحةِ الثُّكْ لِ ، ورُزْءٍ نسَّاك رُزْءاً جليلا

* * *

يابَناتِ القَرِيضِ ، قُمْنَ مَناحا تٍ ، وأَرْسِلْنَ لَوْعةً وعَويلا
من بَناتِ الهَدِيلِ أَنْتُنَّ أَحْنَى نغمة فى الأسى ، وأشجى هَدِيلا(١)
إن دمعًا تَذْرِفْنَ إثرَ رِفاقى سوف يَبْكِى به الخليلُ الخليلا
رُبَّ يومٍ يُناحُ فيه علينا لو نُحِسُّ النُّواح والترتيلا
بمَراثٍ كَتَبْنَ بالدمع عنّا أسطُرًا من جوًى ، وأُخرَى غليلا
يَجِدُ القائلون فيها المعانى يومَ لا يأذن البِلَى أن نَقولا

* * *

أخذ الموتُ من يدِ الحقِّ سَيفا خالِدِىَّ الغِرارِ ، عَضْبًا ، صقيلا(٢)
من سيوف الجهادِ فُولاذُهُ الحـ قُّ ، فهل كان قَيْنُه جبريلا ؟(٣)
لمسته يدُ السماءِ ، فكان الـ بَرْقَ والرعدَ خَفْقَةً وصَليلا
وإباءُ الرجالِ أمضَى من السيـ فِ على كفِّ فارسٍ مَسلولا
رُبَّ قلبٍ أصارَه الخُلْقُ ضِرْغا ماً ، وصدرٍ أصارَه الحقُّ غِيلا(٤)

١ـ الهديل : الحمام . وصوت الحمام ، والهديل ايضا : فرخ قالوا انه كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه ـ٢ـ العضب : السيف ، والغرار : حد السيف . وقوله : « خالدى » نسبة الى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول ـ٣ـ القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف ـ٤ـ الضرغام : من اسماء الأسد . والفيل : موضع الأسد .

قيلَ : حَلَّلْهُ . قُلْتُ : عِرقٌ من التِّبْرِ أراحَ البيانَ والتَّحليلا

لم يَزِدْ فى الحديد والنارِ إلا لَمحةً حُرَّةً ، وصبرًا جميلا

لم يَخَفْ فى حياته شَبَحَ الفقرِ إذا طاف بالرجال مَهولا

جاعَ حِينًا ، فكان كاللَّيْثِ آبَى ما تُلاقيه يومَ جُوعٍ هَزيلا

تأكل الهِرَّةُ الصِّغارَ إذا جاعَتْ ، ولا تأكل اللَّباةُ الشُّبولا

قِيلَ : غالٍ فى الرأى قُلتُ : هَبوهُ قد يكون الغُلُوُّ رأياً أصيلا

وقديماً بَنَى الغُلُوُّ نُفوساً وقديماً بَنَى الغلُوُّ عُقولا

وكم استنهضَ الشيوخَ ، وأذكَى فى الشباب الطِّماحَ والتأميلا

ومِنَ الرأيِ ما يكونُ نِفاقاً أو يكونُ اتجاهُه التضليلا

ومن النقدِ والجِدالِ كلامٌ يُشبه البَغْىَ ، والخَنا ، والفُضولا

وأرى الصدقَ دِيْدَناً لسَلِيل الرافعيِّينَ والعَفافَ سَبيلا

عاش لم يَغْتَبِ الرجالَ ، ولم يَجْعَلْ شئونَ النفوسِ قالاً وقِيلا

قد فقدنا به بقيَّةَ رَهْطٍ أيقظوا النيلَ وَادِياً ونَزيلا

حَرَّكوهُ ، وكان بالأمس كالكهفِ حُزوناً ، وكالرَّقِيم سُهولا(١)

يا أمينَ الحقوقِ ، أدّيْتَ حتى لم تَخُنْ مصرَ فى الحقوق فَتيلا

ولوِ اسْطعْتَ زِدْتَ مصرَ من الحقِّ على نيلها المباركِ نيلا

لَسْتُ أنساكَ قابعًا بين دُرْجَيْكَ مُكِبًّا عليهما مَشغولا

---

١ ـ الكهف : كالبيت المنقور فى الجبل . والرقيم : يقال هو الكتاب ، واذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم ، معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهياة لان يخط فوقها حروف الحياة الاولى . ولو سئل احد الحكماء ما هى الحروف الاولى للحياة ؟ لاجاب على الفور : هى اليقظة . ولعمرى ان ربة الحكمة اذن هى التى الهمت امير الشعراء قوله فى البيت السابق : « ايقظوا النيل واديا ونزيلا » ففى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله الى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم .

قد تواريتَ فى الخُشوع ، فخالو لَكَ ضئيلاً ، وما خُلِقْتَ ضئيلا

سائل (الشعبَ) عنك ، و (العَلَمَ) الخفَّاقَ ، أو سائل اللواءَ الظليلا(١)

كم إمامٍ قربْتَ فى الصفِّ منه ومُغَنٍّ قَعَدْت منه رَسِيلا ؟

تُنْشِدُ الناسَ فى القَضِيَّةِ لَحْنًا كالحوارىِّ رَتَّل الإنجيلا

ماضياً فى الجهاد لم تتأخَّر تَزِنُ الصفَّ ، أو تُقيم الرَّعيلا(٢)

ما تبالى مَضَيْتَ وحْدَكَ تَحْمِى حَوْزَةَ الحق ، أم مضَيْتَ قَبيلا

* * *

إن يَفُتْ فيكَ مِنْبَرَ الأمسِ شِعرى إن لى المنبرَ الذى لن يزولا

جلّ عن مُنْشِدٍ سِوَى الدهرِ يُلقيهِ على الغابرين جِيلاً فجيلا

---

١ ــ الشعب ، والعلم ، واللواء : اسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه ــ٢ــ الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد انه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف اذا مالت ، ويرد الطوائف اذا نفرت .

الشيخ سلامه حجازى (*)

يالَرَى النيلِ، فى نَواحِيكَ طيرٌ كان دنيا ، وكان فرحةَ جيلِ
لم يَزَلْ يَسْزِلُ الخمائلَ حتى حلّ فى رَبْوَةٍ على سَلسبيل
أفسد الرَّوْضَ فى الحياة مَلِيًّا وأقامَ الرُّبَى بسِحْرِ الهَديل(١)
يا لِواءَ الغناءِ فى دَوْلَةِ الفـ ـنِ : إليكَ اتجهتُ بالإكليل
عبقريًّا كأنّه زَنْبَقُ الخُلْـ ـدِ على فَرْعِهِ السَّرِىِّ الأَسيل(٢)
أينَ مِنْ مَسْمَعِ الزمانِ أغانـ ـىٌّ عليهنَّ رَوْعَةُ التمثيل ؟
أين صَوتٌ كأنه رَنّةُ البلبـ ـلِ فى الناعمِ الوَريفِ الظليل ؟
فيه من نَغْمةِ المزامير مَعْنًى وعليه قَداسةُ الترتيل
كلما رَنَّ فى المسارح «إن كنـ ـتُ» انثنَى بالهُتاف والتهليل(٣)
كعِتاب الحبيب فى أُذُنِ الصَّـ ـبِّ ،وهَمْسِ النديمِ حولَ الشَّمول(٤)
كيف إخوانُنا هناك على الكَوْ ثَرِ بينَ الصَّبا وبينَ القبول؟(٥)

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازى أعلى قمم المجد فى فن الغناء والتمثيل فى عصره ، وقد رؤى ان يعترف له بهذا النبوغ اعترافا عمليا . فتألفت جماعة من اهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه الى ضريح يتناسب وهذا التقدير . ورأوا من افضل الوسائل لهذه الغاية ان يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وانشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

١ـ الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام ـ٢ـ السرى: الجدول ـ٣ـ ان كنت ، يشير الى ان الفقيد قد ذاعت من اغانيه قصيدة مطلعها :

ان كنت فى الجيش ادعى صاحب العلم
فاننى فى هــواكم صــاحب الألم

٤ـ الشمول : الخمر ـ٥ـ الصبا : ريح مهبها من جهة المشرق وهى من الطف الرياح .

كيف فى الخُلدِ ضَرْبُ أحمدَ بالعو ... دِ ، ونفخُ الأمين فى الأرغول ؟ (١)
فرَحٌ كُلُّهُ النعيمُ وعُرْسٌ ... كيف (عثمانُ) فيه كيف (الحَمُولِى) ؟ (٢)
فهنيئًا لكم ونعمةُ بالٍ ... إستَرحتم من ظِل كلِّ ثقيل
إنما مَنزلٌ رُفاتُك فيه ... لَبقايا من كل فَنٍّ جميل
ذَبُلَتْ فى ثَراهُ رَيْحانةُ الفـ ... ـنِّ ، وجَفَّتْ رَيْحانةُ التمثيل

* * *

قام يَجْزِى (سلامةٌ) فى ثَراه ... وطنٌ بالجزاءِ غيرُ بَخيل
قد يُوفِى البناءَ والغرْسَ أجرًا ... ويُكافِى على الصَّنيعِ الجليل
مُحسنٌ بالبنينَ فى حاضرِ العَيْـ ... ـشِ ، وفى سالفِ الزمانِ الطويل
ويُعِدُّ الضَّريحَ من مَرْمَرِ الخُلْـ ... ـدِ الكريمِ المهذَّبِ المصقول (٣)
يدفنُ الصالحين فى وَرَقِ المُصْـ ... ـحَفِ ، أو فى صحائف الإنجيل

* * *

مصرُ فى غَيبةِ المُشايعِ ، والحا ... سدِ ، والحاقد اللَّئيمِ الذَّليل
قامت اليومَ حولَ ذِكراك تَجرِى ... وطنيًّا من الطِّراز القليل
من رجالٍ بَنَوْا لمصر حديثًا ... وأذاعوا مَحَاسِنًا للنيل
هم سُقاةُ القلوبِ بالوُدِّ والصَّفْـ ... ـوِ . وهم تارةً سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فَتًى عبقرىٌّ ... ليس فى المجد بالدَّعِى لدخيل

---

١ ــ احمد : اسم احد المعاصرين ؛ اشتهر بضرب العود . وامين : معاصر آخر اشتهر بالارغول ــ٢ــ عثمان : هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى : هو عبده الحمولى ــ٣ــ الضريح : هو البناء الذى اتخذته لجنة احياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له .

أدهم باشا(*)

مُصابُ بَنِى الدنيا عظيمٌ (بأَدهمِ) ... وأعظمُ منه حَيْرَةُ الشعرِ فى فَمى

أأَنطقُ والأَنباءُ تترَى بطيِّبٍ ... وأسكُتُ والأَنباءُ تَتْرَى بمؤلِم ؟

أَتيْتُ بغالٍ فى الثَّنَاءِ مُنَضَّدٍ ... فمَنْ لى بِغالٍ فى الرِّثاءِ مُنظَّم ؟

عَسى الشعرُ أن يَجْزِى جَريئًا ،لفقدِه ... بَكىٰ التركُ واليونانُ بالدمعِ والدّم

وكم مِنْ شُجَاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ ... وكم مِنْ جَبانٍ فى اللِّداتِ مُذمَّم

وهل نافعٌ جَرْىُ القَوافى لغايةٍ ... وقد فَتَكَتْ دُهْمُ المنايا بأَدهم ؟(١)

رمَتْ فأَصابت خيرَ رامٍ بها العِدَى ... وما السَّهمُ إلا للقضاءِ المحتَّم

فتًى كان سيفَ الهندِ فى صورةِ امرىءٍ ... وكان فتى الفتيانِ فى مَسْكِ ضيْغَم(٢)

لَحاهُ على الإقدام حُسَّادُ مَجْدِهِ ... وما خُلِقَ الإقبالُ إلا لمُقْدِم

مُزعْزِعُ أَجيالٍ ، وغاشِى مَعاقلٍ ... وقائدُ جَرّارٍ ، ومُزْجِى عَرَمْرَم(٣)

سلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه ... وفى ذِرْوَتَيْهِ مِنْ نُسورٍ وأَعْظُم

لَيَالِىَ باتَ الدِّينُ فى غير قَبضةٍ ... وزُلْزِلَ فى إيمانه كلُّ مُسْلِم

وقال أُناسٌ : آخرُ العهدِ بالملا ... وهَمَّتْ ظنونٌ بالتُّراثِ المُقَسَّم(٤)

فأَطْلَعَ للإِسلام والمُلْكِ كوكبًا ... من النصر فى داجٍ من الشك مُظلِم

ورحنا نُباهى الشرقَ والغربَ عِزَّةً ... وكُنَّا حديثَ الشامتِ المترحِّم

مَفاخِرُ للتاريخ تُحْصَى لأَدهم ... ومَنْ يُقْرِضِ التاريخَ يَرْبَحْ ويَغْنَم

* * *

(*) ادهم باشا : هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية ـ١ـ دهم المنايا : اى سود المنايا ـ٢ـ المسك (بفتح الميم) : الجلد. والضيغم:الأسد ـ٣ـ العرموم:الجيش الكبير ـ٤ـ الملا : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت.

ألا أَيُّها الساعونَ ، هل لَبِسَ الصَّفا   سَوادًا ، وقد غَصَّ الوُرودُ بِزَمْزَم ؟

وهل أقبلَ الرُّكبانُ يَنْعَوْنَ (خالدًا)   إلى كلِّ رامٍ بالجِمارِ ومُحْرِمِ ؟

وهل مَسجدٌ تَتْلُونَ فيه رِثاءَه ؟   فكم قد تَلَوْتُم مَدْحَهُ بالترنُّم !

وكان إذا خاضَ الأَسِنَّةَ والظُّبى   تَنَحَّتْ إلى أن يَعْبُرَ الفارسُ الْكَمِى

ومَنْ يُعْطَ فى هٰذى الدُّنيَّةِ فُسْحَةً   يُعَمَّرْ وإن لاقَى الحروبَ ويَسْلَم

(علىٌّ) أبو الزَّهراءِ داهِيَةُ الوغَى   دهاهُ ببابِ الدّارِ سيفُ ابن مُلْجَم

(فروق) ، اضْحكِى وابْكِى فَخارًا ولَوْعةً   وقُومِى إلى نعش الفقيدِ المعظَّم

كأُمِّ شَهيدٍ قد أتاها نَعِيُّهُ   فخفَّتْ له بينَ البُكا والتبسُّم

وخُطِّى له بينَ السلاطينِ مَضجعًا   وقبرًا بجنبِ الفاتح المتقدِّم

بَخِلْتِ عليه فى الحياةِ بموكبٍ   فتُوبِى إليه فى الممات بمأتم

ويا داءُ ، ما أنصَفْتَ إذْ رُعْتَ صدرَهُ   وقد كان فيه الملكُ إن رِيعَ يَحتمِى

ويأيُّها الماشونَ حولَ سَريرِه   أَحَطْتُم بتاريخٍ فَصيحِ التكلُّم

ويامصرُ ، مَنْ شَيَّعْتِ أَعْلَى همامةً   وأَثْبَتُ قلبًا مِنْ رَواسِى المقطَّم

ويا قومُ ، هذا مَنْ يُقام لمثله   مثالٌ لباغى قُدْوَةٍ مُتَعلِّم

ويابحرُ ، تدرى قدرَ مَنْ أنتَ حاملٌ ؟   ويا أرضُ ، صونيه ، ويا ربِّى ، ارْحَمِ

عثمان باشا الغازى (*)

هالةٌ للهلالِ فيها اعتصامُ ... كيف حامَتْ حِيالَها الأيّامُ؟

دخلتْها عليكَ (عثمانُ) فى السلـ ... ـم ، وقد كنتَ فى الوَغَى لا تُرام

وإذا الداءُ كان داءَ المنايا ... صعَّبَتْهُ لأهلِها الأحلام

فبرغم (المُشيرِ) أن يَتَوَلَّى ... والخطوبُ المُرَوِّعاتُ جِسام

ويدُ الملكِ تستجيرُ يَدَيْهِ ... والسرايا تدعوه ، والأعلام

وبنوه يرجونه وهُمُ الجُنـ ... ـدُ ، وهم قادةُ الجنودِ العِظام

مثَّلَتْهم صِفاتُه للبرايا ... رُبَّ فردٍ سادت به أقوام

بطلَ الشرقِ . قد بَكتْكَ المعالى ... ورثاك الوَلِيُّ والأخصام

خَذَلَ الملكَ زندُه يوم أَوْدَيْـ ... ـتَ ، وأهوَى من راحتَيْهِ الحُسام

ودَهَى الدينَ والخلافةَ أمرٌ ... فادحٌ ، رائعٌ ، جليلٌ ، جُسام

علمُ العصر والممالكِ وَلَّى ... وقليلٌ أمثالُه الأعلام

سَلْ (بلفنا) : أكنتَ تُدْرَكُ فيها ... ولَوَ أنّ المحاصِرِين الأنام

خَيَّمَ الروسُ حولَ حِصْنِكَ ، لكن ... أين مِنْ هامَةِ السِّماكِ الخِيام ؟

وأحاطت بعزمك الجندُ ، لكن ... عزمُكَ الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام

كلما جَرَّدَ (المُحاصِرُ) سيفًا ... قطع السيفَ رأيُكَ الصَّمصام

وإذا كانت العقولُ كِبارًا ... سَلِمت فى المَضايق الأجسام

وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم ... ويَنال الطَّوَى ، ويُعْطَى الأُوَامُ

فخرجتم إلى العِدا لم تُبالوا ... ما لأُسْدٍ على سُغوب مُقام

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية .

تَخرقون الجيوشَ جيشًا فجيشًا ... مِثلَما يَخرقُ الهَوَاءَ الغَمام

والمنايا مُحيطةٌ ، وحصونُ الرُّ ... وسِ تَحْمِى الطريقَ والألغام

ولِنارِ العدوِّ فيكم قُعودٌ ... ولِسيفِ العدوِّ فيكم قِيام

جُرِحَ الليثُ يومُ ذاكَ ، فخان الـ ... جَأش قلبٌ . وزُلزِلَتْ أقدام

ما دفَعْتَ الحُسامَ عجزًا . ولكن ... عَجَّزتْ ضَيغَمَ الحروبِ الكِلام

فأعادوه خيرَ شيءٍ أعادوا ... وكذا يَعرِفُ الكرامَ الكِرام

فتقلَّدتَه وكنتَ خليقا ... سَلَبَتْنا كِلَيْكُما الأيام

ما لها عَوْدَةٌ . ولا لك رَدٌّ ... نِمتَ عنها . ومَنْ تَرَكْتَ نِيام

إنما الملكُ صارمٌ ويَراعٌ ... فإذا فارقاه ساد الطَّغام

ونظامُ الأُمورِ عقلٌ وعدلٌ ... فإذا وليَّا تَوَلَّى النظام

وعجيبٌ خُلِقْتَ للحرب لبْثًا ... وسجاياك كلُّهن سَلام

فهْىَ فى رأيكَ القويمِ حَلالٌ ... وهْىَ فى قلبك الرحيمِ حَرام

لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بغيضٌ ... وحَنانٌ يُحبّه الأيتام

مُستبدٌّ على قوىٍّ ، حليمٌ ... عن ضعيفٍ . وهكذا الإسلام

بطرس باشا غالى (*)

قبرَ الوزيرِ ، تحيَّةً وسَلاما ... الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
ومحاسنُ الأَخلاقِ فيك تغيَّبَتْ ... عاماً ، وسوف تغيَّب الأعواما
قد كنت صَوْمَعَةً فصِرْت كنيسة ... فى ظلِّها صلَّى المُطيفُ وصاما
والقومُ حَوْلَكَ يا بن (غالى) خُشَّعٌ ... يقضونَ حقًّا واجبًا وذِماما
يَسعَوْنَ بالأبصار نحوَ سَريرِه ... كالأرض تَنْشُدُ فى السماءِ غَماما
يَبكون مَوْئِلَهم ، وكَهْفَ رَجَائِهِم ... والأَرْيَحِىَّ المُفْضِلَ المِقداما
مُتسابقين إلى ثَراك ، كأنهم ... ناديكَ فى عزِّ الحياةِ زِحاما
وَدُّوا غَداةَ نُقِلْتَ بينَ عُيونِهم ... لو كان ذلك مَحشرا وقِياما
ماذا لقيتَ من الرِّياساتِ العُلا ... وأخذتَ مِن نِعَمِ الحياةِ جِساما ؟
اليوم يُغنِى عنك لَوْعَةُ بائِسٍ ... وعَزاءُ أرمَلَةٍ ، وحُزنُ يَتامى
والرأىُ للتاريخ فيك ، ففى غدٍ ... يَزِنُ الرجالَ ، ويَنْطِقُ الأحكاما
يَقضِى عليهم فى البَرِيَّةِ ، أو لهم ... ويُديمُ حَمدًا ، أو يُؤَبِّدُ ذاما
أنت الحكيمُ ، فلا تَرُعْكَ مَنِيَّةٌ ... أعلِمْت حيًّا غيرَ رِفْدِكَ داما
إنَّ الذى خلقَ الحياةَ وضِدَّها ... جَعَلَ البقاءَ لِوَجْهِهِ إكراما
قد عِشْت تُحدِثُ للنصارَى أُلفةً ... وتُجِدُّ بين المسلمين وئاما
واليومَ فوقَ مَشيدِ قبرِك مَيتًا ... وَجَدَ المُوَفَّقُ للمقال مَقاما

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى أيام حكم الخديو عباس الثانى ، وقد اغتاله ابراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لاسباب سياسية .

الحقُّ أبلجُ كالصباحِ لناظرٍ لو أنَّ قوماً حَكَّموا الأحلاما

أعَهِدْتَنا والقِبْطَ. إلّا أمّةً للأرضِ واحدة تَروم مَراما ؟

نُعْلِي تعاليمَ المسيحِ لأجلهم ويُوَقِّرون لأجلنا الإسلاما

الدِّينُ للديّانِ جلَّ جلالُه لو شاء ربُّكَ وَحَّدَ الأقواما

ياقومُ ، بانَ الرُّشدُ فاقْصُوا ماجرى وخُذوا الحقيقةَ ، وانبذوا الأوهاما

هٰذى رُبُوعُكُمُ ، وتلك رُبوعُنا مُتقابلين نعالج الأياما

هٰذى قُبورُكُمُ ، وتلك قُبورُنا مُتجاورينَ جَماجما وعِظاما

فبحُرمةِ المَوْتَى ، وواجبِ حقِّهم عِيشوا كما يَقضى الجوارُ كِراما

يبكى والدته (*)

إلى اللهِ أشكو مِن عَوادِي النَّوَى سهما — أَصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أَصْمَى (١)

من الهاتكات القلبَ أَوَّلَ وَهْلةٍ — ومَا دَخَلَتْ لحمًا ، ولا لامستْ عظما

تَوَارَدَ والنَّاعِي ، فأَوْجَسْتُ رَنَّةً — كلاماً على سمعى ، وفى كبدى كَلْما (٢)

فما هتَفاحتى نَزَا (٣) الجنبُ وانزَوَى — فياوَيْحَ جَنْبِى ! كم يَسيلُ؟وكم يَدْمَى؟

طَوَى الشرقَ نحوَ الغربِ ، والماءَ للثَّرَى — إلىَّ ، ولم يَركبْ بِساطاً ولا يَمَّا (٤)

أَبانَ ولم يَنْبِسْ ، وأَدَّى ولم يَفُهْ — وأَدْمَى وما داوَى ، وأَوْهَى وما رَمَّا

إذا طُوِيَتْ بالشُّهْبِ والدُّهْمِ شُقَّةٌ — طَوَى الشُّهْبَ ،أَوجاب الغُدافِيَّةَ الدُّهْما (٥)

ولم أَرَ كالأَحداثِ سهمًا إذا جرَتْ — ولا كالليالى رامياً يُبعِدُ المَرْمَى

ولم أَرَ حُكمًا كالمقاديرِ نافذًا — ولا كلقاءِ الموتِ مِنْ بَينها حَتْما

(*) نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة ، على اثر اعلان الهدنة ، وهو فى منفاه فى الاندلس سنة ١٩١٨ . اذ كان يعلل النفس بالعودة الى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث الى نفسه بهذا الامل المرموق ، حتى وافاه البرق بنعيها ، فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تاثيرا بالغا ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل انه من فرط تأثره بها تحاشى ان ينظر اليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة ، حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله

١ـ عوادى النوى : عوائقه . وقوله : « أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى » : اى أصاب صميم القلب ولم يقتل ـ٢ـ الكلم (بفتح الكاف) : الجرح ـ٣ـ نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر . اذا هم بالطيران ـ٤ـ بساطا ولايما : اى لم يركب طيارة تسير فى الهواء ، كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، اى البحر ـ ٥ـ الشهب : البيض . والدهم : السود . وجاب : قطع . والغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل ، كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله اليه .

إلى حيثُ آباءُ الفتَى يَذهبُ الفتى   سَبيلٌ يَدينُ العالَمون بها قِدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ في ظلِّ رُوحِهِ   ولاالموتُ إلا الرُّوحُ فارقَتِ الجِسما
ولا خلْدَ حتى تملأَ الدهرَ حِكْمةً   على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْما

* * *

زَجَرْتُ تَصاريفَ الزمانِ ،فما يقَعْ   لِيَ اليومَ منها كان بالأمس لي وَهْما(١)
وقدَّرْتُ (للنعمانِ) يوماً وضِدَّهُ   فما اغْتَرَّتِ البُوسَى ،ولاغَرَّتِ النُّعْمَى(٢)
شرِبتُ الأَسى مصروفةً لو تعرضتْ   بأَنفاسِها بالفمِّ لم يستفِقْ غَمّا
فأَتْرِعْ وناوِلْ يا زمانُ ؛ فإنما   نديمُكَ (سُقْراطُ) الذى ابْتَدَعَ السُّما(٣)
قَتلتُكَ ، حتى ما أبالي : أَدَرْتَ لى   بكأْسِكَ نَجْمًا ، أَم أَدَرْتَ بها رَجْما ؟!
لكِ اللهُ مِنْ مَطعونةٍ بقَنا النَّوى   شهيدةِ حربٍ لم تُقارِفْ لها إثما
مُدَلَّهةٍ أزكى مِنَ النارِ زَفْرَةً   وأَنْزَهِ مِنْ دَمْعِ الحَيا عَبْرَةً سَحْما(٤)
سقاها بَشيرى وهْىَ تَبكِى صَبابةً   فلم يَقْوَ مَغناها على صَوْبِهِ رَسْما(٥)
أَسَتْ جُرحَها الأَنباءُ غيرَ رَفيقةٍ   وكم نازعٍ سهمًا فكان هو السَّهما!
تَغارُ على الحُمَّى الفضائلُ والعُلا   لِما قبَّلَتْ منها ، وماضَمَّتِ الحُمَّى!
أَكانت تَمَنَّاها وتَهوَى لِقاءَها   إذا هى سَمَّاها بذى الأَرض مَنْ سَمّى؟

١ــ الزجر : العيافة والتكهن ، يقول : انه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له ــ٢ــ كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه احد الا قتله ، ويوم نعمى لا يسأل فيه الا اعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من اجلها امثال كثيرة للعرب . ويرجع فى هذا الى الكتب الادبيــة المطولة من شاء ــ٣ــ سقراط : امام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالاعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض ان يفر مع اصحابه الذين عزموا عليه بالفرار

٤ ــ العبرة السحما : أى السوداء ، ولا يكون هذا الا من اثر الحزن العميق .

٥ ــ الرسم : هو هنا مصدر « رسم المطر الديار » اذا عفاها وأبقى اثرها لاحقا بالارض .

أَلَمَّتْ عليها ، واتَّقتْ ثمراتِها فلما وُقُوا الأسْواءَ لم ترَها ذمَّا
فياحسرتا أَلَّا تراهم أَهِلَّةً إذا أقْصَرَ البدرُ التمامُ مَضوْا قُدْما !
رَياحينُ فى أنفِ الوَلِىِّ ، وما لها عدوٌّ تراهم فى مَعاطِسِهِ رَغْما
وأَلَّا يطوفوا خُشَّعًا حولَ نعشِها ولا يُشبِعوا الركنَ استلاماً ولا لَثْما
حلَفْتُ بما أسلَفْتِ فى المهد مِنْ يَدٍ وأَوْلَيْتِ جُثمانى من المِنَّةِ العُظمى
وقبرٍ مَنُوطٍ بالجلال مُقَلَّدٍ تَليدَ الخلالِ الكُثْرِ ، والطارفَ الجَمّا(١)
وبالغاديات الساقياتِ نَزِيلَهُ من الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، والآيِ ، والأَسْما
لَما كان لى فى الحربِ رأىٌ ولا هوَىً ولا رُمْتُ هذا الشكلَ للناسِ واليُتْما
ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرقِّ لى رِضاً فكيف رضائى أن يَرَى البَشَرُ الظُّلما ؟
ولم آلُ شُبّانَ البريّةِ رِقّةً كأنّ ثمارَ القلب مِنْ وَلَدِى ثَمّا
وكُنْتُ على نَهْجٍ من الرأى واضحٍ أرى الناسَ صِنفَيْنِ : الذئابَ أو البَهْما(٢)
وما الحُكْمُ إلا أُولِى البأْسِ دولةً ولا العدلُ إلا حائطٌ يَعْصِمُ الحُكما

* * *

نزلْتُ رُبَى الدنيا ، وجَنّاتِ عَدْنِها فما وَجَدَتْ نفسى لأنهارها طعما
أُرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ فى عَرَصاتِها وإنْ لم أُرِحْ (مَرْوانَ) فيها ولا (لَخْما)(٣)
إذَا ضَحِكتْ زهوًا إلىّ سماؤها
بكيْتُ النَّدَى فى الأَرض ، والبأْسَ ، والحزما
أُطِيفُ بِرسمٍ ، أو أُلِمُّ بدِمْنَةٍ أخالُ القصور الزُّهْرَ والغُرَفَ الشُّما
فما بَرِحَتْ من خاطرى (مصرُ) ساعةً ولا أنتِ فى ذى الدارِ زايَلْتِ لى هَمّا

---

١ — التليد : القديم . والطارف : الجديد —٢— البهم (بفتح الباء) : صغار الغنم —٣— مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الاندلس زمنا .

إذا جَنَّنِى الليلُ اهتززتُ إليكما ... فجنحا إلى سُعْدَى، وجُنحا إلى سَلْمى (١)

فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى ... وأبصرَ فيه ذو البصيرةِ والأعمى

وقرَّتْ سيوفُ الهندِ، وارتكز القَنا ... وأقلعَتِ البَلْوَى، وأقشعَتِ الغُمَّى

وحَنَّتْ نواقيسٌ، ورَنَّتْ مآذنٌ ... ورَفَّتْ وجوهُ الأرضِ تستقبلُ السلمى

أتى الدهرُ مِنْ دونِ الهناءِ، ولم يَزَلْ ... وَلوعاً ببُنْيَانِ الرجاءِ إذا تمَّا!

إذا جال فى الأعيادِ حَلَّ نظامَها ... أو العُرسِ أبْلَى فى معالمه هَدْما

لئن فاتَ ما أمَّلتِهِ من مواكبٍ ... فَدُونَكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضَّخما!

رثيْتُ به ذاتَ التُّقى ونظمتُه ... لعنصره الأزكى وجوهرِهِ الأسمى

نمتكِ مَناجيبُ العُلا ونمَيْتِها ... فلم تُلْحَقِى بنتًا ولم تُسْبَقِى أمَّا

وكنتِ إذا هذى السماءُ تخايلتْ ... تواضعْتِ، لكنْ بعد ما فُتِّها نَجما

أتَيْتِ به لم ينظم الشِّعرَ مثلُه ... وجئْتِ لأخلاق الكرامِ به نَظْما

ولو نهضَتْ عنه السماءُ، ومَخَّضَتْ ... به الأرضُ كان المُزنَ والتبْرَ والكَرْما! (٢)

---

١ — الجنح (بضم الجيم وكسرها) : طائفة من الليل — ٢ — يريد أنه يشبه المزن فى الكرم، والتبر فى العرق والنفاسة، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره.

الملك حسين(*)

لك فى الأرض والسماء مآتمْ قام فيها أبو الملائكِ هاشمْ(١)
قعد الآلُ للعزاء ، وقامتْ باكياتٍ على الحسين الفواطم(٢)

* * *

يا أبا العِليَةِ البهاليلِ ، سَلْ آ باءكَ الزُّهْرَ : هل من الموتِ عاصم؟(٣)
المنايا نوازلُ الشَّعَرِ الأَبـ يضِ ، جاراتُ كلِّ أسودَ فاحم(٤)
ما الليالى إلا قِصارٌ ، ولا الدُّنـ يا سِوَى ما رأيتَ أحلام نائم
انْحِسارُ الشِّفاهِ عن سنٍّ جَذلا نَ وراءَ الكرى إلى سنِّ نادِمِ
سنةٌ أفرحَتْ ، وأخرى أساءتْ لم يَدُم فى النعيم والكربِ حالم

* * *

المَناحاتُ فى ممالِكِ أبنا ئِكَ بَدْرِيَّةُ العزاءِ قوائم(٥)
تلك (بغدادُ) فى الدموعِ ، وعمّا نُ وراءَ السَّوادِ ، والشامُ واجم(٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على ، زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الاتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

١ـ ابو الملائك : اى ابو الملوك . وهاشم هو احد جدود النبى صلوات الله عليه ـ٢ـ الآل : آل البيت النبوى الشريف ، والمقصود هنا رجاله . والفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وزوج الامام على كرم الله وجهه ـ٣ـ علية (بكسر العين) : جمع على ، وهو الشريف العالى القدر من الناس . والبهاليل: جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . والآباء الزهر : هم المشرقو الوجوه ، المشابهون للنجوم الزهر فى صفاء اللون والتلألؤ والظهور . ٤ـ يقول : ان المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن ـ٥ـ يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر ، أولى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ـ٦ـ بغداد : عاصمة العراق . والمراد بها القطر كله . وعمان : عاصمة الاردن ، كنى بها عن الاقليم جميعه . والشام : يقصد بها سوريا وما اليها من الاقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط .

والحِجَازُ النبيلُ رَبْعٌ مُصَلٌّ ... من رُبوعِ الهُدى ، وآخرُ صائم(١)

واشتركنا ، فمِصرُ عَبْرَى ، ولبنا ... نُ سَكُوبُ العيونِ باكى الحمائم

* * *

قُمْ تأمَّلْ بَنيكَ فى الشَّرقِ زَيْنَ التَّـــــاجِ ، مِلْءَ السَّريرِ ، نورُ العواصم(٢)

الزكيّون عُنْصُرًا مثل إبرا ... هيمَ ، والطيِّبون مثل القاسم(٣)

وعليهم إذا العيونُ رَمَتْهم ... عُوَذٌ من محمدٍ وتمائم(٤)

قد بنَى اللهُ بيتَهم فهْوَ باقٍ ... ما بنى اللهُ ما له من هادِمِ

دبَّروا الملكَ فى العراقِ وفى الشا ... مِ ، فسَنّوا الهدى ، وردّوا المظالم

أَمِنَ الناسُ فى ذَراهم ، وطابت ... عربُ الأَرضِ تحتَهم والأَعاجم

وبَنَوْا دولةً وراءَ فِلَسْطِ ... ينَ ، كعابَ الهدى ، فتاةَ العزائم

سَاسَها بالأَناةِ أَرْوَعُ (كالدا ... خل) ، ماضى الجنانِ يقظانُ ، حازم(٥)

قُبْرُصٌ كانت الحديدَ ، وقد تَنْ ... زِل قُضبانَهُ اللُّيوثُ الضَّراغم(٦)

كَرِهَ الدَّهرُ أن يقومَ لِواءٌ ... تُحْشَر البيدُ تحتَه والعماعِم(٧)

* *

---

١ ــ الحجاز النبيل : يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد والربع : الدار ــ٢ــ العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات ــ٣ــ ابراهيم والقاسم : هما من اولاد النبى صلوات الله عليه ــ٤ــ عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التميمة : تمائم ــ٥ــ الأناة : الرفق . ويريد « بالأروع » : الملك فيصل . يشبهه بالداخل ، وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى امية فى الاندلس ــ٦ــ قبرص : جزيرة فى البحر الابيض المتوسط ، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك، يشبهها امير الشعراء فى حالة اقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الاسد ، وصنع الاقفاص الحديدية لحبس الاسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا .

٧ــ العماعم : الجماعات المتفرقون .

قم تحدّثْ (أبا علىّ) إلينا ... كيف غامرْتَ فى جِوار الأراقمُ ؟(١)
لم تُبالِ النيوبَ فى الهام خُشْنًا ... وتعلّقْتَ بالحواشى النّواعِم
هاتِ حَدِّثْ عن العَوانِ وصِفْها ... لا تُرَعْ فى التراب ، ما أنا لائم !(٢)
كلُّنا واردُ السَّرابِ ، وكلٌّ ... حمَلٌ فى وَليمَةِ الذئبِ طاعم(٣)
قد رجوْنا من المغانم حَظًّا ... ووَرَدْنا الوَغَى ، فكُنَّا الغنائم

* * *

قد بَعثْتَ التضحيَّةَ اليومَ مَيْتًا ... رُبَّ عظمٍ أتى الأمورَ العظائم
أنتَ كالحقِّ ألَّف النّاسَ يَقظا ... نَ ، وزادَ ائتلافَهم وهْوَ نائم
إنما الهِمَّةُ البعيدةُ غَرْسٌ ... مُتأنِّى الجَنَى ، بَطِيءُ الكمائم(٤)
ربّما غابَ عن يدٍ غَرَسَتْهُ ... وحَوَتْه على المدى يدُ قادم
حبَّذا موْقِفٌ غُلِبْتَ عليه ... لم يَقِفْهُ للعُربِ قبلك خادم
ذائدًا عن ممالكٍ وشعوبٍ ... نُقِلتْ فى الأكفِّ نقلَ الدراهم
كلُّ ماءٍ لهم ، وكلُّ سماء ... مَوْطِيءُ الخيلِ ، أو مَطارُ القَشاعم(٥)
لِمَ لَمْ تَدْعُهم إلى الهِمّةِ الشَّـــماء والعلمِ والطِّماحِ المُزاحم؟
وركوبِ اللُّجاجِ وهْىَ طَواغٍ ... والسمٰواتِ وهْىَ هُوجُ الشكائم؟(٦)

١ــ يشير الى انضمام الفقيد فى صف الحلفاء ضد تركيا فى اثنـــاء **الحرب** الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام اثره فى نهـــاية تلك الحـــرب .
٢ــ العوان : الحرب ــ٣ــ كلنا فى وليمة الذئب طاعم : يريد كلنـــا مطعوم **مأكول لهذا** الذئب ــ٤ــ الجنى : الثمار . والكمـــائم : محـــل ما تنبت تلك **الثمار** ــ٥ــ القشاعم : النسـور ، جمع قشعم . ويريد « بالنسور » الطيارين **الذين** يشبهون النسـور ــ٦ــ يريد « بركوب السمٰوات » : ركوب الطيارات **ويريد** بهوج الشكائم : اللجم ، اى اللجم الصعبة القياد .

وإلى القُطْب والجَليدُ عليه والصَّحارى وما بها من سَمائم؟(١)
اغسلوه بطيِّبٍ من وَضوءِ الرُّسْـــلِ ، كالوَرْدِ فى رُباه البواسم(٢)
وخذوا من وِسادِهم فى المُصَلَّى رُقْعةً كَفِّنوا بها فرعَ هاشم
واستعيروا لِنَعشِه من ذُرى المنـــبرِ عودًا ، ومن شريفِ القوائم
واحملوه على البُراق إن اسْطَعْـــتم ؛ فقد جَلَّ عن ظهور الرواسم(٣)
وأديروا إلى العتيق (حُسينًا) يَبْتَهِلْ رُكنُه ، وتدعو الدعائم(٤)
واذكروا للأمير مكَّةَ ، والقصـــرَ ، وعهدَ الصفا ، وطِيبَ المواسم
ظَمِئَ الحُرُّ للدِّيار ، وإن كا ن على مَنهلٍ من الخلد دائم

* * *

نَقِّلوا النعشَ ساعةً فى رُبا الفتـــح ، وطوفوا بِرَبِّهِ فى المعالم
وقِفوا ساعةً به فى ثَرى الأقـــمار من قومِه وتُرْب الغمائم
وادفِنوه فى القُدس بين سُليما ن وداودَ والملوكِ الأكارم
إنما القدسُ منزلُ الوَحْى ، مَغْنَى كلِّ حَبْرٍ من الأوائل عالم
كُنِّفَتْ بالغيوب ، فالأرضُ أسْرا رُ مَدَى الدهرِ ، والسماءُ طَلاسم
وتَحلَّتْ من البُراقِ بطُغرا ء ، ومن حافر البُراقِ بخاتم(٥)

١ـ السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة المحرقة ـ٢ـ الوضوء (بفتح الواو) : ما يتوضأ به ـ٣ـ الرواسم : الابل ، أو الخيل ، او الركائب عامة ـ٤ـ العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد ـ٥ـ الطغراء : ما يكتب فى أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبى صلوات الله عليه ليلة اسرى به .

يرثى أباه(*)

سألونى : لِمَ لَمْ أرْثِ أبى ؟ ورِثاءُ الأبِ دَيْنٌ أىُّ دَيْنْ

أيُّها اللُّوّامُ ، ما أظلمَكم ! أينَ لى العقلُ الذى يُسعِد أيْنْ؟(١)

يا أبى ، ما أنتَ فى ذا أوّلٌ كلُّ نفس للمنايا فرضُ عَيْن

هلكَتْ قبلك ناسٌ وقرَى ونَعى الناعون خيرَ الثقلين(٢)

غايةُ المرءِ وإن طالَ المدَى آخذٌ يأخذه بالأصغريْنَ(٣)

وطبيبٌ يَتولَّى عاجزًا نافضاً من طِبِّه خُفَّىْ حُنَين(٤)

إنَّ للموتِ يدًا إن ضَرَبَتْ أوشكَتْ تصْدُع شملَ الفرْقَدَيْن

تَنفُذ الجوَّ على عِقبانه وتلاقى الليثَ بين الجبلين

وتحطُّ الفرخَ من أيْكَته وتنال الببَّغا فى المئتين

أنا مَنْ مات ، ومَنْ مات أنا لقى الموتَ كِلانا مَرْتين

نحن كنا مهجةً فى بدنٍ ثم صِرْنا مُهجةً فى بَدَنَيْن(٥)

ثم عُدنا مهجة فى بدنٍ ثم نُلقى جُثَّةً فى كَفَنَيْن

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

١ــ يسعد : يعين ــ٢ــ الثقلان : الانس والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه ــ٣ــ الاصغران : القلب واللسان ــ٤ــ خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة ــ٥ــ المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

ثم نَحيا فى (علىٍّ) بعدَنا ويه نُبْعَثُ أُولَى البَعْثتين(١)

انظر الكونَ وقُلْ فى وصفِه كلٌّ هذا أَصلُه من أبوين

فإذا ما قيل : ما أَصلُهما ؟ قل : هما الرحمةُ فى مَرْحَمتين

فقدَا الجنةَ فى إيجادِنا ونَعِمْنا منهما فى جَنّتين

وهما العذرُ إذا ما أُغضِبَا وهما الصّفحُ لنا مُسْتَرْضَيَيْن

ليتَ شِعرى أىُّ حىٍّ لم يَدِن بالذى دَانا به مُبتدِئَيْن ؟

وقفَ اللهُ بنا حيثُ هُما وأَماتَ الرُّسْلَ إلّا الوالدين(٢)

ما أَبِى إلّا أَخٌ فارَقْته وُدُّه الصِّدقُ ، وودُّ الناسِ مَيْن(٣)

طالما قُمنا إلى مائدةٍ كانت الكِسْرةُ فيها كِسْرتَيْن

وشَربنا من إناءٍ واحدٍ وغَسلنا بعدَ ذا فيه اليديْن

وتمشَّيْنا يَدى فى يدِه مَن رآنا قال عنا : أخوَيْن

نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً سَوَّت الشرَّ فكانت نظرتين

يا أبِى والموتُ كأْسٌ مُرَّةٌ لا تذوقُ النفسُ منها مَرّتَين

كيف كانت ساعةٌ قضَّيْتها كلُّ شىءٍ قبلَها أو بعدُ هَيْن ؟

أَشرِبْتَ الموت فيها جُرعةً أم شرِبْتَ الموتَ فيها جُرعتين ؟

١ــ على : هو احد نجلى امير الشعراء ــ٢ــ يريد فى هذا البيت ان يقرر ان الابوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الانبياء ، وانما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الابناء على غرار الآباء ، مصداقا للاثر القائل : ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه ــ٣ــ المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة ادائه اعظم الوان المدائح لوالده ، فان الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الاب ، هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الاخلاق ، البالغ اعلى درجات الحكمة .

لا تَخَفْ بعدَكَ حُزناً أو بُكَا جَمدَتْ مِنِّى ومنكَ اليومَ عَيْن
أنتَ قد علمتنى تَرْكَ الأسى كلُّ زَيْنٍ مُنتهاه الموتُ شَيْن
ليت شعرى : هل لنا أن نلتقِى مَرّةً ، أم ذا افتراقُ المَلَوَين؟(١)
وإذا متُّ وأُودِعْتُ الثرى أنلقَى حُفرةً أم حُفْرتين ؟

١ــ الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

مصطفى كامل باشا(*)

المَشرِقانِ عليكَ يَنتحِبان ... قاصيهُما في مأتَمٍ والدّاني

يا خادِمَ الإسلامِ ، أجرُ مُجاهدٍ ... في اللهِ من خُلْدٍ ومِنْ رِضْوانِ

لما نُعيتَ إلى الحجازِ مشَى الأسَى ... في الزائرينَ ورُوِّعَ الحَرَمانِ(١)

السِّكةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُما ... مَنكوسةُ الأعلامِ والقُضْبانِ(٢)

لم تَألُها عندَ الشدائدِ خِدمةً ... في اللهِ والمختارِ والسلطانِ

يا ليتَ مكةَ والمدينةَ فازتا ... في المحفِلَيْنِ بصوتِكَ الرنّانِ

ليرى الأواخرُ يومَ ذاكَ ويسمعوا ... ما غابَ من قُسٍّ ومِن سَحْبانِ(٣)

جارَ الترابِ وأنتَ أكرمُ راحلٍ ... ماذا لَقِيتَ من الوجودِ الفاني؟

أبكِي صِباكَ ، ولا أعاتبُ مَنْ جَنَى ... هذا عليه كرامةً للجاني

يتساءلون :أبِـ(السُّلالِ)قضيْتَ ، أم ... بالقلبِ ، أم هل مُتَّ بالسَّرَطانِ؟

اللهُ يَشهدُ أنّ موتَك بالحِجا ... والجدِّ والإقدامِ والعِرفانِ

إن كان للأخلاقِ ركنٌ قائمٌ ... في هذهِ الدنيا ؛ فأنتَ الباني

باللهِ فَتِّشْ عن فؤادِك في الثّرى ... هل فيه آمالٌ وفيه أماني ؟

وِجدانُكَ الحيُّ المُقيمُ على المَدى ... ولرُبَّ حَيٍّ مَيتِ الوِجْدانِ

الناسُ جارٍ في الحياةِ لغايةٍ ... ومُضلَّلٌ يَجري بغيرِ عِنانِ

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني ، وقد توفى سنة ١٩٠٨ .

١ ــ الحرمان : حرما مكة والمدينة ــ٢ــ السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد اعظم الدعاة المجاهدين في سبيل انشائها .

٣ــ قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخُلْدُ فى الدنيا – وليس بهيّنٍ – عُليا المراتبِ لم تُتَحْ لجبان
فلو آن رُسْلَ اللهِ قد جَبُنوا لمَا ماتوا على دينٍ من الأديان
المجدُ والشَّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ جُعِلتْ لها الأخلاقُ كالعنوان
وأحَبُّ مِن طولِ الحياةِ بذِلَّةٍ قِصَرٌ يُريكَ تقاصُرَ الأقران
دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له : إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثواني
فارفعْ لنفسِك بعدَ موتِكَ ذِكرَها فالذكرُ للإنسان عُمرٌ ثاني
للمرءِ فى الدنيا وجَمِّ شئونِها ما شاءَ مِنْ رِبحٍ ومِنْ خُسران
فَهِى الفضاءُ لراغبٍ مُتطلِّعٍ وهى المَضِيقُ لِمُؤثِرِ السُّلْوان
الناسُ غادٍ فى الشَّقاء ورائحٌ يَشْقى له الرُّحَماءُ وهْوَ الهاني
ومُنعَّمٌ لم يلقَ إلاَّ لذَّةً فى طيِّها شَجَنٌ من الأشجان
فاصبر على نُعْمى الحياةِ وبُؤسِها نُعْمى الحياةِ وبُؤسُها سِيَّان(١)
ياطاهرَ الغَدَواتِ ، والرَّوحاتِ ، والـ خطراتِ ، والإسْرارِ ، والإعْلان
هل قامَ قبلَكَ فى المدائنِ فاتحٌ غازٍ بغيرِ مُهنَّدٍ وسِنان ؟
يدعو إلى العِلْمِ الشريفِ ، وعندَه أن العلومَ دعائمُ العُمران ؟
لفُّوكَ فى عَلَمِ البلادِ مُنكَّسًا جَزِعَ الهلالُ على فتى الفتيان
ما احْمَرَّ مِنْ خَجَلٍ ، ولا مِن ريبةٍ لكنَّما يَبكى بدمعٍ قاني(٢)
يُزْجُون نعشَكَ فى السَّناءِ وفى السَّنا فكأنَّما فى نعشِكَ القمران
وكأنَّه نعشُ الحُسينِ « بكربَلا » يختالُ بين بُكاً ، وبينَ حَنان
فى ذِمَّةِ اللهِ الكريمِ وبِرِّهِ ما ضمَّ مِن عُرْفٍ ومِن إحسان

---

١ – سيان : مثلان ، الواحد سى ٢ – قانى : احمر .

ومَشَى جلالُ الموتِ وهْوَ حقيقةٌ وجلالُك المصدوقُ يلتقيان
شَقَّتْ لِمَنظرِكَ الجيوبَ عقائلٌ وبَكَتْكَ بالدّمعِ الهَتُونِ غوانى(١)
والخلقُ حولَك خاشعون كعهدِهم إذ يُنصِتُون لخطبةٍ وبَيان
يتساءلون : بأىِّ قلبٍ تُرْتَقَى بعدُ المنابرُ ، أم بأىِّ لسان ؟
لو أنّ أوطاناً تُصوَّرُ هَيْكَلا دفنوك بينَ جوانحِ الأوطان
أو كان يُحمَل فى الجوارحِ ميّتٌ حملوك فى الأسماعِ والأجفان
أو صِيغَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا كفنٌ لَبِستَ أحاسنَ الأكفان
أو كان للذكرِ الحكيمِ بقيةٌ لم تأتِ بعدُ ، رُثِيتَ فى القرآن
ولقد نظرتُك والرَّدَى بك مُحْدِقٌ والداءُ مِلْءُ معالمِ الجُثمان
يَبْغِى ويطغَى ، والطبيبُ مُضلَّلٌ قَنِطٌ ، وساعاتُ الرَّحيلِ دَوانى
ونواظرُ العُوّادِ عنكَ أمالَها دمعٌ تُعالِجُ كتْمَهُ وتُعانى
تُمْلِى وتَكتُبُ والمشاغِلُ جَمَّةٌ ويَداك فى القِرطاسِ ترتجفان
فهشَشْتَ لِى ، حتى كأنك عائدى وأنا الذى هَدَّ السَّقامُ كِيانى
ورأيتُ كيف تموتُ آسادُ الشَّرَى وعرفتُ كيفَ مصارعُ الشُّجعان(٢)
ووَجَدْتُ فى ذاكَ الخيالِ عزائمًا ما للمَنونِ بدَكِّهِنَّ يَدان
وجَعلْتَ تسألُنى الرِّثاءَ ، فهاكه من أدمُعى وسرائرى وجَنانى
لولا مُغالبةُ الشُّجونِ لخاطرى لنظمتُ فيكَ يَتيمةَ الأزمان
وأنا الذى أرثِى الشموسَ إذا هَوَتْ فتعودُ سِيرتَها إلى الدَّوَران
قد كنتَ تهتفُ فى الورى بقصائدى وتُجِلُّ فوقَ النيِّراتِ مكانى

١ـ العقائل : جمع عقيلة وهى من كل شىء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، اذا قطر والغوانى جمع غانية ، وهى الفتاة تغنى بجمالها عن الحلى ـ٢ـ آساد : جمع اسد . والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الاسد .

مَاذَا دَهانِى يومَ بِنْتَ فعَقَّنى ... فيكَ القريضُ ، وخانني إمكاني؟
هوِّنْ عليكَ ؛ فلا شماتَ بميِّتٍ ... إنّ المنيَّة غايةُ الإنسان
مَنْ للحسودِ بميْتةٍ بُلِّغْتَها ... عَزَّتْ على (كِسْرَى) أنوشِيرْوان؟
عُوفِيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحَرْبِها ... فهل استرحْت أم استراح الشانى؟(١)
ياصَبَّ مِصْرَ ، وياشهيدَ غرامِها ... هذا ثرَى مِصْرٍ ؛ فنَمْ بأَمان
اخلَعْ على مصرٍ شبابَك عالياً ... والبِسْ شَبابَ الحُورِ والوِلْدان
فلعلَّ مصرًا من شبابِكَ ترتدِى ... مجدًا تَتيهُ به على البُلدان
فلَوَ انّ بالهَرَمَيْنِ من عَزماتِه ... بعضَ المَضَاء تحرَّك الهَرمان
علَّمْتَ شُبانَ المدائنِ والقُرى ... كيف الحياةُ تكونُ فى الشبان
مصرُ الأَسيفةُ ريفُها وصعيدُها ... قبرٌ أبرُّ على عظامِك حانى
أَقسمْتُ أنك فى الترابِ طهارةٌ ... مَلكٌ يَهابُ سؤالَه الملَكان

---

١ — حربه (كطلبه) : سلبه ماله ، والشانى : المبغض .

حسن بك أنور(*)

تُسائِلنى (كرْمَتِى) بالنهار ... وبالليل : أين سَمِيرِى (حَسَنْ) ؟(١)
وأين النديمُ الشهِىُّ الحديثِ ؟ ... وأين الطَّروبُ اللطيفُ الأُذن ؟
نَجِىُّ البلابِل فى عُشِّها ... ومُلْهِمُها صِبْيَةً فى الفَنَن ؟
فقلتُ لها : ماتَ ، واستشعَرت ... ليالِى السرورِ عليه الحَزَن
لَئِنْ ناءَ من سِمَنٍ جسمُه ... فما عَرفت رُوحُه ما السِّمَن
وما هو مَيْتٌ ، ولكنه ... بشاشةُ دهرٍ محاها الزمن
ومَعْنًى خلا القولُ من لفظِه ... وحُلمٌ تَطَايَر عنه الوَسَن(٢)

* * *

ولا يَذكرُ المعهدُ الشرقىُّ ... (لأنورَ) إلا جليلَ المِنَن
وما كان من صَبره فى الصِّعابِ ... وما كان من عَوْنِه فى المِحَن
وخِدمة فنٍّ يُداوِى القلوبَ ... ويَشفِى النفوسَ ، ويُذْكِى الفِطَن
وما كان فيه الدَّعِىَّ الدخيلَ ... ولكنْ مِن الفنِّ كان الرُّكُن(٣)

* * *

ولو أنصف الصحبُ يومَ الوَداعِ ... دُفِنْتَ (كإسحاقَ) لمّا دُفِن
فغُيِّبْتَ فى المِسْكِ ، لا فى التراب ... وأُدرِجْتَ فى الوَرْدِ ، لا فى الكَفَن
وخُطَّ لك القبرُ فى رَوْضَةٍ ... يَميلُ على الغُصْنِ فيها الغُصُن

(*) المرحوم حسن بك انور : احد الاعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقى ، وكان من الاصدقاء المقربين لامير الشعراء ، وقد توفى سنة ١٩٣٠

١ـ كان يطلق على دار امير الشعراء كرمة ابن هانىء ـ٢ـ الوسن : النعاس ـ٣ـ الركن : الركن ، وقد حركت الكاف من أجل الشعر . والركن من كل شىء : جانبه الاشد والاقوى .

وينتحِبُ الطيرُ فى ظلِّها ويَخلَعُ فيها النسيمُ الرَّسَن(١)
وقاست على العود أوتارُه تُعيد الحنينَ ، وتُبدى الشَّجَن
وطارحَكَ (النايُ) شَجْوَ النُّوَاحِ وكنتَ تئِنُّ إذا النايُ أَنْ
ومال فناحَ عليكَ (الكَمانُ) وأظهر من بَثِّه ما كَمَن

* * *

سلامٌ عليكَ سلامُ الرُّبا إذا نَفَحَتْ ، والغوادى الهُتُن
سلامٌ على جيرةٍ بالإمام ورَهْطٍ بصحرائه مُرْتَهَن
سلامٌ على حُفَرٍ كالقباب وأُخرى ، كَمُندرِساتِ الدِّمَن(٢)
وجَمْعٍ تـآلفَ بعدَ الخلافِ وصافَى وصُوفِىَ بعد الضَّغَن
سلامٌ على كلِّ طَوْدٍ هُناك له حَجَرٌ فى بناءِ الوطن

١ـ الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
٢ـ الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الديار .

أم المحسنين(*)

أَخَذَتْ نعشَكِ مصرٌ باليمينْ ... وحَوَته مِن يد الرُّوحِ الأَمينْ(١)
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقاياكِ كما ... لَقِيَتْ (يَثْرِبُ) أُمَّ المؤمنين
فى سَوادَيْهَا ، وفى أَحشائها ... ووراءَ النَّحْرِ مِن حَبلِ الوَتِين(٢)

* * *

خرَجَتْ من قصرِكِ الباكى ، إلى ... رَمْلَةِ الثَّغْرِ ، إلى القصرِ الحزين
أَخذَتْ بينَ اليتامى مَذهبًا ... ومَشتْ فى عَبَراتِ البائسين
ورَمتْ طَرْفاً إلى البحرِ ترى ... مِن وراءِ الدَّمعِ أَسرابَ السفين
فبَدَتْ جاريةٌ فى حِضْنِها ... فَنَنُ الوَرْدِ وفرعُ الياسَمين(٣)
وعلى جُؤْجُئِهَا نورُ الهدى ... وعلى سُكَّانِها نورُ اليقين(٤)
حَملَتْ من شاطِئَىْ (مَرْمَرَةٍ) ... جوهرَ السُّؤددِ والكنزَ الثمين(٥)
وطَوَت بحرًا ببحرٍ ، وجَرَت ... فى الأُجاجِ المِلْحِ بالعَذْبِ المَعين
واستقلَّتْ دُرَّةً كانت سَنًى ... وسناءً فى جِباهِ المالكين(٦)

(*) أم المحسنين : هى والدة سمو الخديو عباس باشا الثانى ، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

١ـ أخذت نعشك مصر باليمين : تعبير مقصود به القول ان مصر كلها اظهرت اهتماما وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة . اما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن ان النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة، ومن اجل ذلك قام جبريل امين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد ـ٢ـ النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه ـ٣ـ جارية : سفينة ، وفى القرآن الكريم : « وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام » ـ٤ـ جؤجؤ السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها ـ٥ـ مرمرة : بحر فى بلاد الترك . يقول : ان هذه السفينة لم تحمل من شاطىء تلك البلاد نعش ميتة ، وانما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين ـ٦ـ السنى ، بالقصر : الضوء ، وبالمد : الرفعة .

ذهَبَتْ عن عِلْيَةٍ صِيدٍ ، وعن خُرَّدٍ من خَفِرات البيتِ عِين
والتَّقِيّاتُ بناتُ المُتَّقِي والأمِيناتُ بُنَيّاتُ الأمين
لَبِسَتْ في مَطْلَعِ العِزِّ الضُّحى ونَضَتْهُ كالشموس الآفلين(١)
يَدُها بانيةٌ غارِسةٌ كيَدِ الشمسِ وإن غاب الجبين

* * *

رَبَّة العَرشَيْنِ في دولتها قد رَكِبْتِ اليومَ عرشَ العالَمين
أُضْجِعَتْ قبلَكِ فيه (مريمٌ) وتَوارَى بنِساء المُرسَلين
إنه رَحْلُ الأوائلِ شَدَّهُ لهمُ آدَمُ رُسْلِ الآخِرين

* * *

اِخلَعِي الألقابَ إلا لقباً عَبقريًّا ، هو (أمُّ المحسنين)
ودَعِي المالَ يَسِرْ سُنَّتَه يَمْضِ عن قومٍ لأيدى آخرين
واقْذِفي بالهمِّ في وَجه الثَّرى واطرحي منْ حالِقٍ عِبْءَ السنين(٢)
واسخرى من شانِئٍ أو شامتٍ ليس بالمخطِئِ يومُ الشامِتِين
وتعزَّى عن عوادى دولةٍ لم تَدُمْ في وَلَدٍ أو في قَرين
وازهدِى في موكبٍ لو شِئْتِه لتغطَّى وجهُها بالدارعين(٣)
ما الذى رَدَّ على أصحابه ؟ ليس يُحيِي مَوكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبَّ محمولٍ على المِدفع ما مَنَعَ الحَوْضَ ، ولا حاط العَرين(٤)
باطلٌ من أُممٍ مَخدوعةٍ يَتحدَّوْنَ به الحقَّ المبين

* * *

---

١ ــ نضته : خلعته . والآفلين : جمع آفل . والافول للشموس : المغيب .
٢ ــ حالق الجبل : اعلاه ، كأنه يقول : أن الموت ارتفاع عظيم ــ٣ــ الدارعين : جمع دارع ، اى لابس الدرع ــ٤ــ العرين : مأوى الاسد . يقول : كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ، ولم يمنعوا العدوان عن الحمى ، فمادام هذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقه ، فهو اذن ليس بذى خطر ، وليس بالذى يعتز به حقيقة .

فى (فَروقٍ) ورُباها مأْتمٌ ذرَفَتْ آماقَها فيه العيون
قام فيها ، من عَقيلات الحِمى مَلَأٌ بُدِّلْنَ مِنْ عِزٍّ بهُون
أَسَرٌ مالت بها الدنيا ، فلم تَلْقَ إلا عندكِ الركنَ الركين
قد خلا (بيبكُ) من حاتمه ومن الكاسِين فيه الطاعمين(١)
طارت النعمةُ عن أَيْكَتِه وانقضى ما كان من خَفضٍ ولِين
اليتامى نُوَّحٌ ناحيةً والمساكينُ يَمُدُّون الرَّنين
دولةٌ مالت ، وسُلطانٌ خلا دُووِلَتْ نُعماهُ بينَ الأَقربين
مُنهضُ الشرقِ (عَلِيٌّ) لم يزل من بنيه سيِّدٌ فى (عابِدين)
يُصلِحُ اللهُ به ما أفسدَتْ فَتَرَاتُ الدهر من دُنيا ودين
أُمَّ عبّاسٍ ، ومالِي لم أَقُلْ : أُمَّ مصرٍ من بناتٍ وبنين ؟
كنتِ كالورد لهم ، واستقبلوا دولةَ الرَّيْحانِ حيناً بعدَ حِين
فيقال : الأُمُّ فى موكبها ويُقالُ : الحرَمُ العالى المصون(٢)

* * *

(العفيفىُّ) عفافٌ وهُدًى (كالبَقِيعِ) الطُّهْرِ ضَمَّ الطاهرين(٣)
ادخلى الجنّةَ من رَوْضَتِه إنّ فيها غرفةً للصابرين

---

١ ـ بيبك : قصر الفقيدة فى الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل يضرب به المثل فى الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمى . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن اجل ذلك قيل لها ام المحسنين ـ٢ـ يشير هذا البيت الى ان الفقيدة العظيمة كانت ام خديو وزوجة خديو .
٣ـ العفيفى : علم على الموضع الذى اقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور احمد فؤاد(*)

أوْحَتْ لطَرْفِكَ فاستهلَّ شُئُونا ... دارٌ مَرَرْتَ بها على (قَيْسونا)(١)

غاضَت بشاشتُها ، وفَضَّتْ شملَها ... دنيا تَغُرُّ السادِرَ المفتونا

نزَلَتْ عَوادِي الدهرِ فی ساحاتِها ... وأقلَّ رَفْرَفها الخطوبَ العُونا(٢)

فتكادُ مِنْ أسَفٍ على آسِی الحِمَی ... من كلِّ ناحيةٍ تثور شُجونا

تلك (العيادةُ) لم تكن عَبَثًا ، ولا ... شَرَكًا لصَيْدِ مَآربٍ وكَمينا

دارُ (ابنِ سِينَا) نُزِّهَتْ حُجُراتُها ... عن أن تَضُمَّ ضَلالةً ومُجونا(٣)

خَبَتِ المطالعُ مِنْ أغرَّ مُؤَمَّلٍ ... كالفجر ثَغْرًا ، والصباحِ جَبينا(٤)

ومِنَ الوُفودِ ، كأنهم مِنْ حَوْلِه ... مَرْضَى (بعيسى الروحِ) يَستشفونا

مَثَلٌ تَصوَّر من حياةٍ حرةٍ ... للنشْءِ يَنطِق فی السكوت مُبينا

لم تُحْصَ من عهدِ الصِّبا حَرَكاتُه ... وتَخالُهنَّ من الخُشوع سُكونا

* * *

جَمَحَتْ جِراحُ المُعْوِزين ، وأعضلَتْ ... أدْواؤهُم ، وتَغَيَّبَ الشافونا(٥)

(*) كان الدكتور احمد فؤاد مثالا نادرا من امثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين ، وقد توفی سنة ١٩٣١ .

١ـ قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فی شارع محمد علی بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشئون : الدموع . يقول : ان المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعا ، حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة ، والسكون بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا ــ٢ــ أقل : حمل . والرفوف : شیء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . والعون : جمع عوان . والخطوب العون : أی التی نزلت مرة قبل هذه . يريد ان هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الاخير الذی حل بها ــ٣ــ يشبه الفقيد فی الطب والامانة للعلم بابن سينا ــ٤ــ خبت المطالع : انطفأ نورها ــ٥ــ أدواء : جمع داء .

ماتَ الجوادُ بطِبِّه وبأجره ولربَّما بذلَ الدواءَ مُعينا

وتَجُسُّ راحتُه العليلَ ، وتارةً تكسو الفقيرَ ، وتُطعِم المِسكينا

أدّى أمانةَ علمِه ، ولطالَما حَملَ الصداقةَ وافياً وأمينا

وقضى حقوقَ الأهلِ ، يُحسِن تارةً بأبيه ، أو يَصِل القرابة حينا

خُلقٌ ودينٌ فى زمانٍ لا نرى، خُلقًا عليه ولا تُصادِف دينا

* * *

أمُداوىَ الأرواحِ قبل جُسومِها قُمْ داوِ فيك فؤادىَ المحزونا

روحٌ بلفظك كلُّ روحٍ مُعَذَّبٍ حَيرانَ طار بلُبِّه الناعونا

قد كال للقدَر العِتابَ ، ورُبَّما ظنَّ المُدَلَّهُ بالقضاء ظُنونا(١)

داوَيْتَ كلَّ مُحطَّمٍ فشفيْتَهُ ونسِيتَ داءً فى الضلوع دَفينا

كبدٌ على دَمِها اتَّكأْت ولحمِها فحَمَلْتَ همَّ المسلمين سِنينا

ظلَّتْ وراءَ الحربِ تَشقَى بالنَّوَى وتَذوب للوطن الكريمِ حنينا

* * *

ناصرتَ فى فجر القضيَّةِ (مصطفى) فنَصَرْتَ خُلُقًا فى الشَّباب مَتينا(٢)

أقدمْتَ فى العشرين تحتَ لوائِه وروائعُ الإقدامِ فى العشرينا

لم تَبغِ دُنيا طالما أغضَى لها حُمْسُ الدُّعاةِ وطَأْطَئوا العِرنينا(٣)

* *

رُحْمَاكَ (يوسفُ) قِفْ رِكَابَكَ ساعةً واعطِف على يعقوبَ فيه حزينا(٤)

١ـ المدله: الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه ـ٢ـ يشير الى انه كان من الانصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا ـ٣ـ حمس : جمع حمس ، بكسر الميم ، أو أحمس : وهو الصلب فى القتال والعقيدة ، والحمس لقب لقريش ، ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء ، اى الكعبة . والعرنين : الانف ـ٤ـ يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ، لمويد لتشبيه ابيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته .

لم يَدْرِ خلفَ النعشِ من حَرّ الجوى ... أيَشُقُّ جَيْبًا ، أم يَشُقُّ وَتينا ؟(١)

ساروا بمُهجتِه ، فحُمِّلَ ثُكْلَها ... وقَضَوْا بعائله ، فمالَ غَبينا(٢)

أتعودُ فى رَكْبِ الربيعِ إذا انثنى ... بَهِجًا يَزُفُّ الوردَ والنَّسرينا ؟

هيهات من سَفرِ المنيَّة أَوْبةٌ ... حتى يُهيبَ الصُّبحُ بالسارينا

ويقالُ للأرض الفضاء : تمخَّضِى ... فتردُّ شيخاً أو تمجّ جنينا

* * *

اللهُ أبَتِى ! أين مِنْ جَسدى يدٌ ... لم أنْسَ رِفقَ بَنانِها واللِّينا ؟(٣)

حتى تَمَثَّلَتِ العِنايةُ صورةً ... تُومِى براحٍ ، أو تُجيلُ عيونا

فجررَتْ جُثْمانى ، وهانت كُربةٌ ... لولا اعتِناؤكَ لم تكن لِتهونا

إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها ... ما كان آسٍ بالشفاء ضَمينا

واليومَ أرْتجلُ الرِّثاءَ ، وأنزَوِى ... فى مأتمٍ أبكى مع الباكينا

سبحانَ من يرِثُ الطبيبَ وَطِبَّه ... ويُرِى المريضَ مصارعَ الآسِينا !!(٤)

١ـ الوتين : عرق فى القلب اذا قطع مات صاحبه ـ٢ـ المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، اى روحه ـ٣ـ يشير : الى أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه ـ٤ـ الآسينا : جمع آسى ، وهو الطبيب .

نجل امام اليمن (*)

مضى الدهرُ بابن إمامِ اليَمَنْ وأوْدَى بزين شبابِ الزمنْ
وباتَت بصنعاءَ تبكى السيوفُ عليه ، وتبكى القنا فى عدن(١)
وأعْوَلَ نجدٌ ، وضجَّ الحجازُ ومالَ الحُسينُ ، فعزَّ الحَسن
وغَصَّتْ مَناحاتُه فى الخيام وغَصَّتْ مآتمُه فى المُدُن
ولو أنَّ مَيْتاً مَشى للعزاء مشى فى مآتمه ذو يَزن(٢)
فتًى كاسمِه كان سيفَ الإله وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطن
ولُقِّبَ بالبدْرِ من حُسنه وما البدرُ؟ ما قدرُه ؟ وابنُ مَنْ؟

* * *

عزاءً جميلاً إمامَ الحِمَى وهوِّنْ جَليلَ الرزايا يهُن
وأنتَ المُعانُ بإيمانه وظنُّك فى الله ظنٌّ حسن
ولكن متى رقَّ قلبُ القضاء ؟ ومن أيْن لِلموتِ عقلٌ يَزِنْ ؟
يجامِلُك العربُ النازحون وما العربيَّةُ إلا وطن
ويجمَعُ قومكِ بالمسلمين عظيمُ الفروضِ وسمْحُ السُّنَن
وأنّ نبيَّهمُ واحدٌ نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللَّسَن
ومصرُ التى تجمع المسلمين كما اجتمعوا فى ظلال الرُّكُن(٣)

(*) هو الامير سيف نجل الامام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول انقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٣ .

١ — صنعاء : حاضرة اليمن . عدن : احدى المواني هناك ، وهى على خليج عدن المشهور —٢— ذو يزن : أحد اقيال اليمن الاقدمين ، ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيه واجداده أضيفت اليه اساطير كثيرة .

٣— يريد بالركن : الكعبة .

تُعزِّى اليَمانِيينَ فى سَيفهم ... وتأْخذ حِصَّتَها فى الحَزَن
وتَقعُد فى مأْتم ابنِ الإمامِ ... وتبكيه بالعبَرات الهُتُن
وتَنْشُر ريْحانَتَىْ زَنْبَقٍ ... من الشِّعرِ فى رَبَواتِ اليمن
تَرِفَّانِ فوقَ رُفاتِ الفقيدِ ... رفيفَ الجنى فى أعالى الغُصُن
قَضَى واجبًا ، فقضَى دونَه ... فتًى خالص السر ، صافى العَلن
تطوَّحَ فى لُجَجٍ كالجبال ... عِراضِ الأَواسِى طِوَالِ القُنَن(١)
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْثِ ، لا فى السلاح ... ولا فى الدُّروع . ولا فى الجُنَن(٢)

* * *

متى صِرتَ يابحرُ غِمدَ السيوفِ ... وكنا عَهدناك غِمدَ السُّفن ؟
وكنتَ صِوانَ الجُمانِ الكريمِ ... فكيف أُزيلَ ؟ ولِمْ لَمْ يُصَن؟
ظَفِرْتَ بجوهرةٍ فَذَّةٍ ... من الشرف العبقرىِّ اليُمُن
فتًى بذَلَ الروحَ دونَ الرِّفاق ... إليكَ ، وأَعطى الترابَ البَدن
وهانتْ عليه مَلاهِى الشباب ... ولولا حقوقُ العُلا لم تَهُن
وخاضَك يُنقِذُ أترابَه ... وكان القضاءُ له قد كَمَن
غدرْتَ فتًى ليس فى الغادرين ... وخُنْتَ امرأً وافيًا لم يَخُن
وما فى الشجاعةِ حَتْفُ الشجاعِ ... ولا مَدَّ عمرَ الجبان الجُبُن
ولكن إذا حانَ حَيْنُ الفتى ... قَضَى ، ويَعيش إذا لم يَحِن(٣)

* * *

أَلا أَيُّهذا الشريفُ الرَّضِىُّ ... أَبو السُّجَر الرِّماحِ اللُّدُن

١ــ القنن : جمع قنة ، وهى راس الجبل . والاواسى من البناء : الدعائم ــ٢ــ الجنن : جمع جنة ، بالضم ، وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك ــ٣ــ الحين : الاجل .

شهيدُ المُروءةِ كان البَقِيعُ　　أحقَّ به من تراب اليمن
فهل غَسَّلوه بدمعِ العُفاةِ　　وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن ؟
لقد أغرَقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ　　واغرقْتَ أَبناءه بالمِنن
أتذكر إذ هو يَطوى الشهورَ　　وإذ هو كالخِشْفِ (حُلْوٌ) أغنٌّ؟(١)
وإذ هو حولَك حسنُ القصورِ　　وطِيبُ الرياضِ ، وصَفْوُ الزمَن؟
بشاشتُه لذَّةٌ فى العيون　　ونَغْمتُه لذَّةٌ فى الأذن ؟
يلاعِب طُرَّتَه فى يَدَيْكَ　　كما لاعبَ المُهرُ فضل الرَّسَن؟
وإذ هو كالشبل يَحكِى الأُسودَ　　أدلّ بمِخْلَبِه وافْتَتَن؟(٢)
فشَبَّ : فقامَ وراءَ العَرينِ　　يَشُبُّ الحروبَ ، ويُطفِى الفِتَن؟(٣)
فما بالُه صار فى الهامدين　　وأمسى عَفَاءً كأَنْ لم يَكُن ؟
نظَمْتُ الدموعَ رِثاءً له　　وفصَّلْتُها بالأَسَى والشَّجَن

١ــ الخشف (مثلثة الخاء) : الظبى . والأغن : الذى يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب ــ٢ــ الشبل : ولد الاسد اذا ادرك الصيد . وادل بمخلبه : أى تباهى به وتخابل على اقرانه ــ٣ــ العرين : بيت الاسد . ويشب الحروب : يوقدها .

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ ، ويْحَكَ والمودّةُ ذِمّةٌ ماذا صنَعْتَ بعهدِ (عبدِ اللهِ)؟
جاذَبتني جَنبي عَشيّةَ نَعْيِهِ وخَفقْتَ خَفْقَةَ مُوجَعٍ أوّاه(١)
ولَوَ أنْ قلباً ذابَ إثرَ حَبيبِه لهوَى بك الركنُ الضعيفُ الواهي
فعليكَ من حُسن المروءةِ آمرٌ وعليك مِن حُسن التجلّدِ ناه
نزل «الطويرُ» فى الترابِ منازلاً تهوى المكارمُ نحوَها بشفاه
عَرَصاتُها مَمطورةٌ بمدامعٍ مَوْطوءةٌ بمفارقٍ وجِباه
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينه فيها ؛ لفاضَت من جَنًى ومياه(٢)

* * *

يا كابرا من كابرين ، وطاهرًا مِن آلِ طُهرٍ عارفٍ بالله
ومُحكَّمًا عَلِمَ القضاء مكانَه فى المُقسطينَ الجِلّةِ الأنزاه(٣)
وحكيمًا اْستعصَتْ أعِنّتُه على كذبِ النعيمِ ، وتُرّهاتِ الجاه
وأخاً سَقَى الإخوانَ مِنْ (راووقِه) بودادٍ لا صَلِفٍ ، ولا تيّاه(٤)

(*) المرحوم عبدالله بك الطوير : كان أحد رجال القانون فى مصر ، وقد توفى سنة ١٩١٥ .

١ــ خفق القلب : اضطرب فى موضعه . والاواه : كثير التأوه . وفى القرآن الكريم « ان ابراهيم لأواه حليم » ــ٢ــ اليمين : يراد بها هنا القوة . والجنى : الثمار ــ٣ــ المقسطين : اى العادلين . والجلة (بكسر الجيم) : قوم سادة عظماء ذوو اخطار . والانزاه : جمع نزه : وهو العفيف المتكرم . ٤ ــ الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها المشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعرى شغلَ نفسِكَ ، فاقترح | من كلِّ (جائلةٍ) على الأفواه
أنزلْتَ منه حينَ فَاتَكَ جَمْعُهُ | فى منزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه
فاقرأ على «حَسّانَ» منه ، لعله | بفتاه فى مدحِ الرسولِ مُباه(١)
وانزل بنور الخلدِ جَدّكَ ، واتّصِلْ | بملائكٍ من آلهِ أشباه(٢)
ناعيكَ ناعى حاتمٍ أو جعفرٍ | فالناسُ بين نوازلٍ ودواهِ(٣)

١ـ حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسـول صـلوات الله عليـه .
٢ـ جدك ؛ منصوب على نزع الخافض ، اى انزل على جدك ، وكان الفقيـد منسـوبا لال البيت النبـوي ـ٣ـ حـاتم : هو الطائى المشهور بالـكرم . وجعفر : لعله يقصد به جعفرا البرمكى ، أو عبد الله بن جعفر احد أجواد العرب فى العصر الاموى ، والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين اللذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول(*)

شيَّعوا الشمس ومالوا بضحاها　　　وانحنى الشرقُ عليها فبكاها

ليتنى فى الركبِ لما أفلتْ　　　(يوشعٌ) ، همَّتْ ، فنادَى : فثناها(١)

جَلَّلَ الصبحَ سوادًا يومُها　　　فكأنَّ الأرض لم تخلع دُجاها(٢)

انظروا تَلْقَوْا عليها شَفَقًا　　　من جِراحاتِ الضحايا ودِماها

وتَرَوْا بَيِنَ يَدَيْها عَبرةً　　　من شهيدٍ يقطرُ الورد شَذاها

آذنَ الحقُّ ضَحاياها بها　　　وَيْحَهُ ! ! حتى إلى الموتى نَعاها

* * *

كفّنوها حُرَّةً عُلْوِيَّةً　　　كَسَتِ الموتَ جلالاً ، وكساها

مِصْرُ فى أكفانها إلا الهدى　　　لحمةُ الأكفانِ حقٌّ وسُداها(٣)

خطر النعشُ على الأرض بها　　　يَحْسِرُ الأبصارَ فى النعش سَناها(٤)

جاءها الحقُّ ، ومِنْ عادتها　　　تؤثرُ الحقَّ سبيلاً واتّجاها(٥)

ما دَرتْ مصرٌ : بدفن صُبِّحَتْ　　　أم على البعثِ أفاقَتْ مِنْ كَراها ؟

صَرَخَتْ تَحسبها بنْتَ الشَّرَى　　　طلَبَتْ مِنْ مِخْلَب الموتِ أباها(٦)

وكأنَّ الناسَ لما نَسَلوا　　　شُعَبُ السيلِ طَغتْ فى مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

١ـ يوشع : احد انبياء بنى اسرائيل ، دعا الله ان يؤجل الغروب فأجابه وثنى الشمس عن غروبها ـ٢ـ جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه . ٣ـ اللحمة : ما سدى به الثوب ، والسدى : ضد اللحمة ـ٤ـ يحسر الابصار : أى يردها كليلة ضعيفة ـ٥ـ الحق الاول : يقصد به الموت والحق الثانى : يقصد به العدل ـ٦ـ بنت الشرى : انثى الاسد .

وضعوا الرّاحَ على النعشِ كما يَلمَسون الرُّكنَ ، فارتدَّتْ نزاها
خَفضوا فى يوم (سعد) هامَهم و(بسعدٍ) رَفعوا أمسِ الجباها

* * *

سائلوا «زَحْلةَ» عن أعراسها هل مَشى الناعى عليها فمحاها؟(١)
عَطَّلَ المُصْطافَ من سُمَّارِه وجَلا عن ضِفَّة الوادى دُماها(٢)
فتحَ الأَبوابَ ليلاً (دَيْرُها) وإلى (الناقوسِ) قامتْ بِيعَتاها
صدَع البرقُ الدُّجَى ، تنشرُه أرضُ (سوريّا) ، وتَطويه سَماها(٣)
يَحمِلُ الأَنباءَ تَسرى مَوْهِنًا كعوادى الثُّكل فى حَرِّ سُراها(٤)
عَرَضَ الشكُّ لها فاضطرَبتْ تَطأُ الآذانَ هَمْسًا والشِّفاها
قالتُ : ياقوم اجمعوا أَحلامَكم كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها(٥)

* * *

يا عدوَّ القيدِ لم يلمَحْ له شبَحًا فى خطَّةٍ إلا أباها
لا يَضِقْ ذَرْعُكَ بالقيد الذى حَزَّ فى سُوق الأَوالِى وبَراها
وقعَ الرُّسْلُ عليه ، والْتَوَتْ أَرجلُ الأَحرارِ فيه فعَفاها
يا رُفاتًا مِثلَ رَيْحَانِ الضُّحى كلَّلَتْ (عَدْنٌ) بها هامَ رُباها(٦)

١ــ يشير البيت الى أن امير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة احدى مصايف لبنان ــ٢ــ السمار : جمع سامر ، وهم اخوان الحديث فى المساء . والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدمى : جمع دمية . وهى الصورة يعملها المثال من الرخام ــ٣ــ صدع : شق وقطع ٤ ــ الموهن : نصف الليل ، او بعده بنحو ساعة ــ٥ــ الوريدان : مثنى الوريد ، أحد شرايين الجسم ــ٦ــ عدن : الجنة . وهام رباها : اى رءوس ربواتها . والربوات : الامكنة المرتفعة فيها .

وبقايا هيكل من كرمٍ وحياة أترعَ الأرض حَياها(١)

ودّعَ العدلُ بها أعلامَه وبكتْ أنظِمةُ الشُّورى صُواها(٢)

حَضنتْ نعشلك ، والتفَّتْ به رايةٌ كنتَ من الذلّ فِداها

ضمّت الصدرَ الذى قد ضمّها وتلقّى السهمَ عنها فوقاها

عجبي مِنها ومن قائدها !! كيف يَحمِي الأعزلُ الشيخُ حِماها؟

* * *

مِنْبَرُ الوادى ذَوَت أعوادُه مِن أواسِيها وجَفّتْ من ذُراها

مَن رَمَى الفارسَ عن صَهْوَتِها ودَها الفُصحىٰ بما ألجمَ فاها ؟

قدَرٌ بالمُدْنِ ألوَى والقُرَى ودَها الأجبالَ منه ما دَهاها

غال (بَسْطورا) وأردَى عُصبةً لمَستْ جُرثومةَ الموتِ يَداها

طافت الكأسُ بساقٍ أمّةٍ مِن رَحيقِ الوطنيّاتِ سقاها

عَطِلتْ آذانُها من وَتَرٍ ساحرٍ رَنَّ مَلِيًّا فشجاها

أرغُنٌ هامَ به وِجْدانُها وأذانٌ عَشِقتْه أذُناها

كلَّ يومٍ خطبةٌ روحيّةٌ كالمزامير وأنغامٍ لُغاها

دَلَّهَتْ مصراً . ولو أنَّ بها فَلَوَاتٍ دَلَّهَتْ وَحْش فَلاها

ذائدُ الحقِّ وحامى حَوْضِه أنفَذَتْ فيه المقاديرُ مُناها

أخذَتْ (سعدًا) من (البيت) يَدٌ تأخذُ الآسادَ من أصل شراها

لو أصابَت غيرَ ذى رُوحٍ لمَا سَلِمَتْ منها الثُّرَيّا وسُهاها

تتحدّى الطبَّ فى قفّازها عِلّةُ الدهر التى أعيا دَواها

١ـ اترع : ملأ . والحيا : المطر ـ٢ـ الصوى : جمـع صـوة ـ بضم الصاد ـ وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

من وراءِ الإذنِ نالَتْ ضَيْغَماً لم يَنَلْ أقرانَه إلا وِجاها
لم تصارحْ أضرحَ الناسِ يَدًا ولساناً ، ورُقادًا ، وانتباها

* * *

هذه الأعواد من آدَمَ لَمْ يَهْدَ خُفًّاها ، ولم يَعْرَ مَطاها
نقَلَتْ (خُوفو) ، ومالتْ (بمِنا) لم يفُت حَيًّا نصيبٌ من خُطاها(١)
تَخلِطُ العُمْرينِ : شيْبًا ، وصِبًا والحياتين : شَقاءً ، ورَفاها
زَوْرَقٌ فى الدمعِ يَطفو أبدًا عرَفَ الضَّفَّةَ إلا ما تلاها
تَهلَع الثَّكْلىٰ على آثارِه فإذا خَفَّ بها يوما شفاها

* * *

تسكُبُ الدمعَ على (سعد) دماً أُمةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
من لَيَانٍ هو فى يَنْبُوعِها وإباءٍ هو فى صُمِّ صَفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كَهلُها واستقَى الإيمانَ بالحقِّ فَتاها
بذَلَتْ مالًا ، وأمْنًا ، ودماً وعلى قائدها ألقَتْ رَجاها
حمَّلتْه ذِمَّةً أوفى بها وابتلَتْه بحقوقٍ فقضاها
ابنُ سبعينَ تلقَّى دونَها غُربةَ الأسرِ ، ووَعْثاءَ نَواها(٢)
سفرٌ من عَدَنَ الأرضِ ، إلى منزلٍ أقربُ منه قُطُباها
قاهرٌ ألْقَى به فى صخرة دفعَ النسرَ إليها فأواها
كَرِهَتْ منزلَها فى تاجه درة فى البحر والبرِّ نفاها
اسألوها ، واسألوا شانِئَها لِمَ لمْ يَنفِ من الدُّرِّ سِواها ؟
ولَدَ الثَّورَةَ سعدٌ حُرَّةً بحياتَىْ ماجد حُرٍّ نَماها

١ــ خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .
٢ــ الوعثاء : الطريق العسر ، أو المشقة .

ما تَمنّى غيرَها نسلاً ، ومَنْ   يلِدِ الزَّهراءَ يَزْهَدْ فى سواها

سالت الغابةُ من أشبالها   بينَ عَيْنَيْهِ وماجَتْ بلبَاها(١)

بارك اللهُ لها فى فرعِها   وقَضَى الخيرَ لمِصرٍ فى جَناها

أوَلم يَكتُبْ لها دُسْتورَها   بالدمِ الحرِّ ، ويَرْفَعْ مُنتداها ؟(٢)

قد كتبتاها ، فكانت صورةً   صَدرُها حقٌّ وحقٌّ مُنتهاها

رَقدَ الثائرُ إلا ثورةً   فى سبيل الحقِّ لم تَخمد جُذاها

قد تَولّاها صبيًّا فكَوَتْ   راحَتَيْهِ ، وفَتِيًّا فرعاها(٣)

جالَ فيها قلمًا مُستنهِضًا   ولِساناً كلَّما أعْيَتْ حَداها(٤)

ورمَى بالنفس فى بُركانِها   فتلقَّى أوّلَ الناسِ لَظاها

أعلِمتم بعد (موسى) مِنْ يَدٍ   قذَفَتْ فى وجه (فِرْعَوْنَ) عَصاها ؟(٥)

وَطِئَتْ نادبةً صارخةً   شاهَ وجهُ الرّقِّ – ياقوم – وشاها(٦)

ظَفِرَتْ بالكِبْر من مُستكبِرٍ   ظافرِ الأيّامِ مَنصورِ لِواها

القَنا الصُّمُّ تَشاوَى حولَهُ   وسيوفُ الهندِ لم تَصْحُ ظُباها

* * *

أين مِنْ عَيْنَيَّ نفسٌ حُرّةٌ   كنتُ بالأمسِ بعينَيَّ أراها ؟

كلما أقبلتِ هَزَّتْ نفسها   وتَواصَى بِشرُها بى ونداها

---

١ – اللبـا : جمع لبـاة – كقطاة – وهى انثى الاسد –٢– المنتدى : البرلمان –٣– يشير الى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه –٤– أعيت : تعبت . حداها : من قولهم : حدا الابل ، اى ساقها وزجرها –٥– اشارة الى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يأفكون » –٦– شاه وجه الرق : اى قبح .

وجرَى الماضى ، فماذا ادَّكَرَتْ　　وادِّكارُ النفسِ شئٌ من وَفاها؟

ألمحُ الأيّامَ فيها ، وأرى　　من وراءِ السِّنِّ تِمثالَ صِباها

لستُ أدرى حينَ تَندَى نَضرةً　　عَلَتِ الشَّيبَ ، أم الشَّيبُ عَلاها؟

حَلَّت السبعون فى هيكلها　　فَتَدَاعَى وهْيَ مَوْفورٌ بِناها

رَوْعةُ النادى إذا جدَّتْ ، فإن　　مَزحَتْ لم يُذهِبِ المَزحُ بَهاها

يَظفَرُ العُذْرُ بأقصى سُخطِها　　ويَنالُ الودُّ غاياتِ رِضاها

ولها صبرٌ على حُسَّادها　　يُشبه الصَّفْحَ ، وحِلْمٌ عن عِداها

لستُ أنسَى صفحةً ضاحكةً　　تأْخذ النفسَ وتَجرِى فى هواها

وحديثًا كرِوايات الهوى　　جَدَّ للصَّبِّ حَنينٌ فرواها

وقناةً صَعْدَةً لو وُهِبَتْ　　للسِّماكِ الأعزلِ اختالَ وتاها(١)

أين منِّى قامٌ كنتُ إذا　　سمتُه أن يَرتِقِيَ الشمسَ رَقاها؟

خانَنى فى يوم (سعدٍ) ، وجَرى　　فى المراثى فكَبا دونَ مَداها

فى نعيم الله نفسٌ أُوتِيَتْ　　أنعُمَ الدنيا فلم تَنسَ تُقاها

لا الحِجَى لمّا تَناهَى غَرّها　　بالمقاديرِ ، ولا العِلْمُ زَهاها

ذَهَبَتْ أوّابةً مُؤْمِنَةً　　خالصاً من حَيْرَةِ الشكِّ هُداها

آنَسَتْ خَلْقًا ضعيفًا ورأَتْ　　من وراءِ العالَمِ الفانِى إلٰها

ما دعاها الحقُّ إلا سارَعَتْ　　ليتَه يومَ «وَصيفٍ» ما دعاها(٢)

١ــ القناة : الرمح . والصعدة : هى التى نبتت مستوية . فلا تحتاج لتثقيف . والسماك : احد كوكبين نيرين ، يوصف احدهما بالرامح ، لان امامه كوكبا صغيرا يسمى رمح السماك ورايته ، ويوصف الآخر بالأعزل ، حيث لايوجد امامه شىء . يقول ان له قواما لو منح للسماك الاعزل فى السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح ــ٢ــ وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

الشاعر الموسيقى فردى (*)

فتى العقلِ والنَّغمةِ العاليَهْ مضى ومَحاسِنُه باقِيَهْ
فلا سُوقَةٌ لم تكن أُنْسَهُ ولا مَلِكٌ لم تَزِن نادِيَه
ولم تَخْلُ مِن طِيبها بَلدةٌ ولم تَخلُ من ذِكرها ناحيه
يكادُ إذا هو غنَّى الورَى بقافيةٍ يُنْطِق القافيه
يَتِيهُ على الماس بعضُ النُّحاسِ إذا ضَمَّ ألحانَه الغاليه
وتَحكم فى النفس أوتارُه على العودِ ناطقةً حاكيه
وتبلغ موضعَ أوطارِها وتُفشِى سَريرَتَها الخافيه
وكم آيةٍ فى الأغانِى له هى الشمسُ ليس لها ثانيه !
إذا ما تَنادَى بها العارِفون قل : البرقُ والرعدُ مِنْ غاديه
فإن هَمَسُوا بعدَ جَهْرٍ بها فَخَفْقُ الحُلِىِّ على الغانيه
لقد شاب (فردى) وجاز المَشِيبَ و (عَيْدا) شَبِيبتُها زاهيه(١)
تُمَثِّلُ مِصرَ لهذا الزمانِ كما هى فى الأعْصُرِ الخاليه
ونذكر تلكَ الليالِى بها وننشد تلك الرُّؤَى الساريه
ونَبكى على عِزِّنا المُنقَضِى ونَنْدُبُ أيّامَنا الماضيه
فيا آلَ (فردى)، نُعزِّيكُمُ ونبكى مع الأُسرةِ الباكيه
فَقَدنا بمفقودِكم شاعِرًا يَقِلُّ الزمانُ له راوِيَه

(*) الشاعر الموسيقى فردى احد أعلام ايطاليا العالميين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .

١ ـ عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

اسماعيل أباظة باشا (*)

سقى اللهُ (بالكَفْر الأباظىِّ) مَضْجَعًا ... تَضَوَّع كافورًا من الخلد ساريا

يَطيب ثَرى (بُرْدِينَ) من نَفْح طِيبِه ... كأنَّ ثرى (بُرْدِينَ) مَسَّ الغَواليا(١)

فيالَكَ غِمدًا من صَفيحٍ وجَنْدَلٍ ... حوَى السيفَ مَصقولَ الغِرارِ يمانيا(٢)

وكنا استلَلْنا فى النوائب غَرْبَهُ ... فلم يُلْفَ سيَّاباً ، ولم نُلْفَ نابيا(٣)

إذا اهتزَّ دونَ الحقِّ يَحمى حِياضَه ... تأخَّر عنها باطلُ القومِ ظاميا

طَوَتْهُ يدٌ للموت ، لا الجاهُ عاصمًا ... إذا بَطَشتْ يوماً ، ولا المالُ فاديا

* * *

تنالُ صِبا الأعمارِ عند رَفيفِهِ ... وعندَ جُفوفِ العُودِ فى السِّنِّ ذاويا

وبعضُ المنايا تُنْزِلُ الشُّهْدَ فى الثرى ... ويَحْطُطْنَ فى التُّرْبِ الجبالَ الرواسيا

* * *

يقولون : يَرْثى الراحلين ، فوَيْحَهُم ! ... أأمَّلْتُ عندَ الراحلين الجَوازيا؟

أبَوْا حسدًا أن أجعل الحيَّ أُسْوَةً ... لهم ، ومثالاً قد يُصادِفُ حاذيا

فلما رثَيْتُ الميْتَ أقْضِى حقوقَه ... وَجَدْتُ حسودًا للرُّفات وشانيا

إذا أنت لم ترْعَ العهودَ لهالكٍ ... فلستَ لحىٍّ حافظَ العهد راعيا

فلا يَطْوِيَن الموتُ عهدَكَ من أخٍ ... وهَبْهُ بوادٍ غيرِ واديك نائيا

أقامَ بأرضٍ أنت لاقيه عندَها ... وإن بِتُّما تستبعدان التلاقيا

* * *

(*) اسماعيل اباظه باشا : احد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد ان ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

١ـ بردين : قرية الفقيد ، وهى من أعمال مديرية الشرقية . والغوالى جمع غالية ، وهى المسك ـ٢ـ الفرار من السيف : حده ـ٣ـ غرب السيف: حده أيضا . ونابى : كليل لا يقطع .

رَثيْتُ حياةً بالثناء خليقةً ... وحَلَّيْتُ عهدًا بالمفاخِرِ حاليا

وعزَّيْتُ بيتًا قد تبارَتْ سماؤه ... مَشايِخَ أقمارًا ، ومُرْدًا دَراريا(١)

إلى الله (إسماعيلُ) وانزِلْ بساحةٍ ... أظلَّ النَّدَى أقطارَها والنواحِيا

ترَى الرحمةَ الكبرى وراءَ سمائها ... تَلُفُّ التُّقَى فى سَيْبِها والمَعاصيا

لدى مَلِكٍ لا يَمنع الظلَّ لائِذًا ... ولا الصَّفحَ توّاباً ، ولا العفوَ راجيا

وأقسمُ كنتَ المرءَ لم يَنْسَ دِينَهُ ... ولم تُلْهِهِ دُنياؤه وهْيَ ماهيا

وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤها ... لحاجِ اليتامى والأرامِلِ قاضيا(٢)

وكنتَ تُصلِّى بالملوكِ جماعةً ... وكنت تقوم الليلَ بالنفس خاليا

ومَن يُعْطَ من جاهِ الملوك وَسِيلةً ... فلا يَصنع الخيراتِ ؛ لم يُعْطَ غاليا

وكنتَ الجرىءَ النَّدْبَ فى كلِّ موقفٍ ... تلفَّتَ فيه الحقُّ لم يَلْقَ حاميا(٣)

بَصُرتُ بأخلاقِ الرجالِ فلم أجِدْ ... — وإن جَلَت الأخلاقُ — للعزم ثانيا

من العزمِ ما يُحيي فُحولًا كثيرةً ... وقدَّمَ كافورَ الخَصِيَّ الطَّواشِيا

وما حطَّ مِنْ رَبِّ القصائد مادحاً ... وأنزلَهُ عن رتبةِ الشعر هاجيا

فليس البيانُ الهجوَ إن كنتَ ساخطاً ... ولا هو زُورُ المدحِ إن كنتَ راضيا

ولكنْ هُدَى اللهِ الكريمِ ووَحْيُه ... حَملتَ به المصباحَ فى الناسِ هادِيا

تُفيضُ على الأحياء نورًا ، وتارةً ... تُضىءُ على الموتى الرِّجامَ الدَّواجيا(٤)

هياكلُ تَفْنَى ، والبيانُ مُخَلَّدٌ ... ألا إنَّ عِتْقَ الخمرِ يُنْسِى الأوانيا

* * *

---

١ — يشبه شيوخ الاسرة الاباظية بالاقمـار ، وشبابها المرد بدرارى النجوم ، على حين ان هذه الاقمار والنجوم تتبارى فى الاشعاع والاضاءة .
٢ — حاج : جمع حاجة —٣— الندب : الخفيف عند الحاجة اليه —٤— الرجام : القبور . والدواجى — جمع داجية : المظلمة .

ذهبْت (أبا عبدِ الحميدِ) مُبرّءًا ... من الذّام ، محمودَالجوانبِ ،زاكيا(١)

قليلَ المساوِى فى زمانٍ يَرى العُلا ... ذُنوباً ، وناسٍ يُخْلُقون المساويا

طوَيناك كالماضى تَلقّاه غِمدُه ... فلم تسترح حتى نشرناك ماضيا(٢)

فكنتَ على الأفواه سيرةَ مُجمِلٍ ... وكنت حديثًا فى المسامع عاليا

وَفَيْتَ لمن أدناكَ فى الملك حِقبةً ... فكانَ عجيبًا أن يَرى الناسُ وافيا

أثاروا على آثار مَوْتِكَ ضَجّةً ... وهاجُوا لنا الذكرى ، وَرَدُّوا اللياليا

ومَن سابَقَ التاريخَ لم يَأْمَنِ الهوى ... مُلِجًّا ، ولم يَسلَم منَ الحقْدِ نازيا(٣)

إذا وَضعَ الأحياءُ تاريخَ جِيلِهم ... عَرفتَ المُلاحى مِنهمو ، والمُحابيا

* * *

إذا سلم الدستورُ هان الذى مضى ... وهان من الأحداثِ ماكان آتيا(٤)

ألا كلُّ ذَنْبٍ لِليالى لأجله ... سَدَلْنا عليه صَفحَنا والتناسيا(٥)

١ـ زاكيا : اى ناميا مباركا ـ٢ـ الماضى . فى أول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى ـ٣ـ نازيا : اى واثبا . والملج المتمادى فى الخصومة ـ٤ـ الأحداث : نوازل الأيام ـ٥ـ سدلنا عليه الصفح : أى سحبنا على كل الذنوب اعراضنا وسترناها بغفراننا .

على بهجت(*)

أحقٌّ أنهم دفنوا عَلِيًّا | وحطُّوا في الثّرى المرءَ الزكيّا ؟
فما تركوا من الأخلاق سَمْحًا | على وجه التراب ؛ ولا رَضِيًّا ؟
مَضوْا بالضاحك الماضى وألْقوْا | إلى الحُفَر الخفيفَ السَّمْهَرِيّا
فَمَنْ عَوْنُ اللغاتِ على مُلِمٍّ | أصاب فصيحَها والأعجميّا ؟
لقد فَقَدَتْ مُصَرِّفَها حنينًا | وبات مكانُه منها خَلِيّا
ومن يَنْظُرْ يَرَ الفُسْطاطَ تبكى | بفائضةٍ من العَبَرَاتِ رِيّا
ألم يَمْشِ الثرى قِحَةً عليها | وكان رِكابُها نحوَ الثُّرَيّا ؟
فنَقَّبَ عن مواضعها عَلِيٌّ | فجَدَّدَ دارساً ، وجَلا خَفِيّا
ولولا جُهْدُهُ احتجَبَتْ رُسوماً | فلا دِمَناً تُريكَ ولا نُؤِيّا
تلفَّتَت الفنونُ وقد تَوَلَّى | فلم تَجِد النصيرَ ولا الوَلِيّا
سَلوا الآثارَ : مَنْ يَغدو يُغالى | بها ، ويروحُ مُحتفِظًا حَفِيّا ؟
ويُنْزِلُها الرُّفوفَ كجوهرىٍّ | يُصَفِّفُ فى خزائنها الحُلِيّا ؟
وما جَهِلَ العَتِيقَ الحُرَّ منها | ولا غَبِيَ المُقَلَّدَ والدَّعِيّا
فتىً عاف المشاربَ من دَنايا | وصان عن القَذَى ماءَ المُحَيّا
أبِيُّ النفسِ فى زمنٍ إذا ما | عَجَمْتَ بنيهِ لم تجِدِ الأبِيّا
تعوَّدَ أن يراه الناس رأساً | وليس يَرَوْنَه الذنبَ الدَّنِيّا
وَجَدْتُ العلمَ لا يبنى نُفُوساً | ولا يغنى عن الأخلاق شَيّا

(*) رثى أمير البيان « احمد شوقى » فقيد العلم والعاديات المغفور له « على بهجت » بهذه اليتيمة العصماء التى قيلت فى حفلة تابينه ، وهى كما يراها القارىء الكريم . اخذة من اخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر (نشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤) .

ولم أر فى السلاح أضلَّ حَدًّا مِنَ الأخلاق إنْ صَحِبَتْ غَوِيًا
هما كالسيف ، لاتُنْصِفْهُ يُفْسِدْ عليكَ ، وخُذْهُ مُكتمِلاً سَوِيًا

* * *

غديرٌ أترعَ الأوطانَ خيرًا وإن لم تَمتلئْ منه دَوِيًّا
وقد تأتى الجداولُ فى خشوعٍ بما قد يُعْجِزُ السَّيلَ الأتِيًا
حياةُ مُعَلِّمٍ طفِئَتْ ، وكانتْ سراجاً يُعجبُ السارى وَضِيًا
سبقتُ القابسين إلى سَناها ورُحتُ بنورها أَحْبُو صَبِيًّا
أَخذْتُ على أريبٍ ألمَعِيٍّ ومَنْ لكَ بالمعلِّم ألْمَعِيًا ؟
ورُب مُعَلِّمٍ تلقاه فَظًّا غليظَ القلبِ ، أو فَدْمًا غَبِيًّا
إذا انتدب البنون لَها سيوفاً من الميلاد ردَّهُمُ عِصِيًّا
إذا رَشَد المعلمُ كان مُوسَى وإن هو ضَلَّ كان السامِرِيًّا
وربَّ مملِّمينَ خَلَوْا وفاقوا إلى الحرية انساقُوا هديًّا
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا لنار الظالمين بها صِلِيًّا

* * *

أَرِقْتُ وما نَسِيتُ « بناتِ بومٍ » على « المطريَّة » اندفعَتْ بُكِيًّا
بكَتْ وتأوَّهَتْ ، فَوَهِمْتُ شرًّا وقبلِى داخَلَ الوَهْمُ الذَّكِيا
قلبتُ لها الحذَىَّ ، وكان مِنِّى ضلالاً أن قلبتُ لها الحذِيَّا
زعَمْتُ الغَيْبَ خلفَ لسانِ طيرٍ جَهِلْتُ لسانَه فزعَمْتُ غيًّا
أصاب الغيبَ عند الطير قومٌ وصار البومُ بينهمو نَبِيًّا
إذا غَنّاهمو وجدوا سَطِيحًا على فمه ، وأَفْعَى الجُرْهُمِيًّا
رمى الغربانُ شيخَ تَنوخَ قبلى وراش من الطويل لها دَوِيًّا
نجا من ناجذَيْهِ كلُّ لحمٍ وغُودِرَ لحمهُنّ به شَقِيًّا
نَعَشْتُ فما وجدتُ الغَمْضَ حتى نَفَضْتُ على المَنَاحَةِ مُقْلَتَيّا
فقلتُ : نذيرةٌ وبلاغُ صِدْقٍ وحَقٌّ لم يُفاجِئْ مَسْمَعَيّا

ولكنَّ الذى بَكَتِ البواكِى خليلٌ عزَّ مَصرعُه عَلَيَّا
ومَن يُفجَعْ بِحُرٍّ عبقرىٍّ يَجدْ ظلمَ المنيّةِ عبقريّا
ومن تتراخَ مُدَّتُه فيكثِرْ من الأحبابِ لا يُحْصِى النَّعيَّا

* * *

أخى ، أقبِلْ عَلَىَّ من المنايا وهاتِ حديثَك العذبَ الشَّهِيَّا
فلم أعدِم إذا ما الدُّورُ نامت سميرًا بالمقابر أو نَجيّا
يُذكِّرنى الدُّجَى لِدَةً حَميمًا هنالكَ باتَ ، أو خِلاًّ وَفِيًّا
نَشَدْتُكَ بالمنيّة وهْىَ حقٌّ ألم يَكُ زُخْرُفُ الدنيا فَرِيًّا
عَرفتَ الموتَ معنًى بعد لفظ تكلَّمْ ، واكشِفِ المعنى الخَبِيَّا
أتاك من الحياة الموتُ فانظُرْ أكنتَ تموت لو لم تُلْفَ حَيًّا ؟
وللأشياءِ أضدادٌ إليها تصير إذا صَبَرْتَ لها مَلِيًّا
ومُنْقَلَبُ النجوم إلى سكونٍ من الدَّوَرانِ يَطويهنّ طيًّا
فخبِّرنى عن الماضين ؛ إنى شدَدْتُ الرَّحْلَ أنتظرُ المُضِيَّا
وَصِفْ لِى منزلاً حُمِلوا إليه وما لمحوا الطريقَ ولا المُطِيَّا
وكيف أتى الغنىُّ له فقيرًا وكيف ثَوى الفقيرُ به غَنِيًّا ؟
لقد لَبِسُوا له الأزياءَ شتَّى فلم يقبل سوى التَّجريدِ زِيًّا
سواءٌ فيه مَنْ وافى نهارًا ومَنْ قذف اليهودُ به عَشِيًّا
ومَنْ قطع الحياة صَدًا وجوعاً ومَنْ مَرّتْ به شِبَعًا ورِيًّا
ومَيْتٌ ضَجَّتِ الدنيا عليه وآخَرُ ما تُحِسُّ له نَعِيًّا

تم الجزء الثالث

ايضاح لا بد منه

للاستاذ محمود ابو الوفا

حين طلب الى ان اشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن فى الوقت متسع لاخراجه على كل ما كنت اتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على انجازه فى عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما على أن اكون أداة انجاز لا أداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رايت ان اسير فى العمل على الوجه الآتى :

اولا : ترك الشرح والضبط كلما امن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الاعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لابد من الضبط أو التعليق أو كليهما .

ثانيا : رايت ايضا ان اترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين او ثلاث بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

اما الشرح فتركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، لانى احببت ان لا اتحكم فى ذوق القراء والأدباء وأفرض عليهم فهمى انا ، فقد يجوز أن يفهم البيت على اكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى احب أن يتحاشاه كل طابعى الدواوين .

اما بعد ، فكل ما فى هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذة فهو الى ، اما ما فيه من فضل فمرجعه الى الأستاذ حسين شوقى .

فالى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هذا الكتاب من ذوق وجمال .

محمود ابو الوفا

فهرس
الجزء الثالث من الشوقيات

صفحة

صفحة

١١٦ فتحي ونوري ، مطلعها :

انظر الى الأقمـــار كيف تزول والى وجوه السعد كيف تحول

١٢١ على باشا ابوالفتوح ، مطلعها :

ما بين دمعى المسبل عهد وبين ثرى على

١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :

ممـــالك الشرق أم ادراس اطلال وتلك دولاته أم رسمها البـــالى

١٢٨ شهداء العلم والغربة ، مطلعها :

الا فى سبيل الله ذاك الدم الغالى وللمجد ما ابقى من المثل العالى

١٣٢ سعيد بك زغلول ، مطلعها :

(آل زغلول) حسبكم من عـــزاء ســـنة المـــوت فى النبى وآلـــه

١٣٤ أمين بك الرافعى ، مطلعها :

مال احبـــابه خليـــلا خليـــلا وتولى اللـــدات الا قليـــــلا

١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها:

ياثرى النيل فى نواحيـــك طير كان دنيـــا وكان فرحة جيل

١٤٠ ادهم باشا ، مطلعها :

مصاب بنى الدنيا عظيم (بأدهم) واعظم منه حيرة الشعر فى فمى

١٤٢ عثمان باشا ، الغازى :

هالة للهـــلال فيهـــا اعتصـــــام كيف حامت حيالهـــا الايام

١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :

قبر الوزير تحيـــة وسلاما الحلم والمعروف فيك اقاما

١٤٦ يبكي والدته ، ومطلعها :

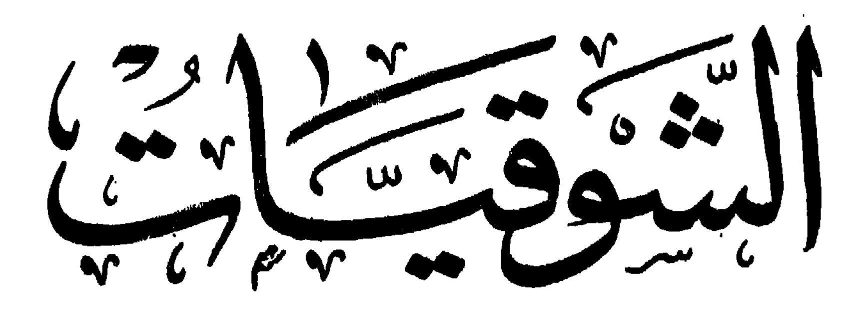
الى الله اشكو من عوادى النوى سهما اصاب سويداء الفؤاد وما اصمى

١٥٠ الملك حسين : مطلعها :

لك فى الارض والســـماء مآتم قـــام فيهـــا ابو الملائك هـــاشم

١٥٤ يرثى اباه ، مطلعها :

ســـــالونى لم لم أرث أبى ورثـــاء الاب دين اى دين



شعر المرحوم

احمد شوقي

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان

كان شوقى رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق ، مايلفظ من قول إلا تلقفته الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية ، تُنشده وتتغنى به وتضربه مثلا ، وما أحسب شاعراً فى الأمة العربية منذ كانت وكان الشعر ؛ قد ذهب صيتُه فى الناس حيًّا مذهبَ شوقى أو بلغ مبلغه ، وقد كان حقيقًا بما بلغ ، لا من أنه شاعر العربية الأوّل ، ولا من أن الأُمّة العربية قد عقمتْ فلم تنجب مثله فى تاريخها المتطاول ؛ ولكنه جاء على فترةٍ انقطع فيها أملُ الآمل فى نهضة الشعر العربى ، بعد ما ناله من الانحطاط ، والركة ، وضيق المذهب ، وسوء التناول . وكأنما كان البارودى من قبله إرهاصا له ، ودعوة إليه ، وتنبيها إلى فضله ومكانه . وقد كان البارودى بما اجتمع له من أدوات الشعر ، وبما تهيأ له من أسبابه العامة والخاصة ؛ أولَ من بعث الحياة فى هذا الجسد الهامد ، ونفخ فيه من قوّته ، وخلع عليه من شبابه ، فكان تصديراً بليغا لهذا الفصل الجديد فى تاريخ الشعر العربى ، فلما خلا مكانه تلفّت الناس ينظرون على حذر وخشية ، يريدون أن يسمعوا نغما صافيا ، كهذا الذى عوّدهم البارودى أن يسمعوه من إنشاده وتطريبه ، وما منهم إلا مَن ظن أن الشعر بعده منتكس بعلته ، وأن الرجل الذى كان يمدّه بأسباب الحياة والقوّة قد ذهب ، فلا سبيل إليه بعدُ ولا أمل ؛ وفى هذه الفترة ظهر شوقى ... ...

على أن ذلك ليس هو كل السبب فى ذهاب صيت شوقى ، وامتدادِ شهرته التى تـآمّر بها على شعراء الجيل ، وحلّ فى الصدر من ناديهم ، فقد انتدَبَ الشرق على أبواب نهضة قد تهيأت له أسبابها ، واكتملت وسائلها ، وإن آمالا قوية لتجيش فى نفوس أهله وتصطرع فى خواطرهم ؛ فإنهم ليحسون أثرها فيما تنفعل به عواطفهم ، ولا يحسنون لها تعبيراً ولا بيانا ؛ فاختار شوقى أن يكون لسانَ هذه الأُمة فيما تحب وتكره ، وفيما تأمل وتحذر ، وفيما تنفعل به عواطفها من ذكريات وحوادث ، وكان لسان صدق فى التعبير عن كل أولئك فى بيان ساحر ولفظ رصين ، فلم تلبث الأُمة العربية أن رأت فيه شاعرَها ، فألقت إليه مقاليد الإمارة ، وبايعته عن رضا .

وقد ذهب شوقى إلى ربه منذ أكثر من عشر سنين [1] ، وما زال صدى ألحانه يتردد عذباً مطرباً ، وما زال مكانه من ديوان العربية خاليًا ؛ لم يتـأهّل بعدُ شاعرٌ من شعراء الجيل أن يقتعد ذروته .

بلى ، فى مصر وفى سائر بلاد العربية شعراءُ ، وإن منهم لمَنْ بلغ فى فنه مالم يبلغ شوقى ، ولكنهم فيما اختاروا لأنفسهم من مذاهب الشعر ؛ لم يبلغ واحد منهم أن يكون من الأُمة ما كان لها شوقى : لسانَها المعبِّر عن كل ما يُلم بها من الأحداث ، وما يهمس فى ضميرها من الأمانى .

أمِن عجزٍ أم من قوة كان شوقى شاعر الأُمة وكان هؤلاء شعراء أنفسِهم ؟ سؤال لست أجد اليوم جوابه ، وإن العربية لتدخل فى تاريخ جديد ، فلعل هذا التاريخ أن يجيب فى غدٍ عن هذا التساؤل ، حين يرسم للشاعر مهمته ، ويحدّد مكانَه من نفسه ومن أُمّته ؛ وأيا مّا كان الجواب فلن يضيع حق

---

(١) ظهرت الطبعة الأولى من هذا الجزء سنة ١٩٤٣ .

هذا الشاعر الذى خطَّ هذه الصفحات الأولى من التاريخ ، فحفظ للشعر العربى شبابَه وخطا بِهِ خُطاه إلى القوّة والمجد والخلود .

* * *

وبعد ، فهذا هو الجزء الرابع من الشوقيات ، دفعه إلىَّ مَن دفعه قُصاصاتٍ من صحف ، وجُزازاتٍ من ورق ، وبقيةً من مطبوعات أو مخطوطات أكلها البِلى ؛ لأنظر فى ترتيبها ، وتبويبها ، وإخراجها ديوانا .

ومن التجوُّز أن نسمِّى ذلك جزءًا ؛ فما هو إلا بقية ، أو شىءٌ من البقية التى لم تنشر فى الأجزاء الثلاثة الأُولى من الديوان ؛ فليس يجمعها باب ، ولا تضمها وَحدة ، ولا تميِّزها خصيصة من خصائص شعر شوقى ، وإن منها لآخرَ ما قال ، وأوائل ما نظم من شعر الصِّبا ، ولقد تكون هذه وحدها خصيصةً لهذه المجموعة من شعر شوقى ؛ فإن الباحث ليجد فيها مادّة تعينه على الموازنة بين ما كان هذا الشاعر فى أولاه ، وما صار فى آخرته ، وإنها بذلك لحقيقة أن تعينه على باب من القول ، لعل أسبابه لا تتهيأُ له من غير أن ينظر فى هذا الجزء من ديوانه .

على أن ذلك الجزء ليس هو كل ما بقى من شعر شوقى بعد الأجزاء الثلاثة الأُولى ، ولكنه كل ما دُفع إلىَّ مما تهيأ لجامعِهِ أن يجمعه ، وأرى شيئاً ما قد فاته او هو قد أغفل نشرَه ؛ استجابةً لبعض الدواعى العامة ، أو الخاصة ، أو لعل الشاعر — رحمه الله — كان له رأى فى إغفال شىء من نظمه ؛ لجِدَّة أسباب ، أو زوالِ أسباب ، ومهما يكن من شىء ؛ فهذه حقيقة ينبغى أن أذكرها ، لعل سائلا يسأل من بعدُ ، أو لعل مدعياً أن يدعى .

وقد رتبت هذا الجزء على ستة أبواب :

الباب الأول منها «متفرقات فى السياسة والتاريخ والاجتماع»، وهو اثنان وأربعون وثمانمائة بيت، فى ثلاث وثلاثين قطعة[١]، وإن منها آخرَ ما أنشأ[٢]، وإن منها القديم الذى تطاولت عليه السنون، وتراكمت الحوادث، حتى ليوشك أن ينساه التاريخ[٣]

والباب الثانى «الخصوصيات»، وهو ستة وخمسون ومائة بيت، فى عشرين قطعة[٤]، أكثرها فى الحديث عن نفسه، وولده، وبعض خاصته، وإنه فيما تحدث عن ولده من هذا الباب؛ ليهيئ للباحث النفسى أن يقول قولا فى الشاعر الأب، وفى أبوة الشاعر.

والباب الثالث «الحكايات»، وهو تسعة وسبعمائة بيت، فى خمس وخمسين قطعة[٥]، أكثرها مما نشره من قبل فى طبعة «الشوقيات» الأولى؛ ولغة الشاعر فى هذا الباب غير لغته فى سائر شعره. وإنه لباب يُسمح فيه للشاعر أن يترخّص، وأحسبه فى بعض ما قص من الحكايات فى هذا الباب؛ كان يرمز لبعض ما مرّ به من كيد الناس فى حياته ويعرِّض[٦].

والباب الرابع «ديوان الأطفال»، وهو ثلاثة وعشرون ومائة بيت، فى عشر قطع؛ وأكثره من الأناشيد العامة التى نظمها لمناسباتها؛ ثم أرادها لتكون مما ينشده الناشئة.

---

(١) زيد اليها فى هذه الطبعة الثانية اثنان وتسعون ومائة بيت، فى خمس قطع.

(٢) انظر «فتية الوادى عرفنا صوتكم» يخاطب بها الشباب الذين نهضوا بمشروع القرش فى سنة ١٩٣٢، وكانت تلاوتها يوم وفاته.

(٣) انظر «معالى العهد» و«رسالة الناشئة».

(٤) زيد اليها فى هذه الطبعة الثانية ثلاثة عشر بيتا فى قطعة.

(٥) زيد اليها فى هذه الطبعة الثانية واحد وعشرون بيتا، فى قطعة.

(٦) انظر «نديم الباذنجان!» و«الثعلب والأرانب فى السفينة» وغيرهما.

والخامس من « شعر الصبا » ، وهو تسعة وتسعون بيتا ، فى ثمانى قطع من أوَّليات شعره .

أما الباب السادس «محجوبيات» ؛ فهو باب طريف ، يشير إلى ما كان من ودّ بين الشاعر وصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وعدَّته ثلاثة وستون بيتًا فى أربع قطع ، ولا أحسب ذلك كل ما كان من «محجوبيات» شوقى ، ولكنه كلُّ ما ألقى إلىَّ(١) .

* * *

فهذا هو الجزءُ الرابع من «الشوقيات» كما هو بين يدى قارئه ، ولعلى كنت مسئولاً — وقد حملت تبعة نشره — أن أشرح ، أو أعلِّق على بعض ما قد يحتاج إلى التعليق والشرح من أبياته ، ولكنى آثرت والكتابُ فى طبعته الأُولى أن أجعله خالصاً لشعر شاعره ، وألا أستأثرَ بالتوجيه فى الشرح ، كما يقول صديقى الأُستاذ محمود أبو الوفا ، فى كلمته بالجزء الثالث من الديوان .

على أن بعض كلمات قد اقتضانى موضوعُها أن أجليها ببعض الشرح ، فاكتفيت من ذلك بالنزر فى بعض الصفحات ، مكتفياً بما أثبتُّ فى رأس كل قصيدة ، من ذكر السبب ، والحادثة ، وبعض التاريخ ، إن دعا إلى ذلك موضوعها .

وإنى لأرجو بذلك أن أكون قد أدّيت واجبى على وجه يُعذرنى عند الناقد من بعض ما قد يراه فى هذا الجزء من هَنات ، وما أُبرِّئُ نفسى .

---

(١) وليس يفوتنى ان اشير الى قطعتين لم تنشرا فى هذا الجزء ، احداهما بعنوان « دنشواى » ، والاخرى بعنوان « الرقيب » ، وكنت قد هيأتهما للنشر فى الطبعة الاولى فى موضعهما من باب « المتفرقات » ، ثم غاب عنى اصلهما ، فلم يتهيأ لى نشرهما فى هذه الطبعة كذلك .

وفيما عدا ذلك حرصت ان يكون الديوان بالكامل ، ودون استبعاد اى قصيدة حرصا على تراث الشاعر أحمد شوقى .

متفرقات

فى السياسة والتاريخ والاجتماع

الْجَامِعَةُ الْمِصْرِيَّةُ

« أنشأها فى حفلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ »

تاجَ البلادِ . تحيةٌ وسلامُ ... رَدّتك مصرُ . وصحّت الأحلامُ

العلمُ والمُلكُ الرفيعُ ؛ كلاهما ... لك — يا « فؤادُ » — جلالةٌ ومقام

فكأنك المأمونُ فى سُلطانِه : ... فى ظلِّك الأعلامُ . والأقلامُ (١)

أهدَى إليك الغربُ من ألقابه ... فى العلمِ ما تسمو له الأعلام

من كلِّ مملكةٍ . وكلِّ جماعةٍ ... يسعى لك التقديرُ والإعظام

* * *

ماهذه الغُرَفُ الزواهرُ كالضُّحَى ... الشامخاتُ كأنَّها الأعلامُ ؟

من كلِّ مرفوعِ العمودِ مُنوَّرٍ ... كالصبحِ مُنْصَدِعٌ به الإظلام

تتحطَّم الأُمِّيَّةُ الكبرى على ... عَرَصاتِه ، وتمزَّقُ الأوهام

هذا البناءُ الفاطِمىُّ مَنارةٌ ... وقواعدٌ لحضارةٍ ودِعام

مهدٌ تَهَيَّأَ للوليدِ ، وأيكةٌ ... سَيَرِنُّ فيها بُلبلٌ وحَمام

شُرُفاته نورُ السبيلِ . وركنُه ... للعبقريّةِ مَنزِلٌ ومُقام

وملاعبٌ تجرى الحظوظُ مع الصِّبا ... فى ظِلِّهِنَّ ، وتُوهَبُ الأقسام (٢)

---

(١) المأمون بن الرشيد العباسى ، وعصره من أزهى عصــور الدولة الاسلامية .

(٢) الاقسام : الحظوظ .

يمشِي بها الفِتْيانُ ، هذا ماله ... نفس تُسَوِّده ، وذاك عِصامُ(١)
أَلقَى أَواسِيَهُ ، وطال بِرُكْنِه ... نَفْسٌ من الصِّيدِ الملوكِ كُرام(٢)
من آلِ إسماعيلَ ، لاالعَمَّاتُ قد ... قصَّرن عن كرمٍ ، ولا الأَعمام
لم يُغْطَ. هِمَّتهم ، ولا إحسانَهم ... بان على وادي الملوك هُمام
وبنى فؤادٌ حائطَيْه ، يُعِينُه ... شعبٌ عن الغاياتِ ليس يَنام

* * *

أُنظرأباالفاروقِ غرسَكَ ،هل دَنَتْ ... ثمراتُه ، وبدت له أَعلامُ ؟
وهل انثنى الوادى وفى فمه الجَنَى ... وأَتى العراقُ مُشاطرًا والشام ؟
فى كلِّ عاصمةٍ وكلِّ مدينةٍ ... شُبانُ مِصْرَ على المناهل حاموا
كم نستعيرُ الآخرِين ونَجْتَدِى ... هيهات ! ما للعارِيات دَوام
اليومَ يَرْعَى فى خمائلِ أرضِهم ... نَشَأٌ إلى داعى الرَّحيلِ قِيام
حبٌّ غَرَسْتَ بِراحَتَيْكَ ، ولم يَزَلْ ... يَسقيه من كِلتا يديك غَمام
حتى أَنافَ على قوائمِ سُوقهِ ... ثمرًا تَنوءُ وراءه الأَكمام
فقريبُه للحاضرين وليمةٌ ... وبعيدُه للغابرين طعام
عِظةٌ لفاروقٍ وصالحِ جِيلهِ ... فيها يُنيلُ الصبرُ والإقدام
ونَموذجٌ تَحذُو عليه ، ولم يَزَلْ ... بسَراتِهِمْ يتشبَّهُ الأَقوام
شَيَّدت صَرْحاً للذخائرِ عالياً ... يَأْوِى الجمالُ إليه والإلهام
رَفٌّ عُيونُ الكُتْبِ فيه طوائفٌ ... وجلائلُ الأَسفارِ فيه رُكام

---

(١) يشير الى قول النابغة :
نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والاقداما
وعصام حاجب النعمان بن المنذر ، واليه ينسب كل عصامى .
(٢) الأواسى : الدعائم والابنية المحكمة .

إسكندريّةُ ، عاد كنزُكِ سالماً حتى كأنْ لم يلتهِمْه ضِرامُ(١)
لمَّتْهُ من لَهَبِ الحريق أناملٌ بَرْدٌ على ما لامَسَتْ ، وسَلام
وأَسَتْ جِراحَكِ القديمة راحةٌ جُرْحُ الزمانِ بعُرْفِها يَلتام
تَهَبُ الطريفَ من الفَخارِ ، وربّما بَعَثَتْ تَليدَ المجدِ وهْوَ رِمام

* * *

أرأيتَ رُكنَ العلم كيف يُقامُ ؟ أرأيتَ الاستقلالَ كيف يُرامُ ؟
العلمُ فى سُبلِ الحضارةِ والعُلا حادٍ لكلِّ جماعةٍ ، وزِمام
بانى الممالكِ حينَ تنشُدُ بانياً ومَثابةُ الأوطانِ حينَ تُضام
قامت رُبوعُ العلمِ فى الوادى ، فهل للعبقريّةِ والنبوغِ قِيَام ؟
فهما الحياةُ ، وكلُّ دُورِ ثقافةٍ أو دُورِ تعليمٍ هى الأجسام
ما العلمُ ما لم يَصْنعاه حقيقةٌ للطالبين ، ولا البيانُ كلام
يا مِهرَجانَ العلمِ ، حولك فرْحَةٌ وعليك من آمال مِصرَ زِحام
ما أشبهتْكَ مواسمُ الوادى ، ولا أعيادُه فى الدهر ، وهْى عِظام
إلا نهارًا فى بشاشة صُبحِه قعد البُناةُ ، وقامت الأهرام
وأطال «خوفو» من مواكبِ عِزِّه فاهتزَّت الرَّبَواتُ ، والآكام
يُومِى بتاجٍ فى الحضارة مُعْرِقٍ تعْنُو الجِباهُ لعِزه ، والهام
تاجٌ تنقَّلَ فى العُصورِ مُعَظَّماً وتألفتْ دُوَلٌ عليه جِسام
لما اضطلعتَ به مَشَى فيه الهدى ومراشدُ الدستورِ ، والإسلام
سَبقتْ مواكبُك الربيعَ وحُسْنَه فالنيلُ زهْوٌ ، والضِّفافُ وِسام

---

(١) يشير الى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الاسكندرية .

الجيزةُ الفيحاءُ هَزَّت منكِباً   سبغ النوالُ عليه والإنعام

لبست زخارفَها ، ومسَّتْ طِيبَها   وتردّدتْ فى أَيْكها الأَنغامُ

قد زدتها هرَماً يُحَجُّ فِناؤه   ويُشدُّ للدنيا إليه حِزام

تقفُ القرونُ غدا على درجاتِه   تُمْلِى الثناء ، وتكتبُ الأَيام

أعوامُ جهدٍ فى الشباب ، وراءها   من جهد خيرٍ كهولةٍ أعوام

بلغَ البناءُ على يديك تمامَهُ   ولكل ما تبنى يداك تمام

بَنْكُ مصْرَ

« انشدت فى مجلس الاحتفال بوضع الحجـــر الاول فى اساس « بنك مصر » فى مايو ١٩٢٥ »

نُراوِحُ بالحوادثِ ، أو نُغادَى ونُنكرُها ، ونُعطيها القِيادا

ونحمَدُها وما رعتِ الضَّحايا ولا جزتِ المواقفَ والجهادا

لحَاها اللهُ ؛ باعْتنا خيالاً من الأحلامِ ، واشترتِ اتّحادا

مشيْنا أمسِ نلقاها جميعًا ونحنُ اليومَ نلقاها فُرادَى(١)

أظلَّتْنا عن الإصلاحِ ، حتى عَجَزْنا أن نُناقشَها الفسادا

تُلاقِينا ؛ فلا نَجدُ الصَّياصِى ونَلقاها ، فلا نجدُ العَتادا(٢)

ومَنْ لَقِيَ السِّباعَ بغيرِ ظفرٍ ولا نابٍ تمزَّقَ أو تفادَى

خَفضنا من عُلُوِّ الحقِّ حتى تَوهَّمنا السيادةَ أن نُسادا

ولمَّا لم نَنلْ للسيفِ رَدًّا ، تنازعْنا الحمائلَ والنِّجادا

وأقبلنا علي أقوالِ زورٍ تجىءُ الغَىَّ تَقلِبُهُ رَشادا

ولو عُدِنا إليها بعدَ قرْنٍ رَحمنا الطِّرْسَ منها والمِدادا

وكم سحرٍ سمعنا منذُ حينٍ تضاءلَ بين أعيُننا ونادى

هنيئًا للعدوِّ بكلِّ أرضٍ إذا هو حلَّ فى بلدٍ تَعادَى

وبُعدًا للسيادةِ والمعالى إذا قَطَعَ القرابةَ والوِدادا

وربَّ حقيقةٍ لا بدَّ منها خدعْنا النشْءَ عنها والسَّوادا

---

(١) يشير الى ما كان من حدة الخلاف بين زعمـــاء مصر فى ذلك التـــاريخ .

(٢) الصياصى : الحصون . والعتاد : عدة الحرب .

ولو طلعوا عليها عالجوها ... بهمّةِ أنفسٍ عَظُمتْ مُرادا
تُعِدُّ لحادثِ الأيام صَبرًا ... وآونةً تُعِدُّ له عِنادا
وتخلِف بالنُّهى البيضَ المواضى ... وبالخُلق المثقَّفة الصِّعادا
لمحنا الحَظَّ ناحيةً ، فلما ... بلغناها أحسَّ بنا ، فحادا
وليس الحظُّ إلا عبقريًّا ... يُحبُّ الأَرْيَحيَّةَ ، والسَّدادا
ونحن بنو زمانٍ حُوَّلِيٌّ ... تَنَقَّلَ تاجرًا ، ومَشَى ، ورَادا
إذا قعد العِبادُ له بسوقٍ ... شرى فى السوق ، أو باع العِبادا
وتُعجبه العواطفُ فى كتابٍ ... وفى دمع المُشَخِّصِ ما أجادا

* * *

يُؤمِّننا على الدستورِ أنَّا ... نَرى من خلفِ حَوْزَتِه فؤادا
أبو الفاروقِ نرجوه لفضلٍ ... ولا نخشى لِما وَهبَ ارتدادا
ملأْنا باسمه الأفواهَ فخرًا ... ولقبناه بالأمسِ (المكادا)(١)
نُناجيه ، فنسترعِى حكيماً ... ونسأله فنستجدى جَوَادَا
ولم يزلِ المحبَّبَ ، والمفدَّى ... ومرهَمَ كلِّ جُرحٍ ، والضِّمادا

* * *

تَدفَّق مَصْرِفُ الوادى ، فرَوَّى ... وصابَ غمامُهُ ، فسقى ، وجادا
دعا فتنافسَتْ فيه نُفوسٌ ... بمصرَ لكلِّ صالحةٍ تُنادَى
تُقدِّمُ عونَها ثِقةً ومالاً ... وأحياناً تُقدِّمُهُ اجتهادا
وأقبلَ من شبابِ القومِ جمعٌ ... كما بنتِ الكهولُ بَنَى ، وشادا
كأن جوانبَ الدارِ الخلايا ... وهم كالنحل فى الدار احتشادا

---

(١) الميكادو : الملك فى لغة اليابان .

قياداراً من الهِمَمِ العوالى ... سُقيتِ التِّبرَ . لا أرْضَى العِهادا(١)

تـأتَّى حينَ أسَّسَكِ ابنُ حربٍ ... وحينَ بنى دعائمَكِ الشِّدادا

ولا تُرجَى المتانةُ فى بناءٍ ... إذا البنَّاءُ لم يُعْطَ. اتئادا

بنى الدارَ التى كنّا نراها ... أمانىَّ المخيَّل ، أو رُقادا

ولم يَبْعُدْ على نفسٍ مَرَامٌ ... إذا ركِبَتْ له الهِمَمَ البِعادا

ولم أرَ بعدَ قدرتِه تعالى ... كمَقدِرَةِ ابنِ آدمَ إن أرادا

جرى والناسُ فى ريب وشكٍّ ... يَرومُ السَّبْقَ : فاخترقَ الجيادا

وعودِىَ دونَها حتى بَناها ... ومن شأْنِ المجدِّدِ أن يُعادى

يَهونُ الكيدُ مِنْ أعدَى عدُوٍّ ... عليكَ إذا الولىُّ سعَى وكادا

فجاءت كالنهارِ إذا تجلَّى ... عُلُوًّا فى المشارقِ وانطيادا(٢)

نصونُ كرائمَ الأموالِ فيها ... ونُنزِلها الخزائنَ والنِّضادا

ونُخرجُها ، فتكسِبُ ، ثُمَّ تأوِى ... رُجوعَ النَّحْلِ قد حُمِّلنَ زادا

ولم أرَ مثلَها أرضاً أغلَّتْ ... وما سُقيَتْ ، ولا طَعِمَتْ سَمادا

ولا مُستوْدعاً مالاً لقومٍ ... إذا رجعوا له أدَّى وزادا

ومن عجبٍ نُثبِّتُها أصولاً ... وتِلك فروعُها تَغشَى البلادا

كأنَّ القُطْرَ من شوقٍ إليها ... سَما قبلَ الأساسِ بها عِمادا

ولو مَلكتْ كنوزَ الأرضِ كفِّى ... جَعلْتُ أساسَها ماساً ورادا

ولو أنَّ النجومَ عَنَتْ لحُكمى ... فرشتُ النيِّراتِ لها مِهادا

---

(١) العهاد : المطر .

(٢) الانطياد : الارتفاع .

دَارُ بَنْك مِصْرَ

« نظمها لتنشد فى حفـــلة افتتاح الدار الجديدة لبنـك مصر فى يونيو سنة ١٩٢٧ »

نَبذَ الهوى ، وصَحَا من الأَحلامِ شَرقٌ تنبَّهَ بعدَ طولِ مَنام
ثابَتْ سلامتُه ، وأقبل صَحْوُهُ إلا بَقايا فَتْرَةٍ وسَقام
صاحتْ به الآجامُ : هُنْتَ ! فلم يَنَمْ . أَعَلى الهوانِ يُنامُ فى الآجامِ ؟
أُمَمٌ وراءَ الكهفِ جُهْدُ حَياتِهم حركاتُ عيشٍ فى سُكونِ حِمام
نفضوا العيونَ من الكرَى . واستأنفوا سَفرَ الحياة ، ورِحلةَ الأَيَّام
مَنْ ليس فى رَكْبِ الزمانِ مُغَبِّرًا فاعْدُدْهُ بين غوابرِ الأَقوام
فى كلِّ حاضرةٍ وكلِّ قبيلةٍ هِمَمٌ ذَهبْنَ يَرُمْن كلَّ مَرام
مِن كلِّ مُمتنعٍ على أَرسانِه أو جامحٍ يَعدو بنِصفِ لِجام

* * *

يا مِصْرُ . أنتِ كِنانةُ اللهِ التى لا تُستباحُ . وللكِنانةِ حامِ
استَقبِلى الآمالَ فى غاياتِها وتأَمَّلِى الدُّنيا بطَرْفٍ سام
وخُذِى طَريفَ المجدِ بعدَ تَليدِه من راحتَىْ مَلِكٍ أغرَّ هُمام
يَعْنَى بِسُؤدد قومِه . وحُقوقِهم ويَذودُ دونَ حِياضِهم ، ويُحامى
ما تاجُكِ العالى . ولا نُوَّابُه بالحانِثين إليكِ فى الإِقسام

جَرَّبْتِ نُعْمَى الحادثاتِ وبُؤْسَها أَعَلِمْتِ حالاً آذَنَتْ بدوامِ ؟

* * *

عَبَسَتْ إلينا الحادثاتُ ، وطالما نَزلَتْ فلم نُغْلَبْ على الأَحلام
وَثَبَتْ بقومٍ يَضْمِدون جِراحَهم ويُرَقِّدون نَوازِىَ الآلام
الحقُّ كلُّ سلاحِهم وكفاحِهم والحقُّ نِعْمَ مُثَبِّتُ الأَقدام

* * *

يَبنون حائطَ مُلْكِهم فى هُدنَةٍ وعلى عواقبِ شِحنَةٍ وخِصام
قلْ للحوادث : أقدِمى ، أو أَحجِمى إنَّا بَنو الإِقدامِ والإِحجام
نحن النيامُ إذا الليالى سالَمَتْ فإذا وَثَبْنَ فنحنُ غيرُ نيام
فينا من الصبرِ الجميلِ بقيّةٌ لحوادثٍ خَلْفَ الغُيوبِ جِسام

* * *

أين الوُفودُ المُلتقونَ على القِرَى المُنزَلون مَنازِلَ الأَكرامِ (١)
الوارثون القُدْسَ عن أَحبارِه والخالِفونَ أُميَّةً فى الشَّام؟
الحامِلو الفُصْحَى ونورِ بيانِها يَبنون فيه حضارةَ الإِسلام ؟
ويُؤَلِّفون الشرقَ فى بُرْهانِها لِمَّ الضياءِ حَواشِىَ الإِظلام ؟
تاقوا إلى أَوطانِهم ، فتحمَّلوا وهَوَى الديارِ وراءَ كلِّ غرام
ما ضرَّ لو حبَسوا الرَّكائبَ ساعةً وثنَوْا إلى الفُسطاطِ فضلَ زِمام ؟
ليُضيف شاهدُهمْ إلى أيامِه يوماً أَغرَّ مُلمَّحَ الأَعلام

---

(١) يعنى وفود البلاد العربية التى اجتمعت لتكريمه ومبايعته بامارة الشعر فى مارس من تلك السنة نفسها .

ويرى وبَسمَعَ كيف عادَ حقيقةً ما كان مُمتنِعًا على الأوهامِ . . .
... مِنْ هِمَّةِ المحكومِ وهو مُكبَّلٌ بالقيد . لا من هِمَّةِ الحكامِ

* * *

مِصرُ التقتْ فى مِهرجانِ مُحمدٍ وتجمَّعَتْ لتحيّةٍ وسلامِ (١)
هَزَّتْ مَناكبَها له . فكأنه عُرْسُ البيانِ . وموكبُ الأقلام
وكأنه فى الفتح عَمُّوريّةٌ وكأنّنى فيه أبو تمَّام(٢)
أَسِمُ العصورَ بحسنِهِ . وأنا الذى يَرْوِى . فينتظمُ العصورَ كلامى

* * *

شرفاً محمدُ ، هكذا تُبنى العلا : بالصبرِ آونةً وبالإقدام
هِمَمُ الرجالِ إذا مضتْ لم يَثنِها خدعُ الثناءِ ولا عَوادى الذَّام
وتمامُ فضلِكَ أن يَعيبَكَ حُسَّدٌ يجدون نقصاً عندَ كلِّ تمَام

* *

المالُ فى الدنيا منازلُ نُقلةٍ من أين جئتَ له بدارِ مُقام ؟!
فرفعتَ إيواناً كرُكنِ النَّجمِ . لم يُضرَبْ على كِسرى . ولا بَهرام
صَيَّرْتَ طينتَه الخلودَ ، وجئتَ مِنْ وادى الملوكِ بجَنْدَلٍ ورَغام
هذا البناءُ العبقرىُّ أتى به بيتٌ له فضل وحقٌّ ذِمام
كانت به الأَرقام تُدرَكُ حِسبةً واليومَ جاوَز حِسْبَةَ الأرقام
يا طالما شغف الظنونَ . وطالما كثر الرجاءُ عليه فى الإلمام

---

(١) هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا مؤسس البنك .
(٢) قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ذائعة مشهورة

ما زلتَ أنتَ وصاحباك بِركنه حتّى استقام على أعزِّ دِعامِ
أسَّسْتُمو بالحاسدين جِدارَه وبنيتمو بمعاوِل الهدَّام
شَركاتُك الدنيا العريضةُ لم تَنَل إلا بطول رِعايةٍ وقيام
اللهُ سخَّر للكنانةِ خازناً أخذ الأَمانَ لها من الأَعوام
وكأنَّ عهدَك عهدُ يوسُفَ : كلُّهُ ظِلٌّ ، وسُنْبُلةٌ ، وقَطرُ غَمام
وكأنّ مالَ المودِعين وزرعَهم فى راحتيْك ودائعُ الأَيتام
ما زلتَ تَبنى رُكنَ كلِّ عظيمةٍ حتّى أتيتَ برابع الأَهرام

دَارُ العُلوم(*)

« انشدت فى الاحتفال الخمسينى لدار العـــلوم ،
بمسرح حديقة الازبكية فى يوليـو سنة ١٩٢٧ »

اتَّخذتِ السماءَ يا دارُ رُكنا وأوَيْتِ الكواكبَ الزُّهْرَ سَكْنا
وجمعتِ السعادتين ، فباتت فيكِ دُنيا الصلاحِ للدينِ خِدنا
نادَمَا الدهرَ فى ذَراكِ ، وفَضَّا من سُلاف الودادِ دَنًّا فدَنَّا
وإذا الخُلْقُ كان عِقْدَ ودادٍ لم ينل منه مَنْ وَشى وتَجنَّى
وأرى العلمَ كالعبادة فى أبـــعدِ غاياتِه : إلى الله أدنَى
واسعَ الساحِ ، يرسلِ الفِكْرَ فيها كلُّ مَن شكَّ ساعةً أو تَظنَّى
هل سألنا أبا العلاءِ وإن قلَّـــبَ عينًا فى عالم الكونِ وَسْنَى
كيف يَهْزَا بخالقِ الطيرِ مَنْ لم يَعلمِ الطيرَ : هل بكى أو تغنَّى ؟

* * *

أنتِ كالشمس رفرفاً ، والسماكَيْـــنِ رِواقاً ، وكالمَحَرَّةِ صَحْنا
لو تَستَّرْتِ كنتِ كالكعبة الغرّ اءِ ذيلاً من الجلال ورُدْنا
إن تكن للثواب والبِرِّ دارًا أنت للحق والمراشدِ مَغْنَى
قد بلغتِ الكمال فى نصف قرنٍ كيف إن تمّت الملاوة قَرنا ؟!

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

لاتَعُدِّى السنينَ إن ذُكر العـــــلمَ ؛ فما تعلمين للعلم سِنّا

سوف تفنى فى ساحَتَيْكِ الليالى وهْوَ باقٍ على المدى ليس يفنى

ياعكاظًا حوى الشبابَ فِصاحاً قُرَشِيِّينَ فى المجامع ، لُسْنا

بَثَّهُمْ فى كنانة اللهِ نورًا مِن ظلام على البصائر أَخْنَى

علَّموا بالبيانِ ، لا غُرباءَ فيه يوماً ، ولا أعاجمَ لُكْنا

فتيةٌ محسنون ، لم يُخْلِفوا العـــــلمَ رجاءً ، ولا المعلِّمَ ظَنّا

صَدَعوا ظُلمةً على الريف حَلَّتْ وأضاءُوا الصعيدَ سهلاً ، وحَزْنا

مَنْ قضى منهمُ تَفَرَّق فِكرًا فى نُهَى النَّشْءِ ، أو تَقَسَّم ذِهنا

نادِ دارَ العلوم إن شئتَ : « ياعا نش » ، أو شئتَ نادها : « ياسُكَيْنا »

قل لها : ياابنه « المباركِ »[1] إيهٍ قد جَرَتْ كاسمه أمورُكِ يُمْنا

هو فى المهرجان حَىٌّ شهيدٌ يَجْتَلِى غرْسَ فضلِه كيف أجنى

وهْوَ فى العُرْسِ – إن تحجَّبَ ، أولم يَحْتَجِب – والدُ العروسِ المُهنّا

ما جرى ذكرُه بناديكِ حتى وقف الدمعُ فى الشئون فأثنى

رُبَّ خيرٍ مُلِئتَ منه سُرورًا ذَكَّر الخيِّرين فاهتجتَ حُزْنا

أَدَرَى إذ بناك أنْ كان يبنى فوق أنف العدوِ للضاد حِصنًا ؟

حائطُ الملكِ بالمدارس إن شِئْـــتَ ، وإن شِئْت بالمعاقل يُبنى

انظر الناس ، هل ترى لحياةٍ عُطِّلَتْ من نَباهَةِ الذكرِ مَعنى ؟

لاالغنى فى الرجال ناب عن الفضــــلِ وسلطانِه ، ولا الجاهُ أَغنى

رُبَّ عاثٍ فى الأرض لم تجعل الأرْ ضُ له إن أقام أو سار وَزْنا

---

(١) يعنى منشىء دار العلوم المرحوم على مبارك باشا .

عاش لم ترْمِهِ بعينٍ ، وأودى هَمَلاً لم تهُب لناعِيه أُذْنا

نظمَ اللهُ مُلكَه بعبادٍ عبقريِّين أورَثوا المُلكَ حُسنا

شغلتهم عن الحسود المعالى إنما يُحسَدُ العظيمُ ويُشنا

من ذكيِّ الفؤادِ يورِثُ علمًا أو بديعِ الخيالِ يخلُق فنَّا

كم قديمٍ كرُقعةِ الفنِّ حرٍّ لم يُقلِّل له الجديدان شأنا

وجديدٍ عليه يختلف الدهـــــرُ ، ويفنى الزمانُ قرنًا فقرنا

فاحتفظ بالذخيرتين جميعًا عادةُ الفَطْنِ بالذخائر يُعنى

يا شباباً سَقوْنِيَ الوُدَّ مَحضاً وسقوا شانئى على الغِلِّ أجْنا

كلما صار للكهولة شِعرى أنشَدوه . فعاد أمْرَدَ لدْنا

أُسرةُ الشاعرِ الرُّواةُ ، وما عَنَّـــــوْهُ ، والمرءُ بالقريب مُعَنَّى

هم يضنُّون فى الحياة بما قا ل ؛ ويُلفَوْنَ فى الممات أضنَّا

وإذا ما انقضى وأهْلُوهُ لم يَعــــــدَم شقيقاً من الرُّواة أو ابْنا

النبوغَ النبوغَ حتى تنُصُّوا رايةَ العلم كالهلال وأسنَى

نحن فى صورة الممالكِ ما لم يُصْبِحِ العلمُ والمعلِّمُ مِنَّا

لا تنادوا الحصونَ والسُّفنَ ، وادْعُوا العــ

ــــلم يُنشِئْ لكم حصوناً وسُفْنا

إنّ رَكْبَ الحضارةِ اخترق الأرْ ضَ ، وشقّ السماء ريحًا ومُزْنا

وصَحِبْناه كالغبارِ . فلا رَجْـــــلاً شدَدْنا ؛ ولا رِكاباً زمَمْنا

دان آباؤنا الزمانَ مَلِيًّا ومَلِيًّا لحادثِ الدهر دِنَّا !

كم نُباهى بلحْدِ مَيْتٍ؟ وكم نحـــــمِلُ من هادمٍ ولم يَبنِ مَنَّا ؟ !

قد أنَى أن نقول : « نحن » ؛ ولا نسـمع أبناءنا يقولون : « كُنَّا » !

إسْكَنْدَرِيَةُ آنَ أَنْ تَتَجَدّدِى

« نظمها لحفلة افتتاح دار جديدة لبنك مصر في الاسكندرية ، في يونيو سنة ١٩٢٩ »

أَمسِ انقضى ، واليومُ مِرْقاةُ الغدِ ... إسكَنْدَرِيَّةُ ، آن أن تتجَدَّدِى

يا غرَّةَ الوادى وسُدَّةَ بابِه ... رُدّى مكانَكِ فى البريةِ يُرْدَدِ

فيضى كأمسِ على العلوم من النُّهى ... وعلى الفنونِ من الجمالِ السَّرْمَدِى

وسِمِى النَّبَالَةَ بالملاحِمِ تتَّسِمْ ... وسِمِى الصَّبَابةَ بالعواطف تخلُدِ

وضعِى رواياتِ الخلاعةِ والهوى ... لممثِّلين من العصورِ ، وشُهَّدِ

لا تجعلى حُبَّ القديمِ وذكرَه ... حسراتِ مِضياعٍ ، ودفعَ مُبَدِّدِ

إنَّ القديمَ ذخيرةٌ من صالحٍ ... تبنى المقصِّرَ ، أو تحثُّ المقتدى

* * *

لا تفْتِنَنْكِ حضارةٌ مَجلوبةٌ ... لم يُبنَ حائطُها بمالِكِ واليَدِ

لو مالَ عنكِ شِراعُها وبُخارُها ... لم يبقَ غيرُ الصَّيْدِ والمتصيِّد

وُجِدَتْ وكان لغيرِ أهلِكِ أرضُها ... وسماؤها . وكأنها لم توجَد

جارى النزيلَ ، وسابقيه إلى الغنَى ... وإلى الحِجا ، وإلى العُلا والسُّؤدَد

وابنى كما يبنى المعاهدَ . واشرعى ... لشبابِك العرفانَ عذْبَ المَوْرِد

إنى حَذِرتُ عليكِ من أُمّيَّة ... رَبَضتْ كجُنْحِ الغيهب المتلبِّدِ

أخِزانةَ الوادى ، عليكِ تحيَّةٌ ... وعلى النَّدِىِّ وكلِّ أبلجَ فى النَّدِى

ما أنتِ إلا من خزائنِ يوسفٍ ... بالقصدِ ، موحيَةٌ لمن لم يقصِدِ

قُلِّدْتِ من مال البلادِ أمانةً ... يا طالما افتقرَتْ إلى المتقلِّد

وبَلغْتِ من إيمانِها ورجائِها ... ما يبلغُ المحرابُ من مُتعبِّد

فلوَ انَّ أستارَ الجلالِ سَعَتْ إلى ... غيرِ العتيقِ لبِسْتِ مما يَرتدى

* * *

إنَّا نُعَظِّمُ فيكِ ألوِيَةً على ... جَنبَاتِها حَشْدٌ يَروح ويَغْتدِى

وإذا طعِمْتَ من الخليَّةِ شهْدَها ... فاشهَدْ لقائدها وللمُتجَنّد

لا تمنحِ المحبوبَ شُكرَكَ كلَّه ... واقرنْ به شكرَ الأجيرِ المُجهَد

إسكَندَريَّةُ شُرِّفتْ بعِصابةٍ ... بيضِ الأَسِرَّةِ ، والصحيفةِ ، واليد

خدموا حِمى الوطنِ العزيزِ ، فبورِكوا ... خدَماً ، وبورك فى الحمى مِن سَيِّد

مابالُ ذاك الكوخِ صَرّحَ وانجلَى ... عن حائطىْ صَرْحٍ أشمَّ مُمرَّد ؟

مِن كسْرِ بيتٍ ، أو جِدارِ سَقيفةٍ ... رَفع الثباتُ بِنايةً كالفرْقَد

فإذا طلعتَ على جلالةِ رُكنِها ... قلْ : تِلك إحدى مُعجزات (محمدٍ)(١)

---

(١) محمد طلعت حرب .

فِتْيَةَ الْوادِى عَرَفْنَا صَوْتَكُمْ

« يخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا بمشروع القرش سنة ١٩٣٢ ، وهى آخر ماجادت به شاعريته ، وكانت تلاوتها يوم وفاته ! »

لا يُقِيمَنَّ على الضَّيْمِ الأَسَدْ ... نزعَ الشِّبلُ من الغابِ الوتدْ

كبرَ الشِّبلُ . وشبَّتْ نابُه ... وتغطَّى مَنْكِباه باللِّبَد

اترُكوه يَمْشِ فى آجامِه ... ودَعوه عن حِمَى الغابِ يَذُد

واعرضوا الدنيا على أظفارِه ... وابعثوه فى صحاراها يَصِد

* * *

فِتيةَ الوادى : عَرَفْنا صَوْتَكم ... مَرْحبًا بالطائرِ الشادِى الغَرِد

هو صوتُ الحقِّ ، لم يَبْغِ ، ولم ... يَحمِلِ الحقدَ ، ولم يُخْفِ الحَسَد

وخلا من شهوةٍ ما خالطت ... صالحًا من عملٍ إلا فسَد

حَرَّكَ البلبلُ عِطفَىْ رَبْوَةٍ ... كان فيها البومُ بالأَيْكِ انفرَد

زَنْبَقُ المُدْن ، ورَيحانُ القُرَى ... قام فى كلِّ طريقٍ وقَعد

باكِرًا كالنَّحل فى أسرابها ... كلُّ سِربٍ قد تلاقى واحتشد

قد جَنى ما قلَّ من زهْرِ الرُّبا ... ثم أعطى بَدَلَ الزهرِ الشُّهُد

بَسَطَ الكفَّ لمن صادفَه ... ومَضى يَقْصُرُ خطْوًا ويَمُدّ

يجعلُ الأوطانَ أغنيَّتَه ... ويُنادِي الناسَ : مَنْ جادَ وجَد

كلّما مرّ بباب دقّه ... أو رأى دارًا على الدرب قصد
غادياً فى المدْنِ ، أو نحوَ القرى ... رائحًا يسألُ قِرشاً للبلد
أيُّها الناسُ . اسمعوا . أصغوا له ... أخرجوا المال إلى البرّ يمُدّ
لا تردُّوا يَدَهم فارغةً ... طالبُ العونِ لمصرٍ لا يُرَدّ

* * *

سيَرى الناسُ عجيبًا فى غدٍ ... يغرسُ القرشُ . ويَبنى . ويَلِدْ
يُنهِض اللهُ الصناعاتِ به ... من عِثارٍ لبثتْ فيه الأبد
أو يَزيد البرّ دارًا قعدتْ ... لكفاحِ السُّلِّ ، أو حربِ الرّمد
وهْوَ فى الأيدى ، وفى قدرتِها ... لم يَضِقْ عنه ولم يَعجِزْ أحد

* * *

تلك مصرُ الغدِ تبنى مُلكها ... نادت البانى وجاءت بالعُدَدْ
وعلى المالِ بَنتْ ساطانَها ... ثابتَ الآساسِ مرفوعَ العَمَد
وأصارتْ بنكَ مصرٍ كهفها ... حبَّذا الركنُ وأعظِمْ بالسند
مَثلٌ مِن همَّةٍ قد بَعُدَتْ ... ومداها فى المعالى قد بَعُد
ردَّها العصرُ إلى أسلوبه ... كلُّ عصرٍ بأساليب جُدُد
البنونَ استنهضوا آباءَهم ... ودعا الشبلُ من الوادى الأسد
أصبحت مصرُ . وأضحى مجدُها ... همَّة الوالدِ . أو شُغلَ **الولد**
هذه الهِمَّةُ بالأمس جَرَتْ ... فحَوَتْ فى طلب الحقِّ **الأمد**

* * *

أيُّها الجيلُ الذى نرجو لِغدْ ... غدُك العِزُّ . ودنياك الرَّغد
أنت فى مَدْرَجَةِ السَّيلِ ، وقد ... ضلَّ مَنْ فى مَدرجِ السيلِ رَقد

قدّت ن الحقِّ ، فقِفْ فى مثلِهِ　　من نواحى القصدِ أو سُبْلِ الرشد

رُبَّ عامٍ أنت، فيه واجدٌ　　فادَّخِرْ فيه لعامٍ لا تجِدْ

علِّمِ الآباءَ . واهتف قائلاً :　　أيُّها الشعبُ ، تَعاوَنْ واقتصِد

اجمعِ القرشَ إلى القرشِ يكنْ　　لك من جمعهما مالٌ لُبَدْ

اطلبِ القطن . وزاوِلْ غيرَه　　واتَّخِذْ سوقاً إذا سُوقٌ كَسَدْ

نحن قبلَ القطن كنّا أُمّةً　　تهبِطُ الوادى ، وتَرْعَى ، وتَرِدْ

قد أخذنا فى الصناعات المَدَى　　وبَنَيْنا فى الأوالِى ما خَلَد

وغَزلنا قبلَ إدريسَ الكُسا　　ونسجْنا قبلَ داوُدَ الزَّرَد

إن تلكُ اليوم لواءً قائداً　　كم لواءٍ لك بالأمسِ انعقد !

عِيدُ الْجِهَاد(*)

« نظمها احتفالا بعيد الجهاد الوطنى
فى ١٣ نوفمبر سنه ١٩٢٦ »

خَطَوْنا فى الجِهادِ خُطًا فِساحًا ... وهادَنَّا ، ولم نُلقِ السِّلاحَا
رَضِينا فى هوى الوطنِ المفدَّى ... دمَ الشهداءِ والمالَ المُطاحا
ولمّا سُلَّت البِيضُ المواضى ... تقلَّدْنا لها الحقَّ الصُّراحا
فحطَّمْنا الشَّكيمَ سِوَى بقايا ... إذا عَضَّتْ أَرَيْناها الجِماحا
وقمنا فى شِراعِ الحق نَلْقَى ... وندفع عن جوانبه الرِّياحا
نُعالج شِدَّةً ، ونَروض أُخرى ... ونسعى السعىَ مشروعاً مباحا
ونستولى على العقبات إلا ... كَمِينَ الغيبِ والقَدَرَ المُتاحا
ومَنْ يَصبِرْ يَجِدْ طولَ التمنِّى ... على الأَيام قد صار اقتراحا
وأيامٍ كأَجواف الليالى ... فقَدْنَ النجمَ والقمرَ اللِّياحا
قضيناها حِيالَ الحربِ نخشى ... بقاءَ الرِّق ، أو نرجو السَّراحا
تَرَكْنَ الناسَ بالوادى قعودا ... من الإعياءِ كالإبلِ الرَّزاحَى
جنود السِّلْم لا ظَفَرٌ جَزاهم ... بما صبروا ، ولا موتٌ أَراحا
ولا تلْقَى سوى حىٍّ كَميْتٍ ... ومنزوف وإن لم يُشْقَ راحا

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

تُرى أَسْرَى وما شهدوا قِتالاً ... ولا اعتَقلوا الأَسِنَّةَ والصِّفاحا

وجَرْحَى السَّوْطِ لا جَرْحَى المواضى ... بما عمل الجواسيسُ اجتراحا

صباحُك كان إقبالاً وسعدًا ... فيا يومَ الرِّسالةِ ، عِمْ صَباحا

وما تألوا نهارَكَ ذكرياتٍ ... ولا برهانَ عِزَّتِك التِماحا

تكاد حِلاك فى صفحات مصرٍ ... بها التاريخُ يُفتتح افتتاحا

جلالُك عن سَنا الأَضحى تَجلَّى ... ونُورُك عن هلالِ الفطر لاحا

هما حقٌّ ، وأنت مُلِئْتَ حقًّا ... ومَثَّلْتَ الضحيَّةَ والسَّماحا

بَعثْنا فيك « هاروناً وموسى » ... إلى « فرعونَ » فابْتَدَآ الكفاحا(١)

وكان أعزَّ مِن رُوما سيوفاً ... وأطغَى من قياصرِها رماحا

يكاد من الفتوح وما سَقَتْهُ ... يَخالُ وراءَ هيكلِه « فِتاحا »

* * *

ورُدَّ المسلمون فقيل : خابوا ... فيالَكِ خيبةً عادت نجاحا !

أثارت وادِيا من غايَتَيْه ... ولامَتْ(٢) فُرْقةً وأَسَتْ جِراحا

وشَدَّتْ مِن قُوَى قَومٍ مِراضٍ ... عزائمهم فردَّتْها صِحاحا

كأَن بِلالَ نُودِيَ : قُمْ فأَذِّنْ ... فرَجَّ شِعابَ مكةَ والبِطاحا

كأَن الناس فى دينٍ جديدٍ ... على جنباته استبَقوا الصلاحا

وقد هانت حياتُهمُ عليهم ... وكانوا بالحياةِ هُمُ الشِّحاحا

فتسمع فى مآتمهم غِناءً ... وتسمع فى ولائمهم نُواحا

---

(١) يشير الى مقابلة سعد زغلول وصاحبيه لممثل بريطانيا فى مصر فى نوفمبر من سنة ١٩١٨ ليطالبوا باستقلال البلاد .
(٢) لامت : لأمت .

حَوارِيِّينَ أو فَدْنا ثِقاتٍ . إذا تُرِكَ البلاغُ لهم ، فصاحا
فكانوا الحقَّ منقبضًا حَيِيًّا تحدَّى السيفَ مُنصلِتا وَقاحا
لهم مِنَّا براءةُ أهلِ بدرٍ فلا إثماً نَعُدُّ ولا جُناحا
ترىٰ الشَّحناءَ بينهمو عِتاباً وتحسب جِدَّهم فيها مُزاحا
جعلنا الخلدَ منزلَهم ، وزدنا على الخلدِ الثناءَ والامتداحا

* * *

يمينًا بالتى يُسْعَى إليها غُدُوًّا بالندامة ، أو رَوَاحا
وتَعبَقُ فى أنوف الحجِّ رُكنًا وتحتَ جِباهِهم رَحْباً ، وساحا
وبالدستور . وهْوَ لنا حياةٌ نرى فيه السلامةَ والفلاحا
أخذناه على المُهَجِ الغوالى ولم نأخذه نَيلاً مُستباحا
بنينا فيه من دمعٍ رِواقاً ومن دمِ كلِّ نابتةٍ جناحا ...
... لما ملأَ الشبابَ كروحِ سعدٍ ولا جعل الحياةَ لهم طِمَاحا
سَلوا عنه القضيةَ ، هل حَماها وكان حِمى القضيةِ مُستباحا؟
وهل نظمَ الكهولَ الصِّيدَ صَفًّا وألَّف من تجارِبِهم رَداحا ؟
هو الشيخُ الفتِيُّ ، لواستراحت من الدأَبِ الكواكبُ ما استراحا
وليس بذائقٍ النومِ اغتباقاً إذا دار الرقادُ ، ولا اصطِباحا
فيالَكَ ضَيْغَمًا سهِر الليالى وناضل دونَ غايتِه ، ولاحَى
ولا حَطَمَتْ لك الأيامُ ناباً ولا غَضَّت لك الدنيا صِياحا

مَعَالِى الْعَهْد

« نظمها فى ميلاد الامير السابق محمد عبد المنعم

مَعالِي العهدِ قُمْتَ بها فَطيما وكانَ إليكَ مرجِعُها قديما
تنقَّلُ من يدٍ ليدٍ كريما كرُوحِ الله إذ خلفَ « الكَليما »(١)

* * *

تَنَحَّى لابنِ مريمَ حينَ جاءَ وخلَّى النَّجْمُ لِلقَمَرِ الفَضاءَ
ضِياءٌ لِلعيون تَلا ضِياءً يَفيضُ مَيامِنًا ، وهُدًى عَمِيا

* * *

كذا أنتم بَنِى البيتِ الكريمِ وهل مُتَجَزِّئٌ ضوءُ النُّجوم ؟
وأينَ الشُّهْبُ من شرفٍ صَميمٍ تألَّقَ عِقدُهُ بِكُمُو نَظيما ؟

* * *

أرى مُستقبَلاً يَبدو عُجَابا وعُنواناً يُكِنُّ لنا كتابا
وكان « محمدٌ » أملاً شِهابا وكان اليأْسُ شيطاناً رَجيما

* * *

وأشرقتِ (الهياكِلُ) والمبانى كما كانت وأزينَ فى الزمانِ

(١) روح الله : عيسى ، والكليم : موسى ، عليهما السلام .

وأصبحَ ما تُكِنُّ من المعانى على الآفاق مَسطورًا رَقيما

* * *

سألتُ ، فقيل لى: وضَعَتْهُ طِفلا وهذا عِيدُهُ فى مِصْرَ يُجْلَى
فقلت : كذٰلِكم آنَسْتُ قَبْلا وكان اللهُ بالنجوَى عليما

* * *

(بمُنْتَزَهِ) الإمارةِ هلَّ فجرَا هلالاً فى منازِلِه - أَغرَّا
فباتت مِصرُ حولَ المهدِ (ثَغْرَا) وباتَ الثَّغرُ للدنيا نديما

* * *

لِجيلِكَ فى غدٍ جيلِ المعالى وشَعْبِ المجدِ والهِمَمِ العوالى . .
. . . أزُفُّ نوابغَ الكَلِمِ الغَوالى وأُهدِى حكمتى الشَّعْبَ الحكيما

* * *

إذا أقبلتَ يا زمن البنينا وشَبُّوا فيك واجتازوا السنينا
فدُرْ مِنْ بَعدِنا لهُمُو يَمينا وكن لوُرودِك الماءَ الحميما

* * *

ويا جيلَ الأميرِ ، إذا نَشَأْتا وشاءَ الجَدُّ أن تُعطَى ، وشِئتا
فخذْ سُبُلاً إلى العلياء شَتَّى وخَلِّ دَليلَكَ الدينَ القويما

* * *

وضِنَّ به ؛ فإن الخير فيه وخُذْهُ من الكتابِ وما يَليهِ
ولا تأخُذْهُ من شَفَتَىْ فقيهِ ولا تَهجُرْ مع الدينِ العُلوما

وثِقْ بالنَّفْسِ فى كلِّ الشّئونِ وكن مما اعتقدتَ على يَقينِ
كأنك من ضميرِك عند دِين فمن شَرفِ المَبادئ أن تُقيما

* * *

وإن تَرُم ِ المظاهرَ فى الحياةِ فرُمْها باجتهادِك والثباتِ
وخُذها بالمساعى باهراتٍ تُنافِسُ فى جلالتها النجوما

* * *

وإن تَخرُجْ لحربٍ أو سلام ِ فأقدِمْ قبلَ إقدام ِ الأنام
وكن كالليث : يَأْتى من أمام ِ فيَمْلأُ كلَّ ناطِقةٍ وُجُوما

* * *

وكنْ شَعْبَ الخصائصِ والمزايا ولا تَكُ ضائعًا بينَ البَرَايا
وكن كالنحلِ والدُّنيا الخلايا يمرُّ بها ، ولا يَمضِى عَقيما

* * *

ولا تطمحْ إلى طَلَبِ المُحالِ ولا تقنعْ إلى هجرِ المعالى
فإن أبطأنَ فاصبرْ غيرَ سالِ كصبرِ الأنبياء لها قديما

* * *

ولا تقبَلْ لغير اللهِ حُكما ولا تحمِل لغيرِ الدهرِ ظُلما
ولا تَرْضَ القليلَ الدُّونَ قِسْما إذا لم تَقدرِ الأمرَ المروما

* * *

ولا تيأسْ ، ولا تكُ بالضَّجُور ولا تثِقَنَّ من مَجرَى الأُمورِ

فليسَ مع الحوادثِ من قديرِ ولا أحدٌ بما تأتِى عليما

* * *

وفي الجُهّالِ لا تَضَعِ الرجاء كوَضعِ الشمْسِ فى الوَحَلِ الضِّياء
يَضيعُ شُعاعُها فيه هَباء وكان الجهلُ ممقوتاً ذَميما

* * *

بالِغ فى التدَبُّرِ والتَحرِّى ولا تَعجَلْ ، وثِق من كلِّ أمر
وكن كالأُسْدِ : عند الماء تجرِى وليست وُرَّدًا حتى تَحوما

* * *

وما الدنيا بمثوىً للعبادِ فكن ضَيْفَ الرِّعايةِ والوِدادِ
ولا تَستكثِرَنَّ من الأعادى فشَرُّ الناسِ أكثرُهم خُصوما

* * *

ولا تجعلْ تودُّدَكَ ابتِذَالا ولا تسمَحْ بحلمِك أن يُذالا
وكن ما بين ذاك وذاك حالا فلن تُرضِى العدُوَّ ولا الحميما

* * *

وصلِّ صلاةَ من يَرْجُو ويَخْشَى وقبلَ الصَّوْمِ صُمْ عن كلِّ فَحْشا
ولا تَحسب بأن الله يُرشَى وأنَّ مُزَكِّيًا أمِنَ الجحيما

* * *

لكلِّ جَنًى زكاةٌ فى الحياةِ ومعنى البِرِّ فى لفظِ الزكاة
وما لله فينا من جُباةٍ ولا هو لِامْرِىءٍ زكَّى غَرِيما

* * *

فإن تكُ عالمًا فاعمَلْ ، وفَطِّنْ   وإن تك حاكما فاعدِلْ ، وأحسِنْ
وإن تك صانعًا شيئًا فأتقِنْ   وكن للفرْضِ بعدئذٍ مُقيما

* * *

وصُنْ لغةً يَحِقُّ لها الصِّيانُ   فخيرُ مظاهِرِ الأُممِ البيَانُ
وكان الشعبُ ليس له لِسانُ   غريبًا فى مواطِنِهِ مَضِيما

* * *

ألم تَرَها تُنالُ بكل ضَيْرِ   وكان الخيرُ إذ كانت بخير ؟
أيَنطِقُ فى المَشَارِقِ كلُّ طيرِ   ويَبقى أهلُها رَخَمًا وبُوما ؟!

* * *

فعلِّمْها صغيرَك قبلَ كلٍّ   ودعْ دَعْوَى تَمَدُّنِهم وخَلِّ
فما بالعِيِّ فى الدنيا التَّحَلِّى   ولا خَرَسُ الفتى فضلاً عظيما

* * *

وخُذ لغةَ المُعاصِرِ ، فهْىَ دنيا   ولا تجعل لِسانَ الأَصلِ نسْيَا
كما نقلَ الغرابُ فضَلَّ مَشْيًا   وما بلغَ الجديدَ ، ولا القديما

* * *

لجيلِكَ يومَ نشأتِه مَقالى   فأمّا أنتَ يا نجلَ المعالى
فتنظرُ من أبيكَ إلى مِثال   يُحيِّرُ فى الكمالاتِ الفُهوما

* * *

نصائحُ ما أردتُ بها لأهدِىَ   ولا أبغى بها جَدْواكَ بَعْدى

ولكنّى أُحِبُّ النَّفْعَ جهدى ・ وكان النفعُ فى الدنيا لزوما

* * *

فإن أقْرِئتَ ـ يامولاىَ ـ شِعرى ・ فإن أباك يَعرِفُه ويَدْرِى
وجَدُّكَ كان شأْوِى حينَ أجرِى ・ فأصرَعُ فى سوابِقِها (تَميا)

* * *

بنونا أنتَ صُبْحُهُمُو الأَجَلُّ ・ وعهدُكَ عِصْمَةٌ لهمو وظِلٌّ
فلِمْ لا نَرْتَحيكَ لهم وكلٌّ ・ يعيشُ بأَنْ تعيش وأن تَدوما؟

رِسالَةُ النَّاشِئَة

« أهداها الى الامير السابق محمد عبد المنعم »

أَحمدُك اللهَ وأُطرِى الأَنبياءْ مَصْدَرَ الحِكمةِ طُرًّا والضياءْ
وله الشكرُ على نُعمَى الوجودْ وعلى ما نِلتُ من فضلٍ وَجَودْ

* * *

أُعْبُدِ اللهَ بعقلٍ يا بُنَىّ وبقلب من رجاء اللهِ حَىّ
أُرْجُه تُعْطَ مَقاليدَ الفَلَكْ وٱخشَهُ خشْيَةَ مَنْ فيه هَلَك
أُنظرِ المُلكَ ، وأَكبِرْ ما خَلق وتمتَّعْ فيه من خيرِ رَزَق
أنت فى الكون مَحلُّ التَّكرِمَهْ كلُّ شىءٍ لك عبدٌ أَو أَمَهْ
سُخِّرَ العالَمُ من أَرضٍ وماءْ لكَ ، والريحُ ، وما تحتَ السَّماءْ
أُذكرِ الآيةَ إذ أَنتَ جَنينْ لك فى الظلمةِ للنورِ حَنينْ
كلَّ يومٍ لك شأْنٌ فى الظُّلَمْ حار فيه كلُّ «بقراطٍ» عَلَمْ
كان فى جَنبِكَ شىءٌ من عَلَقْ حينَ مَسَّتْهُ يدُ اللهِ خَفَقْ
صار حِسًّا وحياةً بعدَ ما كان فى الأَضلاعِ لحمًا ودما
دقَّ كالناقُوسِ وَسْطَ الهَيْكل فى انتفاضٍ كانتفاضِ البُلبُل
قلْ لمن طَبَّبَ ، أَو مَنْ نَجَّمَا : صَنعَةُ اللهِ ، ولكن زِغْتُما

آمِنا باللهِ إيمانَ العَجُوزْ إن غيرَ اللهِ عقلاً لا يَجوزْ

أيُّها الطالبُ للعِلمِ استمعْ خيرَ ما فى طلب العلم جُمِعْ

هُوَ إن أُوتِيتَهُ أَسْنَى النِّعَمْ هل تَرى الجُهّالَ إلا كالنَّعَم ؟

أُطلبِ العلمَ لِذاتِ العِلم ، لا لظهورٍ باطلٍ بينَ المَلا

عندَ أهلِ العلمِ للعلم مَذاقْ فإذا فاتكَ هذا فافتراقْ

طلبُ المحرومِ للعلمِ سُدَى ليس للأعمى على الضوء هُدى

فإذا فاتَكَ توفيقُ العليمْ فامتنعْ عن كل تحصيل عَقيمِ ؛

واطلبِ الرزقَ هنا أو هٰهُنا كم مَعَ الجهل يَسارٌ وغِنَى !

كل ما علَّمَكَ الدهرُ اعلَمِ التجاريبُ علومُ الفَهِمِ

إنما الأيامُ والعيشُ كِتابْ كلَّ يومٍ فيه للعِبرةِ بابْ

إن رُزِقتَ العلمَ زِنْهُ بالبيانْ ما يُفيدُ العقلُ إن عَيَّ اللسانْ

كم عليمٍ سَقطَ العِيُّ به مُظلِمٌ لا تَهتَدِى فى كُتْبهِ

وأديبٍ فاتَهُ العلمُ فما جاءَ بالحكمةِ فيما نَظَما

إن للعلمِ جميعًا فلسفهْ مَنْ تَغِبْ عنه تَفُتْهُ المعرفه

اقرإ التاريخَ إذْ فيه العِبَرْ ضاعَ قومٌ ليس يَدرون الخبر

كن إلى الموتِ على حُبِّ الوطنْ منْ يَخُنْ أوطانه يومًا يُخَنْ

وطنُ المرء حِماهُ المفتدَى يذكرُ المِنَّةَ منه واليَدَا

قد عرفتَ الدارَ والأهلَ به كلُّ حُبٍّ شُعْبةٌ من حُبِّهِ

هو محبوبُك بادٍ محتجِبْ يعرفُ الشوقَ له مَنْ يَغتَرِبْ

لك منه فى الصِّبا مَهدٌ رحيمْ فإذا وُوريتَ فالقبرُ الكريمْ

كم عزيزٍ عندَكَ استودَعْتَهُ ... وعهودٍ بعدَكَ استرْعَيْتَهُ

ودَفينٍ لك فيه كَرُما ... تَذرِفُ الدمعَ لذِكْراهُ دَما

كن نشيطًا عاملاً جمَّ الأَملْ ... إنما الصحةُ والرزقُ العملْ

كلُّ ما أتقنتَ محبوبٌ وَجيهْ ... مُتقَنُ الأَعمالِ سِرُّ اللهِ فيه

يُقبِلُ الناسُ على الشىءِ الحسَنْ ... كلُّ شىءٍ بجزاءٍ وثمنْ

اُنظُرِ الآثارَ ، ما أَزْيَنَها ! ... قد حباها الخلدَ مَنْ أتقنَها

تلك آثارُ بنى مِصرَ الأُوَلْ ... أتقَنُوا الصنعةَ حتى فى الجُعَلْ

أَيُّها التاجرُ ، بُلِّغتَ الأَرَبْ ... طالعُ التاجرِ فى حُسن الأَدب

بابُ حانوتِكَ بابُ الرازِقِ ... لا تُفارقْ بابَهُ ، أَو فارقِ

واحترِم فى بابِه مَنْ دَخَلا ... كلُّهم منه رسولٌ وصلا

تاجرُ القومِ صَدوقٌ وأَمينْ ... لفظةٌ مِنْ فيه للقوم يَمينْ

إن للإقدامِ ناساً كالأُسُدْ ... فتَشبَّهْ ؛ إنّ مَنْ يُقْدِمْ يَسُدْ

مِنهمو كلُّ فتًى سادَ وشادْ ... منهمو «إسكندرٌ» و«ابنُ زياد»

وشجاعُ النفسِ منهم فى الكروبْ ... كشجاع القلبِ فى وقتِ الحروبْ

وَابنُ «سُقراطُ» والشُّجْعانُ طَلّ ... إنما مَن يَنْصُرُ الحقَّ البَطَلْ

هُم جَمالُ الدهر حينًا بعد حين ... من غُزاة أَو دُعاة مصلحينْ

لهُمُ من هَيْبَةٍ عندَ الأُممْ ... ما لِراعى غَنَمٍ عندَ الغَنَمْ

قل إذا خاطبتَ غيرَ المسلمينْ : ... لكمو دِينٌ رضِيتُم وَلِىَ دِينْ

خلِّ للدَّيّانِ فيهم شأنَهُ ... إنه أَولى بهم سبحانَه !

كلُّ حالٍ صائرٌ يوماً لضِدّ ... فدَعِ الأَقدارَ تجرى واسْتعِدّ

فلكٌ بالسَّعْدِ والنَّحْسِ يدُورْ لا تُعارِضْ أبدًا مَجرَى الأُمورْ
قلْ إذا شئتَ : صُرُوفٌ وغِيَرْ ! وإذا شئتَ : قضاءٌ وقدَرْ !
واعمَلِ الخيرَ ، فإن عِشْتَ لَقِى طيِّبَ الحمد ، وإن مِتَّ بَقِى
مَنْ يَمُتْ عن مِنَّةٍ عندَ يتيمْ فرحيمٌ سوف يُجزَى من رَحيمْ
كن كريماً إن رأى جُرْحًا أسا وتَعَهَّدْ وتولَّ البُؤسَا
وأسخُ فى الشدّةِ وأزْدَدْ فى الرَّخاءْ كلُّ خُلْقٍ فاضلٍ دونَ السَّخاءْ
فبه كلُّ بلاءٍ يُدْفعُ لستَ تدْرى فى غَدٍ ما يَقعُ
جامِلِ الناسَ تَحزْ رِقَّ الجميعْ رُبَّ قيْدٍ من جميلٍ وَصَنيعْ
عامِلِ الكلَّ بإحسانٍ تُحَبّ فقديماً جَمَّلَ المرءَ الأدبْ
وتَجنَّبْ كلَّ خُلْقٍ لم يَرُقْ إن ضيقَ الرِّزقِ من ضيقِ الخُلُقْ
وتواضَعْ فى ارْتفاعٍ تُعتبَرْ فهما ضِدَّان كِبْرٌ وكبَرْ
كلُّ حَىٍّ ما خلا اللهَ يموتْ فاترُكِ الكبرَ له والجَبَرُوتْ
وأرِحْ جَنْبَكَ من داءِ الحسَدْ كم حسودٍ قد توَفَّاهُ الكَمَدْ
وإذا أُغضِبْتَ فاغضَبْ لعَظيمْ شَرَفٍ قد مُسَّ ، أوعِرْضٍ كريمْ
وتَجنَّبْ فى الصغيراتِ الغضبْ إنه كالنارِ والرُّشْدُ الحَطبْ
اُطلبِ الحقَّ برِفْقٍ تُحْمَدِ طالِبُ الحقِّ بعُنْفٍ مُعتدِ
واعْصِ فى أكثرِ ما تأْتى الهوَى كم مُطيعٍ لِهَوَى النفْسِ هَوَى
اُذكرِ الموتَ ولا تفزعْ فمن يَحقِرِ الموت يَنلْ رِقَّ الزمَنْ
أحببِ الطفلَ وإن لم يَكُ لكْ إنما الطفلُ على الأرضِ مَلَكْ
هو لُطْفُ اللهِ لو تعلمُه رَحِمَ اللهُ امرءًا يَرْحَمُه

عَطْفَةٌ منه على لُعْبَتِهِ　　تُخرِجُ المخزونَ من كُرْبَتِهِ

وحديثٌ ساعةَ الضِّيقِ مَعَهْ　　يَملأُ العيشَ نعِيمًا وسَعَهْ

يامُدِيمَ الصومِ فى الشهرِ الكريمْ　　صُمْ عن الغِيبةِ يوماً والنَّمِيمْ

وإذا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ　　كم مُصَلٍّ ضَجَّ منه المسجدُ !

واجعلِ الحجَّ إلى «أُمِّ القُرَى»　　غِبَّ حَجٍّ لِبُيُوتِ الفُقَرا

هكذا «طٰه» ومَن كان معَهْ　　مِن وَقارِ اللهِ ألَّا تَخْدَعَهْ

وتَسمَّحْ وتَوسَّعْ فى الزكاهْ　　إنها محبوبةٌ عند الإلٰهْ

فرَضَ البِرَّ بها فرْضَ حَكيِم　　فإذا ما زِدْتَ فاللهُ كريم

ليس لى فى طِبِّ «جالينوسَ» باعْ　　بَيْدَ أنَّ العَيْشَ درسٌ واطِّلاعْ

احذَرِ التُّخْمَةَ إن كنتَ فَهِمْ　　إن «عزرائيلَ» فى حَلْقِ النَّهِم

واتَّقِ البردَ ؛ فكم خَلْقٍ قَتَل　　مَن تَوَقَّاهُ اتَّقَى نِصفَ العِلل

اتخذْ سُكناك فى طَلْقِ الجوَاءْ　　بينَ شمسٍ ، ونباتٍ ، وهَواءْ

خَيْمَةٌ فى البِيدِ خيرٌ من قصورْ　　تَبْخلُ الشمسُ عليها بالمرورْ

فى غدٍ تأْوِى إلى قفْرٍ حالكْ　　يَستَوى الصُّعلوكُ فيه والمَلِكْ

واترُكِ الخمرَ لِمشغوفٍ بها　　لا يَرَى مَندوحةً عن شُرْبِها

لا تُنادِمْ غيرَ مأْمونٍ كريمْ　　إن عقلَ البعضِ فى كفِّ النديمْ

وعن الميسِرِ ما اسْطَعْتَ ابتعِدْ　　فهْوَ سلُّ المالِ بل سلُّ الكَبِدْ

وتَعشَّقْ ، وتَعفَّفْ ، واتَّقِ　　ما دَرَى اللذةَ من لم يَعشق !

حَجُّ الأَمِير

« أرسل الابيــــات الآتية فى برقية الى شريف مــــكة سنة حج الخديو عباس »

دامت معاليك فينا يابن فاطمةٍ ... ودام منكم لأُفْقِ البيتِ نِبراسُ

قل للخديوِ إذا وافيتَ سُدَّتَه ... تمشى إليه ويمشى خلفَكَ الناس

حَجُّ الأَميرِ له الدنيا قد ابتَهَجَتْ ... والعَوْدُ والعيدُ أَفراحٌ وأَعراس

فلتَحْيَ ملَّتُنا ! فلتَحْيَ أُمَّتُنا ! ... فليحى سُلطانُنا ! فليحى عباس !

إسْمَاعِيل

« وقال وقد أشرف فى مدينة نابلى على الدار التى كان يقيم فيها الخديو اسماعيل :

أَبكيكَ إسماعيلَ مِصرَ ، وفى البُكا · بعدَ التَّذُكُّرِ راحةُ المسْتَعبِرِ

ومِن القيامِ ببعضِ حقِّك أننى · أَرْثى لِعِزِّكَ والنعيمِ المدبِرِ

هذى بُيوتُ الرُّومِ ، كيف سَكنتَها · بعد القصورِ المُزْرِياتِ بقيْصَر ؟

ومِن العجائبِ أن نفسَك أَقصَرَتْ · والدهرُ فى إحراجها لم يُقصِرِ

ما زالَ يُخلى مِنكَ كلَّ مَحِلَّةٍ · حتى دُفِعْتَ إلى المكانِ الأَقفَرِ

نظرَ الزمانِ إلى ديارِكَ كلِّها · نظرَ (الرشيدِ) إلى منازلِ (جعفر)(١)

---

(١) جعفر البرمكى ، ونكبة البرامكة مشهورة فى تاريخ الرشيد .

حَرِيقُ ميتْ غَمْرْ (*)

اللهُ يحكمُ في المدائنِ والقُرى ... يا (ميتَ غَمْرَ) خُذِي القضاءَ كما جرى

ما جَلَّ خَطْبٌ ثم قِيسَ بغيْرِه ... إلا وهوَّنه القِياسُ وصَغَّرَا

فسَلِي (عمورَةَ) أو (سدُون) تأَسِّيًا ... أو (مرْتنيقَ) غداةَ وُورِيَتِ الثرى

مُدنٌ لقِينَ من القضاءِ ونارِه ... شَررًا بجَنبِ نَصيبِها مُستَصْغَرا

هٰذِي طُلولُكِ أنفُسًا وحِجَارةً ... هل كنتِ رُكنًا من جَهَنَّمَ مُسْعَرا؟!

قد جئتُ أبكيها وآخذُ عِبرةً ... فوقفتُ مُعْتَبِرًا بها مُستعبِرا

أَجِدُ الحياةَ حياةَ دهرٍ ساعةً ... وأرى النعيمَ نعيمَ عُمْرٍ مُقْصِرا

وأَعُدُّ من حَزْمِ الأُمورِ وعزمِها ... للنفس أن ترضَى ، وألَّا تَضْجَرا

ما زلتُ أسمعُ بالشَّقاءِ رِوايةً ... حتى رأيتُ بكِ الشَّقاءَ مُصوَّرا

فعل الزمانُ بشمْلِ أهلِكِ فِعْلَهُ ... ببنِي أُمَيَّةَ ، أو قَرابةِ جَعْفَرا

بالأمسِ قد سكنوا الديارَ ، فأصبحوا ... لا يُنظَرون ، ولا مساكنُهم تُرَى

فإذا لقِيتَ لقيتَ حيًّا بائسًا ... وإذا رأيتَ رأيتَ مَيْتًا مُنْكَرا

والأُمهاتُ بغير صبرٍ : هذه ... تبكى الصغيرَ ، وتلك تبكى الأصغرا!

من كلِّ مُودِعَةِ الطُّلولِ دموعَها ... من أجْلِ طفلٍ في الطلولِ استأخرا

(*) سنة ١٩٠٥ ، نشرت بمجلة المجلات العربية .

كانت تُؤمِّل أن تطولَ حياتُه　　واليومَ تسأَلُ أن يعودَ فيُقبَرا

* * *

طلعتْ عليكِ النارُ طلعةَ شُؤْمِها　　فمحتْكِ آساساً ، وغيَّرتِ الذُّرا

مَلَكَتْ جِهاتِكِ ليلةً ونهارَها　　حمراءَ يبدو الموتُ منها أحمرا

لا تَرْهَبُ الطوفانَ فى طُغيانِها　　لو قابَلَتْه ، ولا تهابُ الأبْحُرا

لو أنّ (نيرون) الجمادَ فؤادُه　　يُدْعَى لِيَنْظُرَها لعَافَ المنظرا

أو أنه ابتُلِيَ (الخليلُ) بمِثْلِها　　– أستغفِرُ الرحمنَ – ولَّى مُدْبِرا

أو أن سَيْلاً عاصمٌ من شرِّها　　عَصَمَ الديارَ من المدامِعِ ما جَرَى

أمْسَى بها كلُّ البيوتِ مُبَوَّباً　　ومُطَنَّبًا ، ومُسَيَّجًا ، ومُسَوَّرا

أسَرَتْهُمُو ، وتَمَلَّكَتْ طُرُقاتِهم　　مَنْ فرَّ لم يجدِ الطريقَ مُيَسَّرا

خَفَّتْ عليهم يَومَ ذلك مَوْرِدًا　　وأضلَّهُمْ قدَرٌ ، فضَلُّوا المَصْدَرا

حيثُ التَفَتَّ ترى الطريقَ كأنّها　　ساحاتُ حاتِمَ غِبَّ نِيرانِ القِرى

وترى الدعائمَ فى السوادِ كهيكلٍ　　خمدَتْ به نارُ المجوسِ ، وأقْفَرا

وتَشَمُّ رائحةَ الرُّفاتِ كريهةً　　وتشمُّ منها الثاكلاتُ العَنْبَرا

كثُرَتْ عليها الطيرُ فى حَوْماتِها　　ياطيرُ ، «كلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرا»

هل تأْمَنين طوارقَ الأحداثِ أن　　تغشَى عليكِ الوَكْرَ فى سِنةِ الكَرَى

والناسُ مِنْ دانِى القُرى وبعيدِها　　تأْتى لتمشِيَ فى الطُّلولِ وتَخْبُرا

يتساءلون عن الحريقِ وهَوْلِه　　وأرى الفرائسَ بالتساؤلِ أجْدَرا

* * *

ياربِّ ، قد خَمَدَتْ ، وليس سِواكَ مَنْ　　يُطفِى القلوبَ المُشْعَلاتِ تَحسُّرا

فتحوا اكتتاباً للإعانة فاكتتِبْ بالصبرِ ، فهْوَ بمالِهم لا يُشترَى
إن لم تكن للبائسين فمَنْ لهم ؟ أو لم تكن للاجئين فمَنْ ترى ؟!
فتولَّ جَمْعًا فى اليَبَابِ مُشتّتًا وارحم رَميا فى التراب مُبعثَرا
فعَلَتْ بمصرَ النارُ ما لم تأتِهِ آياتُكَ السبعُ القديمةُ فى الوَرَى
أوَ ما تراها فى البلاد كقاهرٍ فى كلِّ ناحية يُسيِّر عَسْكرا ؟!
فادفعْ قضاءك ، أو فصيِّرْ نارَه بَرْدًا ، وخُذ باللُّطْفِ فيما قُدِّرا
مُدُّوا الأكفَّ سَخِيَّةً ، واستغفِرى يا أُمَّةً قد آن أن تَستغفرا
أوْلى بعطفِ الموسِرِين وبِرِّهم مَنْ كان مِثلَهُمو فأصبح مُعْسِرا
يا أيُّها السُّجَناءُ فى أموالِهم أأمِنْتُمُو الأيامَ أن تتغيَّرا ؟
لا يملكُ الإنسانُ من أحوالِه ما تملكُ الأقدارُ ، مهما قَدَّرا
لا يُبْطِرنَّكَ من حرير مَوْطِىءٌ فلرُبَّ ماشٍ فى الحريرِ تَعثَّرَا
وإذا الزمانُ تنكَّرَتْ أحداثُه لأخيكَ ، فاذكرْه عشى أن تُذكرا

خُطْبَةُ غَلْيُوم

« وخطب غليوم عاهل المانيا خطبة فى سنة ١٩٠٦ كان لها وقع عظيم ، وأحدثت أزمة أوشكت أن تنتهى الى حرب أوروبية طاحنة ، فقال : »

يارَبِّ ، ماحكمُكَ ؟ ماذا ترَى ... فى ذلك الحُلمِ العريضِ الطويلْ؟

قد قام غليومُ خطيبًا ، فما ... أعطاكَ من مُلْكِكَ إلا القليل!

شَيَّد فى جنبِكَ مُلكًا له ... مُلكُكَ إن قِيسَ إليهِ الضَّئيل

قد وَرَّثَ العالَم حيًّا ، فما ... غادَرَ من فجٍّ ، ولا من سبيل

فالنصفُ للجرْمانِ فى زَعمِه ... والنصفُ للرومان فيما يقول

يارَبِّ ، قلْ : سيفُكَ أم سَيْفُه ؟ ... أيُّهما – يارَبِّ – ماضٍ ثقيل؟ !

إن صَدَقتْ – يارَبِّ – أحلامُه ... فإنَّ خطْبَ المسلمين الجليل

لا نحنُ جِرمانٌ لنا حِصَّةٌ ... ولا بِرومانَ فنُعْطَى فَتيل

يارَبِّ ، لا تنسَ رعاياك فى ... يومِ رعاياك الفريقُ الذليل

جنايةُ الجهلِ على أهلِه ... قديمةٌ ، والجهلُ بئسَ الدليل

يا ليتَ لم نَمدُدْ بِشرٍّ يَدًا ... وليتَ ظلَّ السلمِ باقٍ ظليل !

جَنَى علينا عُصْبَةٌ جازَفوا ... فَحسْبُنا اللهُ ، ونِعْمَ الوكيل !

نَادى الْمُوسِيقى الشَّرْقِى

« وقال يخاطب الملك فؤاد الأول فى حفلة افتتاح نادى الموسيقى الشرقى سنة ١٩٢٩ »

خَطَّتْ يداكَ الرَّوْضَةَ الغَنَّاءَ ... وفرغْتَ من صَرْحِ الفنونِ بِناءَ
مازلتَ تَذهبُ فى السُّمُوِّ بِركنِهِ ... حتى تجاوزَ رُكنُهُ الجَوْزاءَ
دارٌ من الفنِّ الجميلِ تقسَّمَتْ ... للساهرين روايةً ورُواءَ
كالروْضِ تحتَ الطيرِ أَعجبَ أَيْكُه ... لَحْظَ العيونِ ، وأَعجبَ الإِصغاءَ
ولقد نَزَلْتَ بها ، فلم نَرَ قبلَها ... فَلَكًا جلا شمسَ النهارِ عِشاءَ
وتوهَّجَتْ حتى تقلَّب فى السَّنا ... (وادى الملوكِ) حجارةً وفضاءَ
فتلفَّتُوا يتهامسون : لعلَّهُ ... فجرُ الحضارةِ فى البلاد أَضاءَ
تلك المعازِفُ فى طُلولِ بنائهم ... أَكثرْنَ نحوَ بنائكَ الإِيماء
وتمايَلتْ عيدانُهُنَّ تحيَّةً ... وترنَّمَتْ أَوتارُهُنَّ ثناء

* * *

ياباني الإِيوانِ ، قد نسَّقتَهُ ... وَحَذَوْتَ فى هِنْدامها (الحمراء)(١)
أَينَ (الغريضُ) يحِلُّه أَو (مَعْبَدٌ)(٢) ... يَتَبوَّأُ الحُجراتِ والأَبهاءَ ؟

---

(١) من قصور بنى الأحمر فى غرناطة بالأندلس : (الهمبرا) .
(٢) الغريض ؛ ومعبد : من أمراء الغناء العربى .

العبقِريّةُ من ضَنائنه التى   يَحبو بها – سُبْحانَه – مَنْ شاء

لما بنيتَ الأَيْكَ واستَوْهَبْتَهُ   بَعثَ الهَزارَ ، وأرسَلَ الوَرْقاء

فسمعتَ من مُتَفَرِّدِ الأَنغامِ ما   فاتَ (الرشيدَ) ، ،أخطأَ النُّدَمَاء

والفنُّ ريحانُ الملوكِ ، ورُبّما   خَلَدُوا على جَنباتِهِ أَسماء

لولا أياديه على أبنائنا   لم نُلْفَ أَمْجَدَ أُمَّة آباء

كانت أوائلُ كلِّ قومٍ فى العُلا   أرضاً ، وكُنّا فى الفَخارِ سماء

لولا ابتسامُ الفنِّ فيما حَوْلَهُ   ظَلَّ الوجودُ جَهامةً وَجَفاء

جرِّدْ من الفنِّ الحياةَ وما حَوَتْ   تَجِدِ الحياةَ من الجمالِ خَلاء

بالفنِّ عالجتِ الحياةَ طبيعةٌ   قد عالجتْ بالواحةِ الصحراء

تأوِى إليها الروحُ من رَمْضائِها   فتُصيب ظِلاً ، أو تُصادِفُ ماء

نبضُ الحضارةِ فى الممالكِ كلِّها   يَجرى السلامةَ أو يدقّ الدّاء

إن صحَّ فهْىَ على الزمان صَحيحةٌ   أو زافَ كانت ظاهرًا وطِلاء

* * *

انظرْ–أبا الفاروقِ–غَرْسَكَ ،هل ترى   بالغرْسِ إلا نعمَةً ونَماء ؟

مِنْ حَبّةٍ ذُخِرَتْ ، وأيدٍ ثابَرَتْ   جاء الزمانُ بجَنّةٍ فَيْحاء

وأكنَّتِ الفنَّ الجميلَ خَميلةٌ   رَمَتِ الظِّلالَ ، ومَدَّتِ الأَفياء

بذَلَ الجهودَ الصالحاتِ عصابةٌ   لا يَسأَلون عن الجهود جَزاء

صحِبوا رسولَ الفنِّ لا يأْلونَه   حُبًّا ، وصدقَ مودّةٍ ، ووَفاء

دَفعوا العوائقَ بالثبات ، وجاوزوا   ما سرَّ من قدَر الأُمور وساء

إن التعاوُنَ قوّةٌ عُلْوِيّةٌ   تبني الرجالَ ، وتُبدِع الأَشياء

فلْيَهْنِهِمْ ؛ حاز الْتِفاتك سَعْيُهم وكسا نديَّهُمُو سَنًا وسَناء

لم تبْدُ للأبصار إلا غارساً لِخوالِفِ الأجيالِ أو بَنَّاء

تغدو على الفترَاتِ تَرتَجِلُ النَّدَى وتروحُ تصطنِعُ اليَدَ البيضاء

فى مَوكِبٍ كالغيْثِ سار ركابُه بِشْرًا ، وحَلَّ سعادةً ورخاء

أنت اللِّواءُ التف قومُك حَوْله والتاجُ يجعله الشعوبُ لِواء

مِنْ كلِّ مِئْذَنةٍ سَمِعْتَ مَحَبَّةً وبكلِّ ناقوسٍ لقيتَ دُعاء

يتألَّفان على الهُتافِ ، كما انبرَى وَترٌ يُسايِر فى البَنان غِناء

فى دَار الأُوبرَا (*)

« هذه القصيدة لم يتبين لى – على وجه اليقين – سبب انشادها ، واحسبه نظمها لمناسبة احتفال فى دار الاوبرا اقامته جمعية من جمعيات البر بأبناء السبيل »

حَبَّذا السَّاحةُ والظلُّ الظليلْ   وثناءٌ فى فَمِ الدارِ جميلْ

لم تَزَلْ تجْرى به تحت الثَّرى   لُجَّةُ المعروفِ والنَّيْلِ الجزيل

صُنعُ إسماعيلَ ، جلَّتْ يدُه   كلُّ بُنيانٍ على البانى دليل

أَتُراها سُدَّةٌ من بابه   فُتِحَتْ للخيرِ جيلًا بعدَ جيل ؟

مَلعبُ الأَيَّامِ ، إلَّا أنَّه   ليس حظُّ الجِدِّ منه بالقليل

شهد الناسُ بها « عائدةً »   وشجَى الأَجيالَ من « فِرْدِى » الهديل

وائتَنفنا في ذَراها دُولةً   ركنُها السُّؤدَدُ والمجدُ الأثيل

أينعتْ عصرًا طويلًا ، وأتَى   دون أن تُستأْنفَ العصرُ الطويل

كم ضَفرْنا الغارَ فى مِحرابها   وعقدناه لسبّاقٍ أَصيل

كم بدورٍ وُدِّعَتْ يومَ النَّوَى   وشموسٍ شُيِّعَتْ يومَ الرحيل

رُبَّ عُرسٍ مَرَّ للبِرِّ بها   ماج بالخيْرِ والسَّمْحِ المُنيل

ضحِك الأَيتامُ فى ليلته   ومشى يستروِحُ البُرْءَ العليل

(*) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

والتقى البائسُ والنُّعْمَى به وسعى المأْوَى لأَبناء السبيل
ومن الأَرض جَدِيبٌ ونَدٍ ومن الدُّور جَوادٌ وبخيل

* * *

يا شباباً حُنفاءَ ضمهمْ منزلٌ ليس بمذموم النزيلْ
يصرِفُ الشبان عن وِرْدِ القَذَى ويُنحِّيهمْ عن المَرْعَى الوَبيل
اذهبوا فيه وجِيئوا إخوةً بعضُكم خِدنٌ لبعضٍ وخليل
لا يَضُرَّنْكمو قِلَّته كلُّ مولودٍ وإن جلَّ ضئيل
أرجفتْ فى أمركم طائفةٌ تُبَّعُ الظنِّ عن الإنصاف مِيل
اجعلوا الصبرَ لهم حِيلَتكم قلَّتِ الحيلةُ فى قالَ وقيل
أيريدون بكم أن تجمعوا رِقَّةَ الدين إلى الخُلْقِ الهزيل ؟!
خَلَتِ الأَرضُ من الهَدْيِ ، ومن مُرشدٍ للنَّشْءِ بالهَدْيِ كَفيل
فترى الأُسرةَ فَوْضَى ، وترى نَشَأً عن سُنَّةِ البِرِّ يَميل
لا تكونوا السَّيْلَ جَهْمًا خَشِنًا كلَّما عَبَّ ، وكونوا السلسبيل
رُبَّ عَينٍ سَمْحةٍ خاشعةٍ رَوَّت العُشْبَ ، ولم تنسَ النخيل
لا تُماروا الناسَ فيما اعتقدوا كلُّ نفسٍ بكتابٍ وسبيل
وإذا جئتم إلى ناديكمو فاطرحوا خلفكموا العِبْءَ الثقيل
هذه ليْلَتُكم فى « الأَوبِرا » ليلةُ القدرِ من الشهرِ النبيل
مهرَجانٌ طوَّف الهادى به ومشى بين يديْه جبْرَئيل
وتجلَّتْ أوجُهٌ زَيَّنها غُرَرٌ من لَمْحَةِ الخير تَسيل

فكأنّ الليلَ بالفجر انجلىَ   وكأنّ الدارَ فى ظلٍّ الأصيل

* * *

أيها الأجوادُ لا نجزيكمو   لَذّةُ الخيرِ مِنَ الخير بَديل

رجلُ الأُمّةِ يُرجَى عندَه   لجليل العَمَلِ العَوْنُ الجليل

إن دارا حُطْتُموها بالنّدَى   أخذتْ عهدَ النّدَى ألّا تَميل

مَصْرَعُ بُطْرُس غالِي باشا

« حينما قتل بطرس غالى باشا فى مصر برصاصة من يد ابراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ هاجت النفوس ، واستاء كثير من الاقباط ، لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطى ، فقال فى ذلك : »

بَنِى القِبْطِ إخوانَ الدُّهورِ ، رُوَيْدَكُم ... هَبوه (يسوعاً) فى البريّةِ ثانيا

حملتُم لحكمِ اللهِ صَلبَ (ابنِ مريمٍ) ... وهذا قضاءُ اللهِ قد غالَ (غاليا)

سديدُ المرامِى قد رماه مُسَدِّدٌ ... وداهيةُ السُّوّاسِ لاقى الدَّواهيا

ووَاللهِ ، إن لم يُطلِقِ النارَ مُطلِقٌ ... عليه ؛ لأَوْدَى فجأَةً ، أو تَداوِيا

قضاءٌ ، ومِقدارٌ ، وآجالُ أنفُسٍ ... إذا هى حانت لم تُؤخَّرْ ثوانيا

نَبيدُ كما بادت قبائلُ قبلَنا ... ويَبقَى الأنامُ اثْنَيْنِ : مَيْتًا ، وناعيا !

تعالَوْا عسى نَطوى الجفاءَ وعهدَهُ ... ونَنبِذُ أسبابَ الشِّقاقِ نَواحِيا

ألم تَكُ (مصرٌ) مهدَنا ثم لَحْدَنا ... وبينَهما كانت لكلٍّ مَغانيا ؟

ألم نكُ من قبلِ (المسيحِ ابنِ مريمٍ) ... و (موسَى) و (طَه) نعبُدُ النيلَ جاريا ؟

فهَلّا تساقَيْنا على حُبِّه الهَوَى ... وهلّا فدَيْناه ضِفافاً ووادِيا ؟

وما زال منكم أهلُ وُدٍّ ورحمةٍ ... وفى المسلمين الخيرُ ما زالَ باقيا

فلا يثنِكم عن ذِمَّةٍ قتلُ (بُطرُسٍ) ... فقِدْماً عرفنا القتلَ فى الناس فاشيا

تَحيَّةُ غَلْيُوم الثَّانى لِصَلاَح الدِّينِ فى القَبْرْ

عظيمُ الناسِ مَن يَبكى العِظاما ... ويَندُبُهم ولو كانوا عِظاما

وأكرَمُ من غمامٍ عندَ مَحْلٍ ... فتًى يُحيي بمدحتِهِ الكراما

وما عُذرُ المقصِّر عن جزاءٍ ... وما يَجزيهُمو إلى كلاما ؟!

فهل من مُبلغٍ غليومَ عنِّى ... مقالاً مُرْضِيًا ذاك المقاما ؟

رعاكَ اللهُ من مَلِكٍ هُمامٍ ... تعهَّدَ فى الثَّرَى مَلِكًا هُماما

أرى النِّسيانَ أظمأَه ، فلمَّا ... وقفْتَ بقبرِه كنتَ الغَماما

تُقرِّبُ عهدَه للناس حتى ... تركتَ الجليلَ فى التاريخِ عاما

أتدرى أىَّ سلطانٍ تُحيِّى ... وأىَّ مُملَّكٍ تُهدى السَّلاما ؟!

دَعَوْتَ أجَلَّ أهلِ الأَرضِ حَرْباً ... وأشرفَهم إذا سَكنوا سَلاما

وقفتَ به تُذَكِرُهُ مُلوكاً ... تَعَوَّدَ أن يُلاقوهُ قِياما !

وكم جَمَعَتْهُمو حربٌ ، فكانوا ... حدائِدَها ، وكان هو الحُساما

كِلامٌ للبريّةِ دامياتٌ ... وأنتَ اليومَ مَنْ ضَمَدَ الكِلاما

فلما قلتَ ما قد قلتَ عنه ... وأسمعتَ الممالكَ والأناما

تساءلَتِ البريّةُ وهْىَ كَلْمَى ... أحُبًّا كان ذاكَ أمِ انتقاما ؟

وأنتَ أجلُّ أن تُزرِى بِميْتٍ ... وأنتَ أبرُّ أن تُؤذِى عظاما

فلو كان الدوامُ نصيبَ مَلْكٍ ... لنال بحدِّ صارمِهِ الدواما

الْفَنَار (*)

سَمَا يُناغي الشُّهُبا   هل مَسَّها فالْتَهَبا؟

كالدَّيْدبانِ أَلزَمُو   هُ في البحار مَرْقَبا

شَيَّع منه مَرْكَبًا   وقام يَلقَى مركبا

بَشَّرَ بالدارِ وبالْ   أهلِ السُّراةَ الغُيَّبا

وخَطَّ بالنُّورِ على   لوحِ الظلام : مَرْحَبَا

كالبارق المُلِحِّ لم   يُوَلِّ إلا عَقَّبا

يارُبَّ ليلٍ لم تَذُقْ   فيه الرُّقادَ طَرَبا

بِتْنا نُراعيه كما   يَرعَى السُّراةُ الكوكبا

سعادةٌ يعرفها   في الناس من كان أبَا

مَشَى على الماء ، وجَا   بَ كالمسيح العَبَبا

وقام في موضعه   مُستشرِفاً مُنَقِّبا

يَرمِي إلى الظلام طَرْ   فاً حائرا مُذَبْذَبا

كمُبْصِرٍ أدارَ عَيْـ   ـنًا في الدُّجَى ، وقَلَّبَا

كبصر الأعشى أصا   به في الظلام . ونَبَا

وكالسراج في يَدِ الـ   ـريح ، أضاء ، وخَبَا

كلمحةٍ من خاطرٍ   ما جاء حتى ذَهبا

مُجتنِبُ العالَم في   عُزلته مُجْتَنَبا

(*) زيدت هذه في الطبعة الثانية .

إلا شراعاً ضلَّ ، أو فُلْكًا يُقاسى العَطَبا

حارس الفنار ودفين

وكان حارسُ الفَنا رِ رجُلاً . مُهذَّبا

يَهوَى الحياة ، ويُحبُّ العيشَ سهلًا طيِّبا

أتتْ عليه سَنَوا تُ مُبْعَدًا مُغْتَرِبا

لم يَرَ فيها زَوْجَهُ ولا ابنَه المحبَّبا

وكان قد رعَى الخطيبَ ، ووَعَى ما خَطَبَا

فقال : ياحارسُ ، خَلِّ السُّخْطَ والتَّعَتُّبا

من يُسعِفُ الناسَ إذا نُودِى كلٌّ فأبى ؟

ما الناسُ إخوَتى ولا آدمُ كان لى أبا

. . . .

أنظر إلىَّ ، كيف أقضِى لهُمُ ما وَجَبَا ؟

قد عشتُ فى خِدمتهم ولا تَرانى تَعِبا

كم من غريقٍ قمتُ عنـــدَ رأسِه مُطَبِّبا

وكان جسمًا هامدًا حرّكتُه فاضطربا

وكنتُ وطَّأْتُ له مَناكبى ، فرَكبا

حتى أتى الشطَّ ، فبَشَّ مَنْ بِه ورَحَّبا

وطارَدُونى ، فانقلَبْتُ خاسرًا مُخيَّبا

ما نلتُ منهم فِضةً ولا مُنِحْتُ ذهَبا

وما الجزاءُ؟ لا تَسَل كان الجزاءُ عجبا !

أَلقَوْا علىّ شَبَكا وقطَّعونى إِرَبا
واتخذ الصُّنَّاعُ من شَحمىَ زَيْتًا طيِّبا
ولم يَزَلْ إسعافُهم لِىَ الحياةَ مَذْهَبا
ولم يزل سَجيَّتى وعملى المُحبَّبا
إذا سمعتُ صرخةً طِرتُ إليها طَرَبا
لا أجِدُ المُسْعِفَ إلا مَلَكاً مُقرَّبا
والمُسْعِفون فى غدٍ يؤلفون مَوْكبا
يقول « رِضوانُ » لهم . هَيَّا أدخُلوها مرحبا
مُذنِبُكم قد غَفر اللهُ لهُ ما أذنبا

القَمَرُ عَلَى آفَاقِ كَلاَزُومِينَ لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِىِّ الأَسْنى

فدَيْناهُ من زائرٍ مُرْتقَبْ بدا للوُجودِ بمرأَى عَجَبْ

تَهُزُّ الجبالَ تَباشيرُهُ كما هَزَّ عِطفَ الطَّروبِ الطَّرَب

ويُحْلِي البحارَ بَلألائِه فمِنَّا الكئوسُ، ومنه الحبَب

منارُ الحُزونِ إذا ما اعتَلى منارُ السهولِ إذا ما انقلَب

أتانا من البَحْرِ فى زوْرَقٍ لُجَيْنًا مَجاذيفُهُ من ذهب

فقلنا: سُليمانُ لو لم يَمُتْ وفِرعوْنُ لو حَمَلَتْهُ الشُّهُب

وكِسرَى وما خَمدَتْ نارُه ويوسُفُ لو أنه لم يشِبْ

وهيهاتَ! ما تُوِّجُوا بالسَّنا ولا عرشُهم كان فوقَ السُّحُب

أَنافَ على الماءِ ما بينَها وبينَ الجبالِ وشُمِّ الهضب

فلا هو خافٍ، ولا ظاهرٌ ولا سافرٌ، لا، ولا مُنتقِب

وليس بِثَاوٍ، ولا راحلٍ ولا بالبعيدِ، ولا المقتَرِب

تَوارَى بِنصفٍ خلالَ السُّحُبْ ونصفٌ على جبلٍ لم يَغِب

يجدِّدُها آيةً قد خلت ويذكُرُ ميلادَ خيرِ العَرَب

أَثِينَــا (*)

« اوفدته الحـــكومة المصرية الى (أثينا) عاصـــمة اليونان لحضور مؤتمر المستشرقين ، فقال يخاطبها : »

إن تسألى عن مِصْرَ (حَوّاء) القُرى	وقَرارةِ التاريخِ والآثارِ
فالصُّبحُ فى (مَنْفٍ) و (ثيبة) واضحٌ	مَنْ ذا يُلاقى الصُّبحَ بالإنكار ؟
بالهَيْكلِ مِن (مَنْفٍ) ومن أَرباضِها	مَجْدُوعُ أنفٍ فى الرِّمالِ كُفَارِى(١)
خَلَتِ الدُّهُورُ وما التقَتْ أجفانُه	وأَتَتْ عليه كَلَيْلةٍ ونَهار
ما فَلَّ ساعِدَه الزمانُ ، ولم يَنَلْ	منه اختلافُ جَوارفٍ وذَوار
كالدَّهرِ لو مَلكَ القيامَ لِفَتْكةٍ	أو كان غيرَ مُقَلَّمِ الأَظفار
وثلاثةٍ شبَّ الزمانُ حيالها	شُمٌّ على مَرِّ الزَّمانِ ، كِبار(٢)
قامت على النيلِ العَهِيدِ عَهِيدةً	تكسوه ثوبَ الفَخْرِ وهْىَ عَوار
من كلِّ مركوزٍ كرَضْوَى فى الثَّرَى	متطاولٍ فى الجوِّ كالإعصار
الجنُّ فى جَنَباتها مَطروقةٌ	ببدائع البنَّاء والحفَّار
والأَرضُ أَضْيَعُ حِيلةً فى نَزْعِها	من حيلةِ المصلوبِ فى المِسمار
تلك القبورُ أَضَنُّ من غَيْب بما	أخفَتْ منَ الأَعلاق والأَذخار

(*) نشرت بمجلة رعمسيس سنة ١٩١٢ .

(١) الكفارى : العظيم الأذنين ، يشير الى تمثال ابى الهول .

(٢) يشير الى الأهرام .

نام المُلوك بها الدُّهورَ طويلةً ... يجِدون أروحَ ضَجْعَةٍ وقرارِ
كلٌّ كأهلِ الكهف فوقَ سَريرِه ... والدهرُ دونَ سَريرِه بهِجار
أملاكُ مصرَ القاهرون على الورَى ... المنزَلون منازلَ الأقمار
هَتَكَ الزمان حِجابَهم ، وأزالهم ... بعدَ الصِّيانِ إزالةَ الأسرار
هيهاتَ ! لم يَلمِسْ جلالَهُمُو البِلَى ... إلا بأَيدٍ فى الرَّغام قِصار
كانوا وطَرْفُ الدهر لا يسمُو لهم ... ما بالهمْ عُرِضُوا على النُّظَّار ؟
لو أمهلوا حتى النُّشورِ بِدُورِهم ... قاموا لخالقِهم بغير غُبار !

ذِكْرَى مُحَمَّد فَرِيد

« ألقيت فى الاحتفال بالذكرى الخامسة للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤ » :

نُجدِّدُ ذِكرَى عهدِكم ونُعيدُ ... ونُدنى خَيالَ الأمسِ وهْوَ بعَيدُ

وللناسِ فى الماضى بصائرُ يَهتدِى ... عليهنَّ غاوٍ ، أو يسيرُ رشيد

إذا الميْتُ لم يَكرُمْ بأرضٍ ثناؤُهُ ... تحيَّرَ فيها الحىُّ كيف يسود

ونحنُ قضاةُ الحقِّ ، نَرعى قديمَهُ ... وإن لم يَفُتْنا فى الحقوقِ جديد

ونعلمُ أنَّا فى البِناءِ دعائمٌ ... وأنتم أساسٌ فى البناءِ وَطِيد

فريدُ ضحايانا كثيرٌ ، وإنما ... مَجالُ الضحايا أنتَ فيه فريد

فما خلْفَ ما كابَدْتَ فى الحقِّ غايةٌ ... ولا فوقَ ما قاسيْتَ فيه مَزيد

تغرَّبْتَ عشرًا أنتَ فيهنَّ بائسٌ ... وأنت بآفاقِ البلادِ شَريد

تجوعُ بِبُلدانٍ ، وتَعْرَى بِغيرِها ... وتَرْزَحُ تحتَ الداءِ ، وهْوَ عَتيد

ألا فى سبيلِ اللهِ والحقِّ طارفٌ ... من المالِ لم تَبخلْ به ، وتَليد

وَجودُكَ بعدَ المالِ بالنفسِ صابرًا ... إذا جزِعَ المحضورُ وهْوَ يَجود

فلا زِلْتَ تمثالاً من الحقِّ خالصاً ... على سِرِّه نَبنى العُلا ، ونَشِيد

يُعلِّمُ نَشْءَ الحى كيف هَوَى الحِمى ... وكيف يُحامى دونَهُ ، ويَذود

النَّخيلُ مَابَيْنَ الْمُنْتَزَهِ وَأَبى قِير

« نظمها بالاسكندرية فى صيف سنة ١٩٣١ »

أرى شَجَرًا فى السماء احتجبْ   وشقّ العَنانَ بِمَرْأًى عَجبْ
مآذنُ قامت هُنا أو هناكَ   ظواهِرُها درجٌ من شذَب
وليس يؤذِّنُ فيها الرجالُ   ولكن تَصيح عليها الغُرُب
وباسقةٍ من بنات الرمالِ   نَمتْ وربَتْ فى ظلالِ الكُثُب
كساريةِ الفُلْكِ ، أو كالمِســـلَّةِ ، أو كالفَنارِ وراءَ العَبَب
تطولُ وتقصُرُ خلفَ الكثيبِ   إذا الريحُ جاء به أو ذهب
تُخالُ إذا اتَّقدَتْ فى الضُّحَى   وجَرَّ الأَصيلُ عليها اللهَب
. وطافَ عليها شُعاع النهارِ   مِنَ الصَّحْوِ ، أومِنْ حَواشى السُّحُب
. . وَصِيفةَ فرعونَ فى ساحةٍ   من القصرِ واقفةً تَرْتقِب
قد اعتَصَبتْ بفصوصِ العَقيقِ   مُفصلَّةً بِشُذورِ الذهب
وناطتْ قلائدَ مَرْجانِها   على الصدر ، واتَّشَحَتْ بالقَصَب
وشَدَّتْ على ساقِها مِئْزَراً   تَعمَّدَ من رأسِها للذنَب

* * *

أهذا هو النخلُ مَلْكُ الرِّياضِ   أميرُ الحقولِ ، عروسُ العزب ؟

طعامُ الفقيرِ ، وحَلوَى الغَنىِّ   وزادُ المسافِرِ والمُغْتَرِب ؟

فيا نخلةَ الرملِ ، لم تَبخلى   ولا قصَّرَتْ نَخَلاتُ التُّرب

وأعجَبُ : كيف طوَى ذِكْرَكُنَّ   ولم يحتفلْ شعراءُ العرب ؟ !

أليس حراماً خُلُوُّ القصا   ئدِ من وصفِكنّ ، وعُطْلُ الكتُب ؟

وأنتنّ فى الهاجراتِ الظِّلالُ   كأَنّ أعالِيَكُنَّ العَبَب

وأنتنّ فى البيد شاةُ المُعِيلِ   جَناها بجانبِ أُخرى حَلَبَ

وأنتنّ فى عَرَصاتِ القصورِ   حسانُ الدُّمَى الزائناتُ الرَّحب

جناكنّ كالكرْمِ شتّى المذاقِ   وكالشَّهْدِ فى كل لون يُحَبّ

البَحْرُ الأَبْيَض

« نظمت بالاسكندرية فى صيف سنة ١٩٣١ »

أَمِنَ البحرِ صائغٌ عَبْقَرِيٌّ ... بالرّمالِ النَّواعِمِ البيضِ مُغْرَى؟!

طافَ تحتَ الضُّحَى عليهنَّ، والجوْ ... هَرُ فى سُوقِه يُباعُ ويُشْرَى

جِئْنَهُ فى مَعاصِمٍ ونُحورٍ ... فكسا مِعْصَمًا، وآخرَ عَرَّى

وأَبَى أن يُقلِّدَ الدُّرَّ واليا ... قوتَ نحرًا، وقلَّدَ الماسَ نحرا

وتَرى خاتَماً وراءَ بَنانٍ ... وبَناناً من الخواتمِ صِفْرا

وسِوارًا يَزينُ زَنْدَ كعَابٍ ... وسِوارًا من زَنْدِ حسناءَ فرّا

وترى الغِيدَ لُؤلؤًا ثَمَّ رَطْبًا ... وجُماناً حَوَالَيِ الماءِ نَثْرا

وكأَنَّ السماءَ والماءَ شِقَّا ... صَدَفٍ، حُمِّلا رفيفًا ودُرَّا

وكأَنَّ السماءَ والماءَ عُرْسٌ ... مُتْرَعُ المهرَجان لمْحًا وعِطرا

أَو رَبيعٌ من ريشةِ الفنِّ أَبهَى ... مِن ربيعِ الرُّبَى، وأَفتنُ زَهْرا

أَو تَهاويلُ شاعرٍ عَبقريٍّ ... طارَحَ البحرَ والطبيعةَ شعرا

يا سِوارَىْ فَيْرُوزَجٍ ولُجَيْنٍ ... بِهما حُلِّيَتْ معاصِمُ مِصْرا

فى شُعاعِ الضُّحَى يعودان ماسًا ... وعلى لمْحَةِ الأَصائلِ تِبْرا

ومَشَتْ فيهما النّجومُ فكانت ... فى حَواشِيهما يواقيتَ زُهْرَا

لكَ فى الأرض موكبٌ ليس يألو الـــــرِّيحَ والطيرَ والشياطينَ حَشْرا (١)

سِرْتَ فيه على كنوز (سُليما ... نَ) تعدُّ الخُطى اختيالاً وكِبْرا

وترنَّمْتَ فى الركابِ، فقلنا ... راهبٌ طاف فى الأناجيل يَقرا

هو لحنٌ مُضَيَّعٌ، لا جواباً ... قد عرفنا له، ولا مُستقَرَّا

لك فى طيِّهِ حديثُ غرامٍ ... ظَلَّ فى خاطر المُلَحِّنِ سِرَّا

* * *

قد بعثنا تحيَّةً وثناءً ... لكَ يا أرفعَ الزواجِرِ ذِكرا

وغشِيناكَ ساعةً تَنْبُشُ المَا ... ضِيَ نبشًا، وتقتُلُ الأمسَ فِكرا

وفتحنا القديمَ فيك كتاباً ... وقرأنا الكتابَ سطرًا فسَطْرا

ونشَرْنا من طيِّهِنَّ الليالى ... فلَمَحنا من الحضارةِ فَجْرا

ورأينا مصرًا تُعلِّمُ (يونا ... نَ)، ويونانَ تَقبِسُ العلمَ مصرا

تِلكَ تأتيكَ بالبيانِ نبيًّا ... عبقريًا؛ وتِلك بالفنّ سِحْرا

ورأينا المنارَ فى مطلع النَّجْـــمِ على برقِهِ المُلَمَّحِ يُسرى

شاطئٌ مثلُ رُقعةِ الخُلدِ حُسناً ... وأديمِ الشبابِ طِيباً وبِشرا

جَرَّ فيْرُوزَجاً على فِضَّةِ الما ... ءِ، وجَرَّ الأصيلُ والصبحُ تِبرا

كلَّمَا جِئتَهُ تهلَّل بِشرًا ... من جميع الجهاتِ، وافترَّ ثَغْرا

اِنثنَى مَوْجَةً، وأقبلَ يُرخِى ... كِلَّةً تارةً ويَرفعُ سِترا

شبَّ وانحطَّ مثلَ أسرابِ طيرٍ ... ماضياتٍ تَلُفُّ بالسَّهلِ وَعْرا

رُبما جاءَ وَهْدَةً فتردَّى ... فى المَهاوِى، وقام يَطفرُ صَخرا

وتَرى الرملَ والقصورَ كأيْكٍ ... ركب الوَكْرُ فى نواحيهِ وَكْرا

---

(١) ليس يألو الريح ... الخ: ليس نقصر عنها.

وتَرى جَوْسَقًا يُزَيِّنُ رَوْضًا وترى رَبوةً تزيِّنُ مصرا

* * *

سَيِّدَ الماءِ ، كم لنا من (صلاحٍ) و (علىٍّ) وراء مائكَ ذِكرَى! (١)

كم مَلأْناكَ بالسَّفينِ مَواقيــــرَ (٢) كشُمِّ الجبالِ جُندًا ووَفرا!

شاكياتِ السلاحِ يَخرُجنَ من مصــرٍ بملمومةٍ ، ويَدْخلن مِصرا

شارعاتِ الجناحِ فى ثَبَجِ الما ءِ كنَسْرٍ يشدُّ فى السُّحب نَسْرا

وكأنَّ اللُّجاجَ حينَ تَنَزَّى وتسدُّ الفِجاجَ كرًّا وفرًّا ...

... أجمٌ بعضُهُ لبعضٍ عدوٌّ زحَفَتْ غابةٌ لتمزيق أُخرَى!

قذَفَتْ هٰهنا زئيرًا ونَاباً ورَمَت هٰهنا عُواء وظُفرا

أنتَ تَغلى إلى القيامةِ كالقِدْرِ ، فلا حطَّ يومُها لكَ قِدْرا

(١) يريد صلاح الدين الأيوبى ومحمد على باشا .
(٢) مواقير : موقرة : مثقلة بما تحمل .

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الْحِمَى

« نظمها فى الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم فى أوربا »

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الحِمَى قبلَ الرحيلِ بقافِيَهْ
عَوَّدْتُهُمْ أمثــالَها فى الصالحاتِ الباقيه
من كلِّ ذاتِ إشارةٍ ليستْ عليهم خافيه
قلْ : ياشبابُ ، نصيحةً مما يُزَوَّدُ غاليه
هل راعكم أن المدا رسَ فى الكنانةِ خاوِيَه ؟
هُجِرَتْ فكلُّ خليةٍّ من كلِّ شُهْدٍ خاليه
وتعطَّلتْ هالاتُها مِنكم ، وكانت حاليه
غَدَتِ السياسةُ وَهْيَ آ مرة عليها ناهيه
فهجرتُمُو الوطنَ العز يزَ إلى البلادِ لقاصيه

* * *

أنتمْ غدًا فى عالَمٍ هو والحضارةُ ناحِيهْ
وارَيْتُ فيه شَبيبتى وقضيتُ فيه ثمانيه
ما كنتُ ذا القلبِ الغليــظِ ، ولا الطباعِ الجافيه
سِيروا به تتعلَّموا سرَّ الحياةِ العاليه

وتأمّلوا البُنْيَانَ ، وادّكِروا الجهودَ البانيه

ذوقوا الثمارَ جَنِيّةً وَرِدُوا المناهِلَ صافيه

واقضُوا الشبابَ ؛ فإنّ سا عتَه القصيرةَ فانيه

واللهِ لا حَرَجٌ عليكم فى حديثِ الغانيه !

أو فى اشتِهاءِ السِّحْرِ من لَحْظِ العيونِ الساجيه

أو فى المسارحِ فَهْىَ بالنَّفْسِ اللطيفةِ راقيه !

ثَنَى عِطْفَيْهِمَا الْهَرَمَانِ تيها

« وقال يحيى الملك فــؤاد فى إبان زيارته للجيزة فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ »

بأَرضِ الجيزةِ اجتازَ الغَمامُ ... وحلَّ سماءها البدرُ التّمام

وزار رياضَ إسماعيلَ غيثٌ ... كوالدِهِ له المِنَنُ الجِسام

ثَنَى عِطْفَيْهِمَا الهرمانِ تِيهًا ... وقال الثالثُ الأَدنَى : سلام

هَلُمِّى مَنْغُ ؛ هذا تاجُ خوفو ... كقُرْصِ الشمسِ يَعرِفه الأَنام

نَمتْهُ من بنى فِرعَوْنَ هامٌ ... ومن خلفاءِ إسماعيلَ هام

تـألَّقَ فى سمائكِ عبقريًّا ... عليه جلالةٌ ، وله وِسام

ترعرعَتِ الحضارةُ فى حلاهُ ... وشبَّ على جواهرِهِ النظام

ونال الفنُّ فى أُولى الليالى ... وأُخراهُنَّ عِزًّا لا يُرام

* * *

مشَى فى جيزة الفُسطاط ظِلٌّ ... كظِلِّ النيلِ بُلَّ به الأُوَام

إذا ما مَسّ تُرْباً عاد مِسْكًا ... ونافَس تحتَه الذهبَ الرَّغام

وإنْ هو حَلَّ أَرضاً قام فيها ... جِدارٌ للحضارةِ أَو دِعام

فمدرسةٌ لخرب الجهلِ تُبْنَى ... ومُسْتَشْفَى يُذادُ به السَّقام

ودارٌ يُستَغاثُ بها فَيَمضى ... إلى الإسعافِ أنجادٌ كرامُ

أساةُ جِراحةٍ حِينًا ، وحيناً ... مَيازيبٌ إذا انفجر الضِّرام

وأحواضٌ يراضُ النيلُ فيها ... وكلُّ نجيبةٍ ولها لجام

أبا الفاروقِ ، أقبلْنا صُفوفاً ... وأنتَ من الصفوفِ هو الإمام

إلى البيتِ الحرامِ بك اتَّجهنا ... ومِصرُ — وحَقِّها — البيتُ الحرام

طلعتَ على الصعيدِ فهَشَّ حتى ... علا شَفَتَىْ أبى الهول ابتسام

وركابٌ سارتِ الآمالُ فيه ... وطافَ به التلفُّتُ والزِّحام

فماذا فى طريقك من كُفور ... أجلُّ من البيوتِ بها الرِّجام ؟

كأن الراقدِين بكل قاعٍ ... هُمُ الأيقاظُ ، واليَقْظَى النِّيام

لقد أزَمَ الزمانُ الناسَ ، فانظُرْ ... فعِندَكَ تُفْرَجُ الإزَمُ العِظام

وبَعْدَ غدٍ يُفارِقُ عامُ بؤسٍ ... ويَخلُفه من النَّعماء عام

يَدورُ بمصرَ حالا بعدَ حالٍ ... زمانٌ ما لِحَالَيْهِ دَوام

ومِصْرُ بِناءُ جَدِّكَ لم يُتَمَّمْ ... أليس على يَدَيكَ له تمام ؟

فلسنا أمَّةً قعدتْ بشمسٍ ... ولا بلدًا بضاعتُه الكلام

ولكنْ هِمَّةٌ فى كلِّ حينٍ ... يَشُدُّ بِناءها المَلِكُ الهُمام

نَرومُ الغايةَ القُصْوَى ، فنَمْضى ... وأنت على الطريقِ هو الزِّمام

ونقصر خطوةً ، ونَـمُدُّ أخرى ... وتُلجِئُنا المسافةُ والمرام

ونَصبرُ للشدائدِ فى مقامٍ ... ويَغلِبُنا على صبر مقام

فقوٌ حضارةَ الماضى بأُخرَى   لها زَهْوٌ بِعصرِكَ واتّسامُ

نَرفٌّ صحائفُ البَرْدِىِّ فيها   ويَنطقُ فى هياكلها الرُّخام

رَعَتك وواديًا ترعاه عنّا   منَ الرحمٰنِ عينٌ لا تنام

فإن يلكُ تاجُ مصرَ لها قِواماً   فمصرُ لتاجِها العالى قِوام

لِتهنأْ مصرُ ، ولْيَهْنأْ بَنوها   فبينَ الرأسِ والجسمِ التئام

الأَمِيرَة فَتْحِيَةُ

« وقال في برقية يهنىء الاميرة السابقة فتحية »

فتْحِيَّةٌ دنيا تدومُ . وصِحةٌ   تَبقى ، وبهجَةُ أُمَّةٍ . وحياة

مَوْلاىَ إنّ الشمسَ فى عليائها   أُنثَى ، وكلُّ الطيبات بَناتُ !

تَهْنِئَة

« وقال يهنىء الدكتور على باشا ابراهيم بمناسبة الانعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٣٠ »

يَدُ الملكِ العلَوى الكريم على العلمِ هَزّتْ أخاه الأدبْ

لسانُ الكنانةِ فى شكْرِها وما هو إلا لسانُ العَرَب

قضَتْ مِصرُ حاجتَها يا (عَلِىٌّ) ونالتْ ، ونال بَنوها الأرَب

وَهَنَّأتُ بالرُّتَبِ العبقَرِىَّ وهَنَّأتُ بالعبقرِى الرُّتَب

علِىٌّ ، لقد لقَّبَتْكَ البِلادُ بآسِى الجِراحِ ، ونِعْمَ اللَّقَب

سِلاحُك من أدواتِ الحياةِ وكلُّ سلاحٍ أداةُ العَطَب

ولفظُكَ (بِنْجٌ) ، ولكنَّهُ لطيفُ الصَّبا فى جُفون العَصب

أنامِلُ مِثلُ بَنانِ المسيح أواسِى الجِراحِ ، مَوَاحِى النُّدَب

تعالِجُ كَفَّاكَ بؤسَ الحياةِ فكفٌّ تُدَاوِى ، وكفٌّ تَهَب

ويستمسك الدَّمُ فى راحَتَيْكَ وفوْقَهُما لا يَقرُّ الذَّهب

كأنّك للموتِ مَوْتٌ أُتيح فلم يَرَ وجْهَكَ إلا هَرَب !

يا قاهرَ الْغَرْبِ الْعَتِيدِ

(قال فى حفل تكريم البطل العالمى فى حمل الاثقال السيد نصير ، فى ديسمبر سنة ١٩٣٠)

شرَفًا نُصَيْرُ ، ارْفعْ جَبِينَك عالياً ... وتَلَقَّ من أوطانك الإكليلا

يَهنِيكَ ما أُعطِيتَ من إكرامِها ... ومُنِحْتَ مِن عطف ابنِ إسماعيلا

اليومَ يَومُ السَّابِقين ، فكنْ فتًى ... لم يَبْغِ من قصَبِ الرِّهانِ بَديلا

وإذا جَرَيْتَ مع السوابق فاقتحِمْ ... غُرَرًا تَسيل إلى المدى وحُجُولا

حتى يراكَ الجمعُ أوّلَ طالعٍ ... ويَرَوْا على أعرافِك المِنْديلا

هذا زمانٌ لا تَوسُّطَ عِندَه ... يَبْغِى المُغامِرُ عالياً وجليلا

كنْ سابقًا فيه ، أوِ ابْقَ بِمَعْزِلٍ ... ليس التوسُّطُ للنُبوغِ سبيلا

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ ، مَلأْتَه ... بثناء مِصْرَ على الشِّفاهِ جَميلا

قلَّبْتَ فيه يدًا تكاد لِشِدَّةٍ ... فى البأْسِ ترفع فى الفَضاء الفِيلا !

إن الذى خَلق الحديدَ وبأْسَه ... جعل الحديدَ لِساعِدَيْكَ ذليلا

زَحْزَحْتَه ، فتخاذلتْ أجلادُه ... وطَرَحْتَه أرضاً ، فصَلَّ صَليلا

لِمَ لا يَلِينُ لك الحديدُ ولم تزَلْ ... تتلو عليه وتقرأُ التَّنزيلا ؟

الأزْمَة اشْتَدَّتْ ورانَ بلاؤُها ... فاصْدِمْ بِرُكنك رُكنَها لِيَميلا

(شمشونُ) أنت ، وقدرَستْ أركانُها ... فتَمشَّ فى أركانِها لِتَزولا

قلْ لى نُصَيْرُ وأنت بَرٌّ صادِقٌ   أَحَمَلْتَ إنساناً عليك ثقيلا ؟
أَحَمَلْتَ دَيْنًا فى حياتِك مَرَّةً ؟   أَحَمَلْتَ يوماً فى الضُّلوع غليلا ؟
أَحملتَ ظُلمًا من قريبٍ غادِرٍ   أو كاشحٍ بالأَمسِ كان خَليلا ؟
أحملتَ منًّا بالنهارِ مُكرَّرًا   والليلِ ، مِنْ مُسْدٍ إليك جَميلا ؟
أحملتَ طُغيانَ اللئيمِ إذا اغْتَنَى   أو نال مِنْ جاهِ الأُمورِ قليلا ؟
أحملتَ فى النادى الغبىَّ إذا التقَى   مِن سامِعِيه الحمدَ والتبجيلا ؟
تلك الحياةُ ، وهٰذه أثقالُها   وُزِن الحديدُ بها فعاد ضئيلا !

بْنَ زَيْدُون

« أنشأها ترحيبا بديوان ابن زيدون ، حين ظهر مطبوعا لأول مرة فى مصر ، بعناية الاستاذ الاديب كامل كيلانى »

يا ٱبْنَ زيدونَ ، مَرحبًا قد أطلْتَ التَّغَيُّبا
إن ديوانَكَ الذى ظلَّ سرًّا مُحجَّبا ،
يَشْتكى اليُتْمَ دُرُّه ويُقاسى التَّغرُّبا . . .
. . . صار فى كل بَلدةٍ للألِبَّـــــاءِ مَطْلبا
جاءنا « كاملٌ » به عربيًّـــــا مُهَذَّبا
تَجدُ النَّصَّ مُعْجِبا وتَرى الشَّرح أعجبا
أنتَ فى القول كلِّه أجْملُ الناسِ مَذْهبا
بأبى أنتَ هيْكلاً مِن فنونٍ مُركَّبا
شاعِرًا أم مُصَوِّرًا كنتَ ، أم كنتَ مُطربا ؟
ترسِل اللحنَ كلَّه مُبْدِعاً فيه ، مُغرِبا
أحْسَنَ الناس هاتفًا بالغوانى مُشَبِّبا
ونزيلَ المُتوَّجِـــــينَ ، النديمَ المُقرَّبا
كم سَقاهم بِشِعره مِدْحَةً أو تَعَتُّبا
ومن المدْحِ ما جزَى وأذاعَ المناقِبا

• • •

وإذا الهَجْوُ هاجَهُ لِمُعَـــــاناته أبى

ورآه رذيـــلةً لا تُماشِىٰ التأدُّبا
ما رأى الناسُ شاعِرا فاضل الخُلْقِ طيِّبا
دَسَّ للناشقين فى زَنبَقِ الشعرِ عَقربا

* * *

جُلتَ فى الخُلد جوْلةً هل عن الخلد مِنْ نَبا ؟
صِف لنا ما وراءه من عيونٍ ، ومن رُبَى
ونعيمٍ ونَضرةٍ وظلالٍ من الصَّبا
وصِفِ الحور موجزًا وإذا شئت مُطْنِبا

* * *

قم تَرى الأرضَ مِثلما كنتُمو أمسِ مَلعَبا
وترى العيشَ لم يزلْ لبَنى الموتِ مأْرَبا
وترى ذاكَ بالذى عند هذا مُعَذَّبا

* * *

إنَّ مَروانَ عُصبةٌ يَصنعونَ العجائبَـــا (١)
طوَّفوا الأرض مَشرِقاً بالأيادى ومَغـــرِبا
هالةٌ أطلعتْكَ فى ذِروة المجدِ كوكبا
أنت للفتحِ تنتمى وكفى الفتحُ منْصِبا
لستُ أرْضَى بغيره لك جَدًّا ولا أبا

---

(١) يشير الى أصله « الرومى » والى إيادى بنى مروان على العروبة، بما فتحوا من بلاد الروم ، وبما استعرب من اهلها .

الْبُلْبُلُ الْغَرِدُ الَّذى هزَّ الرُّبى

« انشدت فى الحفلة التى اقامتها رابطة الادب الجديد ، تكريما للشاعر الاستاذ « محمود ابو الوفا » ، وكانت هذه القصيدة سببا الى عناية الحكومة المصرية وتشد بالشاعر — ابى الوفا — وتسفيره الى اوربا لعمل رجل صناعية بدل ساقه المبتورة ! »

وعِصابةٍ بالخيرِ أَلَّف شَمْلَهم　　والخيرُ أفضلُ عُصبةً ورِفاقا

جعلوا التَّعاونَ والبنايةَ هَمَّهم　　واستنهضوا الآدابَ والأَخلاقا

ولقد يُداوُون الجِراح بِبرِّهم　　ويُقاتلون البؤسَ والإملاقا

يسمونَ بالأدب الجديدِ ، وتارةً　　يَبْنُون للأَدبِ القديمِ رِواقا

بعثَ اهتمامَهُمو ، وهاجَ حنانَهم　　زمنٌ يُثير العطفَ والإشفاقا

عَرَضَ القُعودُ فكان دون نُبوغِهِ　　قَيدًا ، ودونَ خُطَى الشباب وِثاقا

* * *

البُلبُلُ الغرِدُ الذى هزَّ الرُّبى　　وشَجَى الغصونَ ، وحرَّكَ الأَوراقا

خلَفَ البَهاءَ على القريض وكأْسِه　　فسَقى بعَذبِ نسيبِه العُشَّاقا

فى القيد مُمتنِعُ الخُطى ، وخياله　　يَطوِى البلادَ ويَنشُر الآفاقا

سبَّاقُ غاياتِ البيانِ جَرى بلا　　ساقٍ ، فكيف إذا استردَّ الساقا ؟!

لو يَطعمُ الطِّبُّ الصِّناعُ بَيانَه　　أو لو يُسيغُ لما يقولُ مَذاقا ...

... غالى بقيمتِه ، فلم يَصنع له　　إلا الجَناحَ مُحلِّقًا خفَّاقا !

خَليل مُطْرَان (١)

« نظمها لتنشــــد فى حفلة اقيمت بدار الجامعة المصرية فى ١٨ يونيــو ســنة ١٩١٣ لتــكريم الشاعر خليل مطــران ، لمناسبة انعام الخديوى عباس حلمى الثانى عليه بوسام ، وكانت الحفـــلة برياسة الامير محمد على توفيق شقيق الخديوى »

لُبْنَانُ ، مَجْدُكَ فى المشارق أَوَّلُ ... والأَرْضُ رابيةٌ وأنتَ سَنامُ

وبنوك أَلطفُ مِن نسيمِكَ ظِلُّهُمْ ... وأَشمُّ مِن هَضَبَاتِك الأَحلام

أَخرجتَهم للعالمين جَحاجِحاً ... عُرْباً ، وأَبناءُ الكريم كرامُ

بين الرياض وبين أُفْقٍ زاهرٍ ... طلع المَسيحُ عليه والإسلام

هذا أَديبُك يُحتفَى بوِسامِهِ ... وبيانُه للمَشْرِقَيْنِ وِسامُ

ويُجَلُّ قدْرُ قِلادةٍ فى صدره ... وله القلائدُ سِمْطُها الإلهام

صدرٌ حَوالَيْه الجلالُ ، ومِلؤهُ ... كرمٌ ، وخَشيةُ مؤمِنٍ ، وذِمامُ

حَلَّاهُ إحسانُ الخديوِ ، وطالما ... حلَّاه فضلُ اللهِ والإنعام

لِعُلاك يامُطرانُ ، أَم لنهاك ، أَم ... لِخلالك التشريفُ والإكرام؟!

أَم للمواقف لم يَقِفْها ضَيْغَمٌ ... لولاك لاضطربت له « الأَهرام»؟!

هذا مقامُ القولِ فيك ، ولم يَزَلْ ... لك فى الضمائر مَحْفِلٌ ومقام

غالَى بقيمتك الأَميرُ محمدٌ ... وسعى إليك يحفه الإعظام

---

(١) زيدت هذه فى الطبعة الثانية .

في مجمعٍ هزّ البيانُ لواءه   بك فيه ، واعتزّتْ بك الأقلامُ

ابنُ الملوكِ تَلَا الثناء مخلَّدًا   هَيْهَات يذهبُ للملوكِ كلام !

فمن البثير لبعلبكٍّ وبينَها   نَسَبٌ تُضِيءُ بنوره الأيام ؟

يبْلَى المكينُ الفخْمُ من آثارها   يوماً ، وآثارُ الخليل قيام !

غَانْدِى

« انشأها تحية لغـاندى الزعيم الهنـــدى المشهور ، حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ ، فى طريقه الى مؤتمر المائدة المســـــتديرة بلنـــدن »

بَنِى مِصرَ ، ارْفَعُوا الغار ... وحيُّوا بَطلَ الهِندِ
وأدُّوا واجِبًا ، واقضوا ... حقوقَ العَلَمِ الفرد
أخوكم فى المقاساةِ ... وعَرْكِ الموقفِ النَّكْدِ
وفى التَّضْحِيةِ الكبرى ... وفى المَطلبِ ، والجُهد
وفى الجرح ، وفى الدمع ... وفى النَّفْيِ من المهدِ
وفى الرحلة للحقِّ ... وفى مرحَلةِ الوفد
قِفوا حيُّوه من قرْبٍ ... على الفلْكِ ، ومن بُعد
وغَطُّوا البَرَّ بالآس ... وغَطُّوا البحرَ بالورد

* * *

على إفريزِ (راجْبُوتا ... نَ)(١) تمثالٌ من المجد
نبيٌّ مِثلُ (كونْفشْيُو ... سَ) ، أو من ذلك العهد
قريبُ القوْلِ والفعلِ ... من المنتظَرِ المهدى
شبيه الرسْل فى الذَّوْدِ ... عن الحقِّ ، وفى الزهد

---

(١) الباخرة التى اقلت غاندى من الهند الى لندن .

لقد عَلَّم بالحقّ وبالصبر ، وبالقصد
ونادى المشرقَ الأقصى فلبّاه من اللحد
وجاء الأنفسَ المرْضَى فداوَاها من الحِقد
دَعا الهندوسَ والإسلا م للأُلفةِ والوُدِّ
بسحرٍ من قُوَى الروحِ حَوَى السَّيفَيْنِ فى غِمد
وسلطانٍ من النفسِ يُقَوِّى رائِضَ الأُسْدِ
وتوفيقٍ منَ الله وتيْسيرٍ من السّعد
وحظٌّ ليس يُعطاهُ سِوَى المخلوقِ للخلدِ
ولا يُؤْخَذ بالحَوْا ولا الصَّوْلِ ، ولا الجُند
ولا بالنسل والمال ولا بالكدحِ والكدِّ
ولكن هِبةُ المولى — تعالى الله — للعبد

* * *

سلامُ النيل ياغنْدِى وهذا الزهرُ من عندى
وإجلالٌ من الأهرا مِ ، والكرْنكِ ، والبَرْدِى
ومن مَشْيَخَةِ الوادِى ومن أشبالِهِ المُرْدِ
سلامٌ حالِبَ الشّاةِ سلامٌ غازلَ البُرْدِ
ومَن صَدَّ عن المِلح ولم يُقبِل على الشُّهد
ومَنْ تِرْكبُ ساقيْهِ من الهندِ إلى السِّنْدِ
سلامٌ كلَّما صلَّيْـــــت عُرياناً ، وفى اللِّبد
وفى زاويةِ السجن وفى سِلسِلةِ القيدِ

مِنَ «المائِدَةِ الخضْرا ء»(١) خُذْ حِذْرَكَ ياغنْدِى
ولاحظْ وَرَقَ «السِّيرِ» وما فى ورق «اللورْدِ»
وكنْ أبرَعَ مَن يَلعَ بُ بالشِّطْرَنْجِ والنَّرْد
ولاقِ العبقريِّينَ لِقاءَ النِّدِّ للنِّدِّ
وقل : هاتوا أفاعيَكم أتى الحاوى من الهند !
وعُدْ لم تحفِلِ الذّامَ ولم تَغتَرَّ بالحمد
فهذا النجمُ لا تَرْقَى إليه هِمَّةُ النقدِ
ورُدَّ الهندَ للأُمَّـــةِ من حدٍّ إلى حَدِّ

---

(١) يطير الى المؤتمر الذى كان مسافرا اليه للبحث فى دستور الهند.

تَحِيَّةُ أَبُولُّو

* ابولو : مجلة فنية لخدمة الشعر الحى ، كان يصدرها مرة كل شهر — فى سنة ١٩٣٢ — الدكتور احمد زكى أبو شادى ، فقال يحييها .

أَبولُّو ، مَرحَبًا بك يا أَبولُّو ... فإنك من عُكاظِ الشعرِ ظِل

عُكاظُ وأَنتِ للبُلغاء سُوقٌ ... على جَنَباتِها رحَلوا وحلُّوا

ويَنبوعٌ من الإنشادِ صافٍ ... صدى المتأَدِّبين به يُقَلُّ

ومِضمارٌ يسوقُ إلى القوافى ... سوابِقُها إذا الشُّعراءُ قلُّوا

بِقول الشِّعرَ قائلُهم رصينًا ... ويُحسِنُ حين يُكثِرُ أو يُقِلُّ

ولولا المُحسنونَ بكلِّ أَرضٍ ... لما ساد الشُّعُوبُ ولا استقلُّوا

* * *

عسى تأتِينَنا بمُعَلَّقاتٍ ... نَروحُ على القديمِ بها نُدِلُّ

لعلَّ مَواهبًا خَفِيَتْ وضاعت ... تُذاعُ على يَديكِ وتُستَغَلُّ

صحائِفُكِ المدبَّجَةُ الحواشى ... رُبَى الوَرْدِ المُفتَّح أو أَجَلُّ

رياحينُ الرِّياضِ يُمَلُّ منها ... ورَيحَانُ القرائِحِ لا يُمَلُّ

يُمَهِّدُ عَبقرىُّ الشِّعر فيها ... لكلِّ ذخيرةٍ فيها مَحَلُّ

وليس الحقُّ بالمنقوصِ فيها ... ولا الأَعراضُ فيها تُستحَلُّ

وليستْ بالمجالِ لِنَقدِ باغٍ ... وراءَ يَراعِهِ حَسَدٌ وغِلُّ

أغنية

« نظمها بلبنان فى صيف سنة ١٩١٣ لتغنيها احدى القيان »

بى مِثْلُ ما بِكِ ياقُمريّةَ الوادى	ناديتُ ليلى ، فقومى فى الدُّجَى نادى
وأرسِلى الشَّجوَ أسجاعًا مُفصَّلةً	أو رَدِّدِى من وراء الأَيْكِ إنشادى
لاتكتُمِى الوَجْدَ ، فالجرحانِ من شَجَنٍ	ولا الصبابةَ ؛ فالدمعان من وادِ
تَذَكرى : هل تلاقَيْنا على ظمإٍ ؟	وكيف بلَّ الصَّدَى ذو الغُلَّةِ الصادى؟
وأنتِ فى مجلِسِ الرَّيحانِ لاهيةٌ	ما سِرْتِ من سامرٍ إلا إلى نادى
تذكرى قُبلةً فى الشَّعرِ حائرةً	أضلَّها فَمَشَتْ فى فَرْقِكِ الهادى
وقُبلةً فوقَ خدٍّ ناعمٍ عَطِرٍ	أبهى من الوردِ فى ظلِّ النَّدَى الغادى
تذكرى منظرَ الوادى ، ومجلِسَنا	على الغديرِ ، كعُصفورَيْنِ فى الوادى
والغُصنُ يحنو علينا رِقّةً وجَوًى	والماءُ فى قدَمَيْنا رائحٌ غادِ
تذكرِى نغماتٍ هٰهُنا وهُنا	من لحنِ شاديةٍ فى الدَّوحِ أوشادى
تذكرى مَوْعدًا جادَ الزمان به	هل طِرتُ شوقاً؟وهل سابقتُ ميعادى؟
فنلتُ ما نلتُ من سُؤْلٍ ، ومن أملٍ	ورحتُ لم أحصِ أفراحى وأعيادى؟

يَا شِرَاعًا وَرَاءَ دِجْلَة

« غناها بين يدى ملك العراق المغفور له فيصل الاول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد فى سنة ١٩٣١ »

يا شراعاً وراءَ دِجلةَ يَجرى ... فى دموعى تجنبَتك العَوادى

سِر على الماءِ كالمسيحِ رُويدًا ... واجْرِ فى اليمِّ كالشعاع الهادى

وأْتِ قاعاً كرفرَفِ الخلدِ طِيبًا ... أو كَفِرْدَوْسِهِ بشاشةَ وادى

قِفْ ، تمهَّلْ ، وخُذ أماناً لقلبى ... من عيونِ المهَا وراءَ السَّوادِ

والنَّواسِىُّ والنَّدامَى ؛ أَمِنهم ... سامرٌ يملأُ الدُّجَى أو نادِ ؟

خَطرَتْ فوقه المِهارةُ تعدو ... فى غُبارِ الآباء والأَجداد

أُمَّةٌ تُنشِئُ الحياةَ ، وتَبنى ... كبِناءِ الأُبوَّةِ الأَمجاد

تحتَ تاجٍ من القرابة والمُلْـ ... ـكِ على فَرْقِ أَرْيحىٍّ جواد

ملكُ الشطِّ ، والفراتينِ ، والبطـ ... ـحاءِ ، أعظِمْ بِفَيْصَلٍ والبلاد

الرَّجُلُ السَّعيد[1]

وهي ترجمة ابيات فرنسية عنوانها : «
L. homme heureux
لسمو الامير حيدر فاضل »

عَفيفُ الجَهْرِ والهمْسِ قَضَى الواجِبَ بالأَمْسِ
ولم يَعْرِضْ لِذِى حقٍّ بِنُقصانٍ ولا بَخْسِ
وعِندَ الناس مجهولٌ وفى أَلْسُنِهِمْ مَنْسِى
وفيه رِقَّةُ القلْبِ لآلامِ بَنِى الجنْسِ
فلا يَغْبِطُ ذا نُعْمَى ويَرْثِى لأَخِى البُؤْسِ
وللمحرُومِ والعافى حَوَالَىْ زادِهِ كُرْسِى
وما نَمٌّ ، ولا هَمٌّ بِبَعْضِ الكَيْدِ والدَّسِّ
ينامُ الليلَ مَسْرورا قليلَ الهَمِّ والهَجْسِ
ويُصْبحُ لا غُبارَ على سَرِيرَتِهِ كما يُمْسِى

* * *

فيا أَسعدَ من يَمشى على الأَرضِ مِنَ الإِنْسِ

---

(١) نشرت فى مجلة الكشكول سنة ١٩٢٥ .

ومَنْ طَهَّرَهُ اللهُ من الرِّيبَةِ والرِّجْسِ
أنِلْ قَدْرِىَ تَشْرِيفاً وهَبْ لى قُرْبَكَ القُدْسِى
عسى نَفسُكَ أن تُدمَــــج فى أحلامِها نَفسى
فالْقَى بَعض ما تَلْقى من الغِبطةِ والأُنْسِ !

الأَثَر

وجَدْتُ الحياةَ طريقَ الزُّمَرْ إلى بعْثةٍ وشُئون أُخر
وما باطِلاً يَنزِلُ النازلون ولا عَبثًا يُزْمِعونَ السَّفَرْ
فلا تَحتَقِرْ عالَمًا أنتَ فيه ولا تجْحَدِ الآخَرَ المُنْتَظَر
وخُذْ لكَ زادَيْنِ: من سِيرة ومن عملٍ صالحٍ يُدَّخَر
وكن فى الطريقِ عفيفَ الخُطا شريفَ السَّماعِ، كريمَ النظر
ولا تخلُ من عملٍ فوقَه تَعشْ غيرَ عَبْدٍ، ولا مُحتَقَر
وكن رجلا إن أَتَوْا بَعدَه يقولون: مَرَّ وهذا الأَثَرْ

السَّتّار

قدَّمْتُ بين يَدَيَّ نَفْسًا أذنبَتْ
وأتيْتُ بينَ الخوْفِ والإقرار

وجَعَلْتُ أسْتُرُ عن سِواك ذنوبَها
حتى عَيِيتُ ، فمَنْ لى بستار !

الخصوصيات



أبُو عَلِي

« قال عندما بشر بابنه على شوقى »

صارَ شوْقِى أَبا علِي في الزمان «الترَلَّلِي»
وجَناها جنايةً ليسَ فيها بأَوَّلِ !

الزَّمَنُ الأَخِير

« وقال فى ذلك أيضاً

عليٌّ ، لو استشرتَ أباكَ قبلاً فإن الخير حظّ المُستشيرُ

إذًا لعَلِمتَ أنَّا في غَناء وإن نكُ من لقائِكَ فى سرور

وما ضِقنا بِمقدَمِكَ المُفَدَّى ولكن جئتَ فى الزمَن الأخير !

صَاحِبُ عَهْدِهِ

« وقال ايضا »

رُزِقتُ صاحِبَ عهْده   وتمَّ لى النسْلَ بَعدى

هُم يَحسُدونِى عليهِ   ويغبِطونى بِسَعدى

ولا أرانى ونجلى   سَنَلتقى عند مَجد

وسوْف يَعلَمُ بَيتى   أنى أنا النَّسْلُ وحْدى

فيا علِي ، لا تَلُمْنى   فما احتِقارُكَ قَصْدى

وأنتَ مِنى كرُوحِى   وأنت مَنْ أنت عندى !

فإن أساءكَ قوْلى   كذِّبْ أباكَ بوعْدِ !

يا لَيْلَة !

« وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده في ساعة واحدة ، فقال في ذلك »

يا لَيْلَةً سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِى لأنها بالناس ما مَرَّتِ

أذكُرُها ، والموتُ في ذِكرها على سبيلِ البَثّ والعِبْرَةِ

لِيَعْلَمَ الغافِلُ ما أمْسُه ؟ ما يومُهُ ؟ ما مُنْتَهى العِيشةِ ؟

نَبَّهَنى المقدورُ فى جُنْحِها وكنتُ بين النَّوْم واليَقْظةِ

الموتُ عَجْلانُ إلى والدِى والوَضْعُ مُسْتَعْصٍ على زَوْجَتِى

هذا فتًى يُبْكَى على مِثلِه وهذه فى أوّلِ النَّشْأةِ

وتلك فى مِصْرَ على حالِها وذاكَ رَهْنُ المَوْتِ والغُرْبَةِ

والقلبُ ما بينَهما حائرٌ من بَلْدَةٍ أسْرى إلى بَلدةِ

حتى بَدا الصُّبحُ ، فوَلّى أبى وأقبلَتْ بعدَ العَناء ابْنَتِى

فقلتُ أحكامُكَ جِزْنا لها يا مُخرجَ الحىّ من الميّتِ !

أمينة

«وقال حين اكتملت بنته حولا يصفها فى هذا العمر»

أمينتى في عامِها الأوّلِ مِثلُ المَلَكِ

صالحةٌ للحُبِّ مِنْ كلٍّ ، وللتّبرُّك

كم خفَقَ القلبُ لها عِندَ البُكا والضَّحِك

وكم رَعَتْها العَيْنُ فى السُّكونِ والتَّحرُّك

فإن مَشَتْ فخاطِرى يَسبِقُها كالمُمْسِك

ألحَظُهـــا كأنها من بَصَرِى فى شَرَك

فيا جَبينَ السَّعْدِ لِى ويا عُيُونَ الفَلَك

ويا بياضَ العيْشِ فى الأيّامِ ذاتِ الحَلَك

إنّ الليالى وهْىَ لا تَنْفَكُّ حَرْبَ أهلِكِ

لو أنصَفَتْكِ طِفلةً لكنتِ بنتَ المَلِكِ !

طِفْلَةٌ لَاهِيَهْ

« وقال يهنئها بسنتها الثانية »

أمينةُ ، يا بِنتىَ الغاليَهْ ... أهَنيكِ بالسَّنةِ الثانيهْ
وأسألُ أنْ تَسلَمى لى السنينَ ... وأنْ تُرْزَقى العَقلَ والعافيه
وأنْ تُقْسَمى لأَبَرِّ الرجالِ ... وأنْ تلِدى الأَنفُسَ العاليه
ولكنْ سأَلْتُكِ بالوالِدَيْن ... وناشدتُك اللُّعَبَ الغاليه
أتدرين مامرَّ من حادِثٍ ... وما كان فى السَّنةِ الماضيه ؟
وكم بُلْتِ فى حُللٍ من حريرٍ ... وكم قد كسَرْتِ منَ الآنِيه ؟
وكم سَهرَتْ فى رِضاكِ الجفونُ ... وأنتِ علَى غَضَبٍ غافِيه ؟
وكم قدخَلَتْ من أبيكِ الجيوبُ ... وليسَتْ جُيوبُكِ بالخاليه ؟
وكم قد شكا المُرَّ من عَيْشِه ... وأنتِ وحَلواكِ فى ناحيه ؟
وكم قد مرِضْتِ ، فأسقمتِه ... وقمتِ ، فكنتِ له شافيه ؟
ويَضحكُ إن جِئتِه تضحكينَ ... ويَبكى إذا جِئتِه باكيَه !
ومن عَجَب مرَّتِ الحادثاتُ ... وأنتِ لأَحدَاثِها ناسيَه !
فلو حَسَدَتْ مُهجةٌ وُلْدَها ... حسدْتُكِ من طِفلةٍ لاهيَه !

الأنانية

« ونظم هذه الحكاية فيها وفى كلب لها اسود صغير . »

يا حَبَّذا أمينةٌ وكلبُها ... تُحِبُّهُ جدًّا كما يُحبُّها

أمينتى تحبو إلى الحَوْلَيْنِ ... وكلبُهَا يُنَاهِزُ الشهرَيْنِ

لكنَّها بَيضاءُ مثلُ العاجِ ... وعبْدُها أسوَدُ كالدَّياجِى

يلزَمُها نهارَها وتلزمُهْ ... ومِثلَما يُكرِمُها لا تُكرِمُهْ

فعندَها من شدّةِ الإشفاقِ ... أن تأخُذ الصغيرَ بالخِناقِ

فى كلِّ ساعةٍ له صِياحُ ... وقلَّما يَنعَمُ ، أو يرتاحُ

وهٰذِهِ حادثةٌ لها مَعَهْ ... تُنبيكَ كيفَ استأثرَتْ بالمنفعَهْ

جاءتْ به إلىَّ ذاتَ مَرَّهْ ... تَحمِلهُ وهْى بِهِ كالبَرَّهْ

فقلتُ : أهلا بالعَرُوسِ وابنِها ... ماذا يكونُ يا تُرى مِن شأنِها ؟

قالت : «غلامى يا أبى جَوْعانُ ... وما لَهُ كما لنا لِسانُ

فمُرهُمُوا يَأتُوا بخبزٍ ولبنْ ... ويُحضِروا آنية ذاتَ ثمنْ

فقُمتُ كالعادةِ بالمطلوب ... وجئتُها أنظرُ من قريب

فَعَجَنَتْ فى اللبنِ اللُّبابا ... كما تَرانا نُطعِمُ الكلابا

ثم أرادَتْ أن تَذوقَ قبلَه فاستَطْعَمَتْ بنْتُ الكِرام أكلَه

هُناكَ ألقَتْ بالصَّغيرِ للوَرا واندَفعتْ تَبكى بُكاءً مُفْتَرَى

تقول : بابا ، أنا (دَحَّا) وهْوَ (كُخٌ)

معناه : بابا ، لىَ وخُذِى ما طُبِخ

فقلْ لمنْ يَجهَل خَطْبَ الآتِيَهْ قد فُطِرَ الطِّفلُ على الأنانِيَه

لُعْبَــة

« وقال فيما ينفع امينة من اللعب ، واشار الى راس السنة الميلادية الذى يكثر فيه بيعها »

صِغارٌ بحلْوانَ تَستَبْشِرُ   ورُؤْيَتُها الفرَحُ الأكبَرُ

تَهُزّ اللواءَ بعيدِ المَسِيحِ   وتُحيِيهِ من حيثُ لاتَشعُر

فهٰذا بِلُعْبَتِه يَزدَهِي   وهذا بحُلّتِه يَفخَر

وهذا كغُصْنِ الرُّبا يَنْثَنِي   وهذا كريحِ الصَّبا يَخطِر

إذا اجتمَعَ الكلُّ في بُقعة   حَسِبتَهُموا باقةً تُزهِر

أو افترقوا واحدًا واحدًا   حَسِبتَهُمو لؤلؤًا يُنْثر

ومِنْ عَجَبٍ مِنهُمو المسلِمونَ   أو المسلمونَ هُمُ الأكثر

فلاسِفةٌ كلُّهمْ في اتِّفاقٍ   كما اتَّفَقَ الآلُ والمعشَر

دسَمْبِرُ شعبانُنا عند الجميعِ   وشَعبانُ للكلِّ دِيسَمْبِر

ولا لُغةٌ غيْرَ صَوْتٍ شجِيٍّ   كرَوْضٍ بَلابلُه تَصْفِر

ولا يَزدَرِي بالفقيرِ الغنِيُّ   ولا يُنكرُ الأبيَضَ الأسمر

فيا ليتَ شِعرِي أَضلَّ الصِغارُ   أم العقلُ ما غنهمو يُؤثَر؟

سؤال أقدِّمُهُ للكبار   لعلَّ الكبارَ به أخبَر

ولى طِفلةٌ جازَتِ السَّنَتيْنِ كبعضِ الملائِكِ ، أَو أَطهَرْ
بِعَيْنَيْنِ فى مثل لونِ السَّماءِ وسِنَّيْنِ ياحَبَّذَا الجَوْهَر !
أتتنِىَ تسأَلُنى لُعْبَةً لِتكسِرَها ضِمْنَ ما تكسِر
فقلتُ لها : أَيُّهذا الملاكُ تحِبُّ السَّلامَ ، ولا أُنكِر
ولكنَّ قبلَكَ خابَ المسيحُ وباءَ بمنشورِهِ القَيْصَر
فلا تَرْجُ سلْمًا من العالمينَ فإنَّ السباعَ كما تُفْطَر
ومَنْ يَعدَمِ الظُّفْرَ بينَ الذِّئابِ فإنَّ الذِّئابَ به تَظْفَر !
فإنْ شِئتَ تحيَا حياةَ الكِبار يُؤَمِّلُكَ الكلُّ ، أَو يَحذر
فخذْ ، هاكَ (بُنْدُقةً) نارُها سلامٌ عليكَ إذا تُسْعَر
لعلكَ تأْلفُها فى الصِّبا وتخلفُها كلَّما تكبَر
ففيها الحياةُ لمن حازَها وفيها السعادةُ والمَفْخَر
وفيها السلامُ الوَطيدُ البناءِ لمن آثرَ السِّلمَ أَو يُؤثِر
فلوبيلُ مُمسِكَةٌ موْزَرًا ولوبيلُ تُمْسِكها مَوْزَر(١)

* * *

أجابَتْ وما النُّطْقُ فى وُسْعِها ولَكنَّها العَيْنُ قد تُخْبِرُ
تقول : عجيبٌ كلامُكَ لى أَبِالشَّرِّ يا والِدِى تأْمُرُ ؟
تَزين لبنتِكَ حبَّ الحروبِ وحُبُّ السلامِ بها أَجدَر !
وأَنتَ امرؤ لا تُحبُّ الاذى ولا تَبتغيه ، ولا تأْمُرُ !

---

(١) لوبيل : اسم تدلل به أمينة ، وموزر : نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة .

فقلتُ : لأمرٍ ضَلَلتُ السبيلَ وربَّ أخى ضَلَّةٍ يُعْذَرُ
فلو جىء بالرسْل فى واحدٍ وبالكتْب فى صفحةٍ تُنْشَر
وبالأوَّلين ومـــا قدَّموا وبالآخِرينَ وما أخَّروا
ليَنْهَضَ ما بينهُمْ خاطِبا على العَرشِ نصٌّ له مِنْبَر
يقولُ : «السلامُ» يُحِبُّ السلامَ ويأجُرُكم عنه ما يَأْجُر
لصُمَّ العبادُ فلم يسمعوا وكُفَّ العِبادُ فلم يُبْصروا

زَيْنُ الْمُهُود (١)

« وقال وقد قبلها قبلة فى الصباح »

يا شِبهَ سيِّدَةِ البَتُو ... لِ ، وصورةَ المَلَكَ الطَّهورْ
تَنْسَى جمالُكِ فى الإنا ... تِ جمالَ يوسُفَ فى الذكور
زَيْنُ المُهودِ اليومَ أنـ ... تِ ، وفى غدٍ زينُ الخُدور
إنّ الأهِلّةَ إن سَرَتْ ... سارت على نَهجِ البُدور
بأبى جبينٌ كالصَّبا ... حِ إذا تَهيّأَ للسُّفور
بَقِيَتْ عليه من الدُّجى ... تلك الخُيُوطُ من الشُّعور
وكرائمٌ من لؤلؤٍ ... زيَّنَّ مَرجانَ النُّحور
سبحانَ مُؤتيها يَتا ... ئِمَ فى المَراشفِ ، والثُّغور
تَسقِى وتُسقَى من لُعا ... بِ النَّحلِ ، أو طَلِّ الزهور
وكأنَّ نَفحَ الطِّيبِ حو ... لَ نَضيدِها أنفاسُ حُور
وغريبةٌ فوقَ الخدو ... دِ ، بديعةٌ من وَرْدِ جُور
صفراءُ عند رَواحِها ... حمراءُ فى وقتِ البُكور
قبَّلتُها وشَمَمْتُها ... وسقيتُها دَمْعَ السرور

(١) زيدت فى هذه الطبعة الثانية

أَوَّلُ خَطْوَه

« وقال يذكر دخول ولده علي في السنة الثانية من عمره »

هذِهِ أَوَّلُ خطوَةْ   هٰذِهِ أَوّلُ كَبْوَةْ
في طريقٍ لِعليٍّ   عنهُ لو يَعقِلُ غُنْوَه(١)
يـأْخُذُ العيشَةَ فيه   مُرَّةً آناً ، وحُلوَه
يا عليِ إن أنتَ أَوفيْـ   ـتَ على سِنّ الفُتُوَّه
دافِعِ النّاسَ ، وزاحِمْ   وخُذِ العيْشَ بقُوَّه
لا تقلْ : كان أبي ! إيّـــاكَ أن تَخْلُوَ خَلْوَه !
أنا لم أغنَمْ من النا   سِ سوى فنجان قهوَه
أنا لم أُجْزَ عن المَدْ   ح من الأملاكِ فروَه !
أنا لم أُجْزَ عن الكتْـــبِ من القرّاء حُظوَه !
ضَيَّعَ الكلُّ حياتِي   وعفافي ، والمُرُوَّه !

(١) الغنوة . الغنى ، يقول : هو في غنى عن سلوك طريقي .

يَوْمُ فِرَاقه

« وقال وقد بكى طفلاه وتشبثا به الا يخرج »

بكيا لأَجل خُروجِهِ فى زَوْرَةٍ
يا ليْتَ شِعْرى . كيفَ يومُ فِراقِهِ ؟!
لو كان يَسمَعْ يَومَذاك بُكاهُما
رُدَّتْ إليهِ الروحُ من إشفاقه

مَظْلوم

• وكتب الى عزيزه وظهيره صاحب العطوفة المرحوم احمد مظلوم باشا من باريز . يهنئه بالنشان المجيدى الاول .

أقسمتُ لوْ أمَرَ الزمانُ سماءَه
فسعَتْ لِصَدْرِك شمسُها ونُجُومُها

لِيُنيلَ قدْرَك فى المعالى حَقَّه
شكَت المعالى أنه مَظلومُها

سَرَّنَا أَنَّكَ ٱرْتَقَيْتَ

« وبعث من باريز بهذا التاريخ الى صاحب السعادة محمود شكرى باشا يهنئه برتبة المتمايز .

<table>
<tr><td>ياعزيزاً لنا بمصر عَلِمنا</td><td>أنّه بالرِّضا الخديوىِّ فائِز</td></tr>
<tr><td>سَرَّنا أنكَ ارتقيْتَ وترقَى</td><td>فكأنَّا نحوزُ ما أنتَ حائز</td></tr>
<tr><td>رُتبةٌ ألسُنُ العُلا أرَّختْها</td><td>أنت محمودٌ فى العُلا المُتَمايِز</td></tr>
</table>

١٩٠٣

بلّغتنى أملا

« وقال يشكر صاحب العطوفة المرحوم
احمد مظلوم باشا على معروف صنعه معه »

ذى همةٍ دونها فى شأوها الهممُ — لم تتّخذ «لا» ، ولم تكذيب لها «نعمُ»

بلّغتنى أملاً ما كنتُ بالغَهُ — لولا وفاؤك – يامظلومُ – والكرَمُ

وِدَادُك العِزُّ والنُّعمى لخاطِبه — ووُدُّ غيرك ضحكُ السِّنِّ ، والكَلِم

أكلَّما قَعَدَتْ بى عنك معذرةٌ — مَشتْ إلىّ الأيادى منكَ والنِّعم

نُجِلُّ فى قلَم الأوطانِ حامِلَهُ — فكيف يَصبرُ عن إجلالِك القلم ؟

أَصِيبَ الْمَجْدُ يَوْمَ أُصِبْتَ

وكتب الى صديقه المفضال سعادة المرحـــــوم اسماعيل باشا صبرى يهنئه بالسلامة ، على أثر حادثة فى القطار ،

انتبني الصُّحْفُ عنك مُخبِّرَاتٍ بحادِثةٍ ولا كالحادِثاتِ

بخَطبِكَ فى القِطار أبا حُسَيْنٍ وليس منَ الخُطوبِ الهيِّنات

أصيبَ المجدُ يومَ أُصِبْتَ فيه ولم تخْلُ الفضيلةُ منْ شَكاة

وساء الناس أنْ كبَتِ المعالى وأزعجَهُمْ عِثارُ المَكرُمات

ولستُ بناسٍ الآدابَ لمَّا تَراءتْ رَبُّها مُتلهِّفات

وكان الشِّعْرُ أجزَعَها فُؤادًا وأحرَصَها لديْكَ على حياة

هَجَرْتَ القوْلَ أياماً قِصارًا فكانَتْ فَترةً للمُعْجِزات

وإن لياليًا أمسكْت فيها لسُودٌ لليَراعِ وللدَّواة

فقلْ لى عن رُضوضِك : كيف أمْستْ ؟ فقَلبى فى رُضوضٍ مُؤْلِمات

وهَبْ لى مِنك خَطًّا أو رسولاً يُبَلِّغُ عَنكَ كلَّ الطَّيِّبات

سألْتُكَ بالوِدَادِ

« وكتب الى سعادته مهنئه بتعيينه وكيلا لنظارة الحقانية »

سألْتُكَ بالوِدادِ أبا حُسينٍ ... وبالذِّمَمِ السَّوالِفِ والعُهودِ

وحبٌّ كامِنٍ لكَ في فؤادى ... وآخَرَ فى فُؤادِكَ لى أكيد

أَحَقٌّ أنَّ مَطْوِيٌّ الليالى ... سَيُنْشَرُ بين (أحمدَ) و(الوليدِ)؟(١)

وأنَّ مناهِلاً كنَّا لدَيْها ... ستدْنو للتَّأنُّسِ والوُرود ؟

قدومُكَ فى رُقِيِّكِ فى نَصيبى ... سُعودٌ فى سُعودٍ فى سعود

وَفَدْتَ على رُبوعِكَ غِيبٌ نَأْىٍ ... وكنتَ البدْرَ مأْمولَ الوُفود

لئِنْ رَفعوكَ مَنزلَةً فأعلى ... لقدْ خُلِقَ الأَهِلَّةُ للصُّعود

وأُقسِمُ ما لرفعَتِكَ انتِهاءٌ ... ولا فيها احتِمالٌ للمزيد

---

(١) احمد والوليد : المتنبى والبحترى .

اهْنَأْ أخِى

« وكتب الى صديقه الفاضل صاحب العزة حمزة بك فهمى يهنئه برتبة المتمايز الرفيعة : »

قالوا « تمايَزَ » حمزَةُ فلتُ : « التَّمَايُزُ » من قديمِ
لو لم يَميزوهُ بها لامْتازَ بالخُلُقِ العظيم
رُتَبٌ كرائِمُ فى العُلا وُجِّهْنَ منكَ إلى كريم
فاهنَأْ أخِى بِوُفودِها وتلقَّ تَهنِئَةَ الحَميم
وارْقَ المنازلَ كلَّها حتّى تُنِيفَ على النُّجوم

يا نَصِيب

« وقال يداعب صديقه الشاعر خليل بك مطران ، وقد جاءه أنه ربح ربحا »

لقد وافتْنىَ البُشرى وأُنْبِئْتُ بما سَرَّا

وقالوا عنكَ لى أمسِ ربِحتَ النُمرَةَ الكبرى

فيا مُطرانُ ، ما أولى ويا مُطرانُ ، ما أحرى

لقد أقبلتِ الدنيا فلا تجزَع على الأُخرى

أخذتَ الصُّفرَ باليُمنى وكان الصُّفرُ باليُسرى

وكانت فِضَّةً بِيضًا فصارت ذَهبًا صُفرا

وقال البعضُ : ألفَيْنِ وقالوا : فوقَ ذا قَدْرَا

المُدَامَةُ

(وقال عن بعض شعراء الترك)

كنْ في التواضُعِ كالمُدا
مَةِ حين تُجْلى في الكُئوسْ
مَشَتِ اتّئادًا في الصُّدو
فحكَّموها في الرءُوسْ

تاريخ

وقال يؤرخ ديوانه الاول – الشوقيات –
وقد صدر في سنة ١٣١٧ هـ) :

وجَنَّاتٍ منَ الأَشعار فيها
جَنًى لِلمجْتَنِي من كلِّ ذوْق

تأَمَّلْ كَمْ تمنَّوْها وأَرِّخْ
لِشوقِيَّاتِ أَحمدَ أَيَّ شوْق

١٣١٧

أَلْيَقُ دِيوانٍ ظَهَرَ

«قال يؤرخ الشوميات أيضا»

مجمُوعَةٌ لأَحمَدٍ مُعْجِزُه فِيها بَهَرْ
تُعَدُّ فى تاريخِها أَليَقَ ديوانٍ ظَهَرْ

١٣١٧


الحكايات

أنتَ وأنا

يحكونَ أنَّ رَجُلا كُرْدِيًّا كان عظيمَ الجسمِ هَمْشَرِيًّا
وكان يُلقِي الرُّعْبَ في القلوبِ بكَثْرةِ السِّلاحِ في الجُيوبِ
ويُفْزِعُ اليَهودَ ، والنَّصارَى ويُرْعِبُ الكِبارَ ، والصِّغارا
وكلما مَرَّ هُناك وهُنا يَصيحُ بالناسِ : أنا ؟ أنا ! أنا !
نَمَى حديثُه إلى صبِيٍّ صغيرِ جِسمٍ ، بطلٍ ، قوِيٍّ
لا يَعْرِفُ الناسُ له الفُتُوَّةْ وليس مِمَّنْ يَدَّعون القوَّةْ
فقال للقوْمِ : سأُذْرِيكم به فتَعلمون صِدْقَه من كِذبه
وسارَ نحوَ الهَمْشَرِيِّ في عَجَلْ والناسُ مما سيكونُ في وَجَلْ
ومَدَّ نحوَه يَمينًا قاسِيَةْ بضربةٍ كادَتْ تكونُ القاضِيَةْ
فلم يُحَرِّكْ ساكِنًا ، ولا ارتبَكْ ولا انتَهى عن زَعمِه ، ولا تَرَكْ
بلْ قال للغالب قوْلاً لَيِّنا الآنَ صرْنا اثنيْن : أنتَ وأنا

نَديمُ الْبَاذِنْجَانِ

كان لسُلطانٍ نديمٌ وافِ ... يُعيدُ ما قال بِلا اختلافِ
وقد يزيدُ فى الثَّنا عليهِ ... إذا رأى شيئًا حَلا لديهِ
وكان مَولاهُ يَرى ، ويَعلمُ ... ويسمعُ التَّمليقَ ، لكنْ يَكتُمُ
فجلسَا يوماً على الخِوانِ ... وجِيء فى الأَكل بِباذِنجانِ
فأَكل السلطانُ منه ما أَكلْ ... وقال : هذا فى المذاق كالعسَلْ
قال النديمُ : صدقَ السلطانُ ... لا يستوى شُهدٌ وباذِنجانُ
هذا الذى غَنى به «الرئيسُ»[1] ... وقال فيه الشِّعْرَ «جالينوسُ»
يُذهِبُ ألفَ عِلَّةٍ وعِلَّهْ ... ويُبردُ الصَّدْرَ ، ويَشْفِى الغُلَّهْ
قال : ولكنْ عنْده مراره ... وما حَمدتُ مَرَّةً آثارَهْ
قال : نعم ، مُرٌّ ، وهٰذا عَيْبُه ... مُذْ كنتُ يامولاى لا أحِبُّه
هذا الذى مات به «بُقراطُ» ... وسُمٌّ فى الكأْسِ به «سُقراطُ»
فالتفتَ السلطان فيمنْ حولَهُ ... وقال : كيف تجدون قولَهْ ؟
قال النديمُ : يامَلِكَ الناسِ ... عُذرًا ، فما فى فعلتى من باسِ
جُعِلْتُ كىْ أنَادِمَ السلطانا ... ولم أنادمْ قَطُّ باذِنجانا

---

(١) الرئيس : ابن سينا .

ضِيافَةُ قِطَّة(١)

لستُ بناسٍ ليلةً من رَمَضانَ مَرَّتِ
تطاوَلتْ مثلَ ليا لى القطْب ،واكفهرَّتِ
إذِ انفلَتُّ من سُحو رى ، فدَخلتُ حُجرَتى
أنظُرُ فى ديوان شِعـــــرٍ ، أو كتابِ سِيرةِ
فلم يَرُعْنى غير صوْ تٍ كمُواء الهِرَّة
فقمْتُ ألقى السَّمْعَ فى السُّتُورِ ، والأَسِرَّة
حتى ظفِرْتُ بالتى علىَّ قد تَجرَّت
فمُذ بدت لى ، والتقتْ نَظرَتُها ونظرتى
عاد رَمادُ لَحْظِها مثلَ بَصيصِ الجَمرَة
وردّدَتْ فحِيحَها كحَنَشٍ بقَفْرَة
ولبِسَتْ لى من ورا ء السترِ جِلدَ النمرةِ
كرَّتْ ، ولكن كالجَبا نِ قاعدًا ، وفَرَّت
وانتفضتْ شواربًا عن مثلِ بيتِ الإبرة
ورفعت كفًّا ، وشا لتْ ذنبًا كالمذرة

(١) نشرت فى سنة ١٩٢٩ .

ثم ارتقت عن الهَوا ... اء ، فَعَوَتْ ، وهَرَّت
لم أجزها بشِرَّةٍ ... عن غضبٍ وشِرَّة
ولا غَبيتُ ضَعفَها ... ولا نَسِيتُ قُدْرَتِى
ولا رأيتُ غيرَ أُمٍّ ... بالبنينَ بَرَّة
رأيتُ ما يَعطِفُ نَفْـ ... سَ شاعرٍ من صورة
رأيتُ جِدَّ الأُمّها ... تِ فى بناء الأسْرَة
فلم أَزَلْ حتى اطمأنّ ... جأشُها ، وقَرَّت
أتيتُها بشَربَةٍ ... وجئتُها بكِسْرَة
وصُنتُها من جانِبَىْ ... مَرْقَدِها بسُترَتى
وزِدْتُها الدِّفء ، فقرَّ ... بْتُ لها مِجْمَرَتى
ولو وجدت مِصْيَدًا ... لجِئتُها بفأْرَة
فاضطجعَتْ تحت ظِلا ... لِ الأَمْنِ واسبَطرَّت
وقرأتْ أورادَها ... وما دَرَتْ ما قَرَت
وسَرَحَ الصِّغارُ فى ... ثُديِّها ، فدَرَّت
غُرُّ نجومٍ سُبَّحٌ ... فى جَنَبَاتِ السُّرة
اختلطوا ، وعَيِّثُوا ... كالعُمْى حَوْلَ سُفْرة

تَحسَبْهم ضَفادِعاً أَرسَلْتَها فى جَرَّةٍ

وقلتُ : لا بأْسَ على طِفلِكِ يا جُوَيرَتِى

تَمَخَّضى عن خمسةٍ إنْشِئتِ، أوعن عَشْرَة

أنتِ وأولادُكِ حتَّى يَكبروا فى حُفْرَتى

الصَّيَّادُ وَالْعُصْفُورَة (١)

حكايةُ الصَّيَّادِ والعُصفوره صارتْ لبعض الزاهدين صوره

ما هَزَءُوا فيها بمستَحِقٍّ ولا أرادوا أولياءَ الحقِّ

ما كلُّ أهلِ الزهدِ أهلُ اللهِ كمْ لاعبٍ فى الزاهدين لاه

جعلتُها شِعرًا لتَلْفِتَ الفِطَنْ والشِّعرُ للحكمةِ مُذْ كان وطَن

وخَيْرُ ما يُنْظَمُ للأديب ما نَطقَتْه ألسُنُ التَّجْرِيب

* * *

ألقَى غُلامٌ شَرَكا يَصطادْ وكلُّ من فوق الثَّرى صَيَّادُ

فانحدرتْ عُصفورةٌ من الشَّجرْ لم يَنْهَها النُّهىُ ، ولاالحزْمُ زَجَر

قالت : سَلامٌ أيُّها الغُلامْ قال : على العُصفورةِ السلامُ

قالت : صَبِىٌّ مُنْحَنِى القناةِ ؟ ! قال : حَنَتْها كثرةُ الصلاةِ

قالت : أراك بادِىَ العِظامِ ! قال : بَرَتْها كثرةُ الصيام

قالت : فما يكونُ هذا الصوفُ ؟ قال : لباسُ الزاهدِ الموصوفُ

سَلِى إذا جَهِلْتِ عارفيهِ فابنُ عُبيدٍ والفُضَيْلُ فيه

قالت: فما هذِى العَصا الطويلهْ ؟ قال : لِهاتِيكِ العَصا سَليله

أَهُشُّ فى المَرْعَى بها ، وأتّكى ولا أَرُدُّ الناسَ عن تبرُّكِ

(١) زيدت فى هذه الطبعة الثانية

قالت: أرى فوق التراب حَبَّا ... مما اشتهى الطيرُ ، وما أَحَبَّا

قال: تَشبَّهْتُ بأهل الخيرِ ... وقلت أَقرِى بائساتِ الطَّيْرِ

فإنْ هَدَى اللهُ إليه جائعا ... لم يَكُ قربانى القليلُ ضائعا

قالت: فجُدْ لى يا أخا التَنسُّكِ ... قال: الْقُطِيه . بارَكَ اللهُ لكِ

فصَلِيَتْ فى الفخِّ نار القارِى ... ومَصْرَعُ العصفورِ فى المِنْقار

وهتَفَتْ تقول للأغرارِ ... مقالةَ العارفِ بالأسرار :

«إياكَ أن تَغتَرَّ بالزُّهَّادِ ... كم تَحتَ ثوبِ الزُّهدِ من صَيادِ!»

الْبَلَابِلُ الَّتِي ربَّاهَا الْبُوم

أُنْبِئْتُ أَنَّ سُلَيْمانَ الزَّمَانِ ومَنْ ... أَصْبَى الطُّيُورَ ، فناجَتْهُ ، وناجاها
أعطَى بَلابلَهُ يوماً — يُؤدِّبُها ... لِحرمةٍ عندَه — لِلبُومِ يَرعاها
واشتَاقَ يوماً مِنَ الأيامِ رُؤْيَتَها ... فأَقبلَتْ وهْيَ أَعْصَى الطَّيْرِ أفواها
أصابَها العِيُّ ، حتى لا اقتِدَارَ لها ... بأَنْ تَبُثَّ نبيَّ اللهِ شَكواها
فنالَ سيِّدَها من دائها غَضَبٌ ... وودَّ لو أنه بالذَّبحِ داواها
فجاءه الهُدْهُدُ المعهُودُ مُعْتَذِرًا ... عنها ، يقولُ لِموْلاهُ ومولاها
بلابِلُ اللهِ لم تخرَسْ ، ولا وُلِدَتْ ... خُرْساً ، ولكنَّ بُومَ الشؤْمِ ربَّاها

الدِّيكُ الْهِنْدىُّ وَالدَّجَاجُ الْبَلَدى

بَينَا ضِعافٌ من دَجاج الرِّيفِ تَخطِرُ فِى بيتٍ لها طريفِ
إذا جاءها هِنْدِى كبيرُ العُرْفِ فقام فى البابِ قيامَ الضَّيْفِ
يقولُ : حيَّا اللهُ ذى الوُجُوها ولا أراها أبدًا مكرُوها
أتيْتُكم أَنشُرُ فيكم فضلى يوماً ، وأقضى بَينَكم بالعدْلِ
وكلٌّ ما عِندَكُمُ حرامُ علىّ ، إلا الماءُ ، والمنامُ
فعاودَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ وفتحت لِلعلجِ بابَ العُشِّ
فجالَ فيه جوْلةَ المَليكِ يدعو لِكلِّ فرْخةٍ وديكِ
وباتَ تِلكَ الليلةَ السَّعيدَهْ مُمتَّعاً بدارِهِ الجديدَهْ
وباتتِ الدَّجاجُ فى أمانِ تحلمُ بالذِّلةِ والهوانِ
حتى إذا تهلَّلَ الصباحُ واقتبَستْ من نورِهِ الأشباحُ
صاحَ بِها صاحبُها الفصيح يقولُ : دامَ منزلى المَليحُ !
فانتَبهتْ من نَومِها المَشئومِ مذعورَةً من صيحةِ الغَشوم
تقولُ : ما تِلكَ الشروطَ بيننا غَدَرْتنا واللهِ غدرًا بيِّنا !
فضَحِكَ الهِنْدِىُّ حتى استلقى وقَال: ما هٰذا العَمَى يا حَمْقَى ؟!
متى ملكتُمْ أَلْسُنَ الأربابِ ؟ قد كان هذا قبلَ فتحِ البابِ !

الْعُصْفُورُ والْغَدِيرُ الْمَهْجُورُ

أَلَمَّ عُصفورٌ بمجرًى صافِ ... قد غاب تحتَ الغابِ فى الأَلفاف
يَسقِى الثَّرَى من حيثُ لا يدرِى الثرى ... خشيَةَ أن يُسمَعَ عنه ، أو يُرَى
فاعترَفَ العصفورُ من إحسانِه ... وحرَّكَ الصَّنيعُ من لِسانِه
فقالَ : يا نورَ عُيونِ الأَرضِ ... ومُخجِلَ الكوثرِ يومَ العَرْضِ
هل لكَ فى أن أرْشِدَ الإنسانا ... لِيَعْرِفَ المكانَ والإمكانا ؟
فينظُرَ الخيْرَ الذى نظرْتُ ... ويشكرَ الفضلَ كما شكرْتُ ؟
لعلَّ أن تُشهَرَ بالجميل ... وتُنسِىَ الناسَ حديثَ النِّيل ؟
فالتفتَ الغديرُ لِلعُصفور ... وقال يُهدِى مُهجَةَ المغْرُور
يا أَيُّها الشاكِرُ دونَ العالَمِ ... أَمَّنكَ اللهُ يدَ ابنِ آدمِ
النِّيلُ - فاسمعْ ، وافهَمِ الحديثا - ... يُعطِى ؛ ولكنْ يأْخُذُ الخبيثا
من طُولِ ما أَبصرَهُ الناسُ نُسِى ... وصار كلُّ الذِّكرِ لِلمهندِس
وهكذا العَهدُ بِوُدِّ الناسِى ... وقيمةُ المحسِن عندَ الناس
وقد عَرفتَ حالتى ؛ وضِدَّها ... فقلْ لِمَنْ يسأَلُ عنِّى بَعدَها
إنْ خفِىَ النافعُ فالنفعُ ظَهَرْ ... يا سَعْدَ مَنْ صَافَى ، وصُوفِى ، واستتَر !

الأَفْعَى النِّيلِيَّةُ وَالْعَقْرَبَةُ الْهِنْدِيَّة

وهٰذِهِ واقعةٌ مُسْتغرَبهْ ... فى هَوَسِ الأَفعَى وخُبثِ العَقرَبَهْ

رأيتُ أَفعَى من بناتِ النِّيلِ ... مُعجَبَةً بِقدِّها الجميلِ

تحتَقِرُ النصْحَ ،وتجفوالنَّاصِحا ... وتَدَّعى العقلَ الكبيرَ الرَّاجِحا

عَنَتْ لها رَبيبَة السِّباخِ ... تحمِلُ وَزْنَيْها منَ الأَوساخ

فحسِبَتْها — والحِسابُ يُجدى— ... ساحرَةً من ساحراتِ الهِندِ

فانخرَطَتْ مثلَ الحُسامِ الوالجِ ... واندفعت تِلكَ كَسَهْم زالج

حتى إذا ما أبلَغَتْها جُحْرَها ... دارتَ عليه كالسِّوارِ دَوْرَها

تقولُ : يا أُمَّ العَمَى والطَّيْشِ ... أينَ الفِرَارُ يا عدُوَّ العَيْش ؟

إن تِلجى فالموتُ فى الولُوج ... أَو تخرُجى فالهُلكُ فى الخروجِ

فسكتَتْ طريدَةُ البُيوتِ ... واغتَرَّتِ الأَفعى بذا السكوت

وهجَعَتْ على الطريقِ هجْعهْ ... فخرجَتْ ضَرَّتُها بسُرعَهْ

ونَهضتْ فى ذِرْوَةِ الدماغِ ... واسترْسَلتْ فى مُؤلِمِ التَّلْداغِ

فانتبهَت كالحالم المذعور ... تصيحُ بالويل ، وبالثُّبور

حتى وهَت من الفتاة القوهْ ... فنزلت عن رأسها العدُوَّهْ

تقول : صبرًا للبَلاء ، صبرا وإنْ وجَدْتِ قسْوَةً فعُذرا

فرأسُك الداءُ ، وذا الدواءُ وهكذا فلتُرْكبهُ الأعداءُ

منْ مَلَكَ الخَصْمَ ونامَ عنه يُصْبحُ يَلقَى ما لقيت منه

لولا الذى أبصرَ أهلُ التَّجْرِبَهْ مِنِّى لمَا سمُّوا الخبيثَ عقرَبهْ

السَّلُوقِيُّ وَالْجَوَادُ

قال السَّلوقِى مرَّةً للجَواد ... وهْوَ إلى الصَّيْدِ مَسُوقُ القِيادْ

باللهِ قلْ لِي يارفيقَ الهنا ... فأنتَ تدْرى لى الوفا فى الوِدادِ

ألستَ أهلَ البيدِ ، أهلَ الفَلا ... أهلَ السُّرى والسَّيرِ ،أهلَ الجِهاد؟

ألمْ تكنْ رَبَّ الصفاتِ التى ... هامَ بها الشاعِرُ فى كلِّ واد ؟

قال : بلى ، كل الذى قلْتَه ... أنا به المشهورُ بين العباد

قال : فما بالُكَ ياصاحِبِى ... إذا دعا الصَّيدُ ، وجَدَّ الطِّرادِ

تشكو ، فتُشكيكَ عصا سيِّدى ... إنّ العصا ما خُلِقَتْ للجوَاد

وتَنثنى فى عَرَقٍ سائِلٍ ... مُنكَّسَ الرَّأسِ ، ضَئيلَ الفُؤاد

وذا السَّلوقى أبدًا صابِرٌ ... ينقادُ للمالِكِ أىَّ انقِياد؟

فقال : مهلا يا كبيرَ النُّهى ... ما هكذا أنظارُ أهلِ الرَّشاد

السرُّ فى الطَّيْرِ وفى الوحشِ لا ... فى عَظْمِ سيقانِكَ ياذا السَّدادِ

ما الرِّجْلُ إلا حيثُ كان الهوى ... إنّ البُطُونَ قادراتٌ شِداد

أمَا تَرى الطَّيْر على ضَعْفِها ... تَطوى إلى الحَبِّ مئات البلاد؟

فَأْرُ الْغَيْطِ وَفَأْرُ الْبَيْتِ

يُقالُ : كانتْ فأْرةُ الغيطانِ تَتيهُ بابنيْها على الفيرانِ !
قد سَمَّتِ الأكبرَ نُورَ الغَيْطِ وعَلَّمَتْه المشْىَ فوقَ الخيْطِ
فعرَفَ الغِيَاضَ والمُرُوجا وأتقَنَ الدُّخولَ والخُروجا
وصارَ فى الحِرْفةِ كالآباءِ وعاش كالفلاحِ فى هناءِ
وأتعبَ الصَّغيرُ قلبَ الأُمِّ بالكِبْرِ ، فاحتارَتْ بما تُسَمِّى
فقال سمِّينى بنورِ القصْرِ لأننى - يا أُمُّ - فأْرُ العصْرِ
إنى أرى ما لم يرَ الشَّقيقُ فلِى طريقٌ ، وله طريقُ
لأَدْخُلَنَّ الدارَ بعدَ الدارِ وثْبًا منَ الرَّف إلى الكرارِ
لعلَّنى إن ثَبَتَتْ أقدامى ونلتُ - ياكلَّ المنى - مَرامى
آتيكما بما أرى فى البيتِ من عسلٍ ، أو جُبْنَةٍ ، أو زيتِ
فعطَفَتْ على الصغيرِ أُمُّهْ وأقبلَتْ من وَجْدِها تضُمُّهْ
تقولُ : إنى - ياقتيلَ القوتِ - أخشى عليكَ ظُلمةَ البُيوتِ
كان أبوكَ قد رأى الفلاحا فى أن تكون مِثْلَه فلّاحا
فاعملْ بِما أوصى تُرِحْ جَنانِى أولا ، فسِرْ فى ذِمَّةِ الرحمٰنِ
فاستضحكَ الفأْرُ ، وهزَّ الكتِفَا وقال : من قال بذا قد خَرِفا
ثم مضى لِما عليه صَمَّما وعاهدَ الأُمَّ على أن تكتُما
فكان يأْتى كل يومِ جُمْعَهْ وجُبْنَةٌ فى فمِه ، أو شمعَهْ

حتى مَضى الشهرُ ، وجاء الشهرُ   وعُرِف اللِّصُّ ، وشاعَ الأمر
فجاء يوماً أمَّه مُضْطَرِباً   فسألَته : أينَ خلَّى الذَّنبا ؟
فقال : ليسَ بالفقيدِ من عَجبْ   فى الشهدِ قدغاصَ ، وفى الشهدِ ذَهَب
وجاءها ثانيةً فى خَجَلِ   منها يُدارى فقْد إحدى الأَرجُل
فقال : رفٌّ لم أصِبْهُ عالى   صيَّرَنى أعرج فى المعالى
وكان فى الثالثةِ ابنُ الفارَهْ   قد أخلفَ العادةَ فى الزيارهْ
فاشتغَلَ القلبُ عليه ، واشتعلْ   وسارت الأُمُّ له على عَجَل
فصادَفْته فى الطريقِ مُلْقَىٰ   قد سُحِقَت منه العِظامُ سَحْقا
فناحتِ الأُم ، وصاحتْ : واهًا !   إن المعالى قَتلت فتاها !

مَلكُ الْغِرْبَانِ وَنُدُور الْخَادِم

كانَ لِلغربانِ فى العصرِ مَلِيكْ ‏ ‏ ‏ ‏ ولهُ فى النخلةِ الكبرىٰ أَرِيكْ

فيه كرسىٌّ ، وخِدْرٌ ، ومُهودْ ‏ ‏ ‏ ‏ لِصغارِ المُلك أصحابِ العُهودِ

جاءَهُ يوماً ندورُ الخادِمُ ‏ ‏ ‏ ‏ وهْوَ فى البابِ الأمينُ الحازِمُ

قال : يا فرْعَ الملوكِ الصالِحينْ ‏ ‏ ‏ ‏ أنت مازِلْتَ تُحِبُّ الناصِحِينْ

سُوسةٌ كانت على القصرِ تدورْ ‏ ‏ ‏ ‏ جازتْ القصرَ ، ودبَّتْ فى الجُدور

فابعَث الغِربانَ فى إهلاكِها ‏ ‏ ‏ ‏ قبلَ أن نَهلِكَ فى أشْراكِها

ضَحكَ السُّلطانُ من هذا المَقال ‏ ‏ ‏ ‏ ثم أدنَى خادِمَ الخيرِ ، وقال :

أنا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضافى الجَناح ‏ ‏ ‏ ‏ أنا ذو المنقارِ ، غَلَّابُ الرياح

« أنا لا أنظرُ فى هذِى الأُمور » ‏ ‏ ‏ ‏ أنا لا أبصر تحتى يانُدور !

ثم لمَّا كان عامٌ بعدَ عامْ ‏ ‏ ‏ ‏ قام بينَ الريحِ والنخلِ خِصامْ

وإذا النخلةُ أقوى جِذعُها ‏ ‏ ‏ ‏ فبدا للرِّيحِ سهلًا قلعُها

فَهَوَتْ لِلأَرضِ كالتَّلِّ الكبير ‏ ‏ ‏ ‏ وَهَوَى الديوانُ ، وانقضَّ السَّرير

فدَهاالسُّلطانَ ذا الخَطْبُ المَهول ‏ ‏ ‏ ‏ ودعا خادمَهُ الغالى يقول :

يانُدورَ الخيرِ ، أَسعِفْ بالصياح ‏ ‏ ‏ ‏ ما تَرى ما فعلَتْ فينا الرياح ؟

قال : ياموْلاىَ ، لا تَسأَل نُدور ‏ ‏ ‏ ‏ « أنا لا أنظرُ فى هٰذِى الأُمور » !

الظَّبْيُ وَالْعِقْدُ وَالْخِنْزِير

ظبْيٌ رأى صورتَهُ فى الماءِ فرفع الرأْسَ إلى السماءِ

وقال ياخالِقَ هذا الجيدِ زِنْهُ بِعِقدِ اللؤْلؤِ النَّضِيدِ

فسمِعَ الماءَ يقولُ مُفصِحَا طلبْتَ ياذا الظَّبْيُ مالن تُمنَحا

إنَّ الذى أعطاكَ هذا الجِيدَا لم يُبقِ فى الحسنِ له مَزِيدا

لو أن حُسنَهُ على النُّحورِ لم يخرج الدُّر من البُحور

فافتتَن الظبىُ بِذِى المقالِ وزادهُ شوقاً إلى اللآلى

ولم يَنلهُ فمُهُ السقيمُ فعاش دهرًا فى الفَلا يَهيم

حتى تَقضَّى العمرُ فى الهُيامِ وهجْرِ طِيبِ النَّومِ والطعام

فسارَ نحوَ الماءِ ذاتَ مرَّةْ يَشكو إليه نفعَهُ وضرَّه

وبينما الجارانِ فى الكلام أقبلَ راعى الدَّيرِ فى الظلام

يتبَعُه حيثُ مشى خِنزيرُ فى جِيدِهِ قِلادةٌ تُنير

فاندَفَع الظبْىُ لذاكَ يَبكى وقال من بعدِ انجلاءِ الشَّكِ

ما آفةُ السعيِ سوَى الضلالِ ما آفةُ العمرِ سوى الآمال

لولا قضاءُ الملِكِ القديرِ لما سعى العِقدُ إلى الخِنزير

فالتفتَ الماءُ إلى الغزال وقال : حالُ الشيخِ شرُّ حال

لاعَجَبٌ ؛ إن السنينَ مُوقِظَهْ حفِظْتَ عُمرًا لوحَفِظْتَ مَوعِظَهْ

وَلِىُّ عَهْدِ الْأَسَدِ وَخُطْبَةُ الْحمَار

لمَّا دَعَا داعِى أَبِى الأَشبالِ مُبشِّرًا بأَوّلِ الأَنجالِ
سعَتْ سباعُ الأَرضِ والسماءِ وانعقَد المجلسُ للهَناءِ
وصَدَرَ المرسومُ بالأَمانِ فى الأَرضِ للقاصى بها والدَّانى
فضَاقَ بالذيُولِ صحنُ الدار من كلِّ ذى صُوفٍ وذى مِنقار
حتى إذا استكملَتِ الجمعيَّهْ نادى منادى اللَّيْث فى المَعيَّهْ
هل من خطيبٍ محسِنٍ خبيرِ يدعو بطول العمر للأَمير ؟
فنَهضَ الفيلُ المشيرُ السامى وقال ما يليقُ بالمقام
ثم تلاه الثَّعْلَبُ السفيرُ يُنشدُ ، حتى قيلَ : ذا جرير
واندفعَ القردُ مديرُ الكاسِ فقيلَ : أَحسنتَ أَبا نُواسِ !
وأَوْمأَ الحِمارُ بالعقيرَه يريدُ أن يُشرِّفَ العشيره
فقال : باسمِ خالِقِ الشعيرِ وباعِثِ العصا إلى الحمير ! . .
فأَزعج الصَّوتُ وَلِىَّ العَهدِ فماتَ من رِعْدَتِه فى **المَهدِ**
فحمَلَ القومُ على الحِمارِ بجُملةِ الأَنيابِ والأَظفار
وانتَدبَ الثَّعلبُ لِلتأْبينِ فقال فى التعريضِ **بالمسكين**:
لا جعَلَ اللهُ له قرارًا عاشَ حِماراً ومضى حمارا !

الأَسَدُ والثَّعْلَبُ والعِجْل

نظرَ اللَّيْثُ إلى عجلٍ سمينْ كان بالقربِ على غيْطٍ أمينْ
فاشتَهتْ من لحمه نفسُ الرئيس وكذا الأنفسُ يُصْبيها النفيس
قال للثعلبِ : ياذا الاحتيال رأسُكَ المحبوبُ ـ أوذاك الغزال !
فدعا بالسَّعدِ والعُمرِ الطويل ومضى فى الحالِ للأَمْرِ الجليل
وأتى الغَيْطَ وقد جَنَّ الظلام فرأى العجلَ فأهداهُ السلام
قائلا : يَأَيُّها المولَى الوزيرْ أنت أهلُ العفوِ والبِرِّ الغزير
حَمَلَ الذِّئبَ على قتلى الحَسَد فوشَى بى عندَ مولانا الأَسد
فترامَيْتُ على الجاهِ الرفيع وهْوَ فينا لم يزَل نِعمَ الشَّفيع !
فبكى المغرورُ من حالِ الخبيث ودنا يسأَلُ عن شرحِ الحديث
قال :هل تَجهلُ ياحُلْوَ الصِّفات أنّ مولانا أبا الأَفيالِ مات ؟
فرأى السُّلطانُ فى الرأس الكبير موطنَ الحكمةِ والحِذقِ الكثير
ورآكم خيْرَ مَن يُستَوْزَرُ ولأَمْرِ المُلكِ ركنًا يُذخر
ولقد عدُّوا لكم بين الجُدود مثل آبِيسَ ومَعبودِ اليهود
فأَقاموا لمعاليكم سرِير عن يمين الملكِ السامى الخطير
واستَعدَّ الطير والوحشُ لذاك فى انتظار السَّيدِ العالى هناك
فإذا قمتمْ بأَعباء الأُمورْ وانتَهى الأُنسُ إليكم والسرورْ
برِّئونى عندَ سُلطانِ الزمان واطلبوا لى العَفْوَ منه والأَمان

وكفاكم أننى العبدُ المُطيع أخدُمُ المُنْعِمَ جهدَ المستطيع

فأَحَدَّ العِجلُ قرْنيْهِ ، وقال : أنتَ مُنذُاليوم ِجارى ، لاتُنال!

فامْضِ واكشِفْ لى إلى الليثِ الطريق

أنا لا يَشْقىٰ لدَيْهِ بى رَفيق

فمَضى الخِلَّانِ تَوًّا للفَلاه ذا إلى الموتِ ، وهذا للحَياه

وهُناك ابتَلعَ الليثُ الوزير وحبَا الثعلبَ منه باليَسير

فانثنى يضحكُ من طيشِ العُجولْ وجَرى فى حَلْبَةِ الفَخْرِ يقولْ :

سلِمَ الثعلبُ بالرأسِ الصغير ففَداه كلُّ ذى رأسٍ كبير !

الْقِرْدُ وَالْفِيلُ

قِرد رأى الفيلَ على الطَّريقِ ... مُهرولاً خَوفا من التَّعْويق
وكان ذاك القِردُ يصفُ أعمى ... يُريد يُحْصِى كلَّ شىء عِلما
فقال : أهلا بأبى الأهوالِ ... ومرحبا بِمُخْجِلِ الجبالِ
تَفدِى الرُّءُوس رأسَكَ العظِيما ... فقِف أشاهدْ حُسْنَك الوَسِيما
للهِ ما أظرفَ هذا القَدَّا ... وألطَف العَظْمَ وأبهى الجلدا !
وأملَح الأذْنَ فِى الاسترسالِ ... كأنَّها دائرةُ الغِربالِ !
وأحسَنَ الخُرطومَ حين تاهَا ... كأنه النخلةُ فى صِباها !
وظَهرُك العالى هو البِساطُ ... للنفْسِ فى رُكوبِهِ انبساطُ
فعدَّها الفيلُ من السُعودِ ... وأمَرَ الشاعِرَ بالصُّعود
فجالَ فى الظَّهْرِ بلا تَوَانِ ... حتى إذا لم يَبقَ من مكان
أوفى على الشىء الذى لا يُذكرُ ... وأدخَلَ الأصبُعَ فيه يَخبُرُ
فاتهَم الفيلُ البَعوضَ ؛ واضطَربْ ... وضيَّقَ الثُّقْب ، وصالَ بالذَّنَبْ
فوقَعَ الضربُ على السليمه ... فلحِقَتْ بأُختِها الكريمه
ونزل البصيرُ(١) ذا اكتِئابِ ... يشكو إلى الفيلِ من المُصابِ
فقال : لا مُوجِب للندامه ... الحمد لله على السلامه
من كان فى عينيْه هذا الداءُ ... ففى العَمى لنفسِه وقاءُ

(١) البصير : الأعمى .

الشَّاةُ وَالْغُرَابُ

مَرَّ الغُرابُ بشاةٍ قد غابَ عنها الفطيمُ
تقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ منها كليمٌ :
ياليْت شِعْرىَ يا ابنِى وواحِدِى ، هل تَدوم ؟
وهل تكونُ بجَنْبى غدًا على ما أرُوم ؟
فقال : يا أُمَّ سعدٍ هذا عذابٌ أليم
فكَّرتِ فى الغَدِ . والفِكـــرُ مُقعِدٌ ومُقيم
لكلِّ يومٍ خُطُوبٌ تكفى ، وشُغلٌ عظيم
وبينما هُوَ يهذِى أتى النَّعِىُّ الذَّميم
يقول : خَلَّفْتُ سعْدًا والعَظمُ منه هَشيم
رأى منَ الذِّئبِ ما قد رأى أبوه الكريم
فقال ذو البَيْنِ للأُم حين ولَّتْ تَهيم :
إن الحكيمَ نبيٌّ لسانُه معصوم
ألم أقلْ لكِ توا لكل يومٍ هُموم ؟
قالت : صدقتَ ، ولكِنْ هذا الكلامُ قديم
فإن قَوْمىَ قالوا : وجْهُ الغُراب مَشوم

أُمَّةُ الْأَرَانِب وَالْفِيلُ

يَحكون أن أُمَّةَ الأَرانِبِ   قد أخَذَت من الثرَى بجانِبِ

وابتَهجَت بالوطنِ الكريمِ   ومَوْئِلِ العِيالِ والحريمِ

فاختارَه الفيلُ له طريقَا   مُمزِّقاً أصحابَنا تمزيقا

وكان فيهم أرنبٌ لبيبُ   أذهَبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريب

نادى بهم : يامَعشرَ الأَرانبِ   من عالِمٍ ، وشاعرٍ ، وكاتب

اتَّحِدوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافى   فالاتحادُ قوَّةُ الضِّعاف

فأَقبَلوا مُستَصْوِبين رايَهْ   وعقدوا للاجتماعِ رايه

وانتخبوا من بينِهم ثلاثه   لا هَرَماً راعَوْا ، ولا حَداثه

بل نظروا إلى كمالِ العقلِ   واعتَبروا فى ذاك سِنَّ الفضْل

فنهض الأوَّلُ للخِطاب   فقال : إنَّ الرأىَ ذا الصواب

أن تُترَكَ الأَرضُ لذى الخُرطومِ   كى نستريحَ من أذى الغَشوم

فصاحَت الأَرانبُ الغَوالى :   هذا أَضَرُّ من أبى الأَهوال

ووثبَ الثانى فقال : إنى   أَعهَدُ فى الثعلبِ شيخَ الفنِّ

فلندْعُه يُمِدَّنا بحِكمتِهْ   ويأخذ اثنيْنِ جزاءَ خدمتِه

فقيل . لا ياصاحبَ السُّمُوِّ   لا يُدفعُ العدوُّ بالعدوِّ

وانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ   فقال : يامعاشِرَ الأَقوامِ

اجتمِعوا ؛ فالاجتِماع قوَّهْ   ثم احفِروا على الطريق هُوَّه

يهوى إليها الفيلُ فى مرورِه فنستريحُ الدهرَ من شرورِه

ثم يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيل

فاستَصْوَبوا مقالهُ ، واستَحْسَنوا وعملوا من فَوْرِهم ، فأحسَنوا

وهلكَ الفيلُ الرفيعُ الشّانِ فأمستِ الأُمّةُ فى أمان

وأقبلَتْ لِصاحِبِ التدبيرِ ساعيَةً بالتاجِ والسريرِ

فقال : مهلا يا بَنى الأوطانِ إنّ محلّى لَلمَحَلُّ الثانى

فصاحبُ الصّوتِ القوىِّ الغالبِ مَنْ قد دعا : يا مَعشرَ الأرانبِ

حكَايَةُ الْخُفَّاش وَمَليكَةُ الْفَرَاش

مرَّتْ على الخُفاشِ مليكةُ الفَراشِ

تطيرُ بالجموعِ سعيًا إلى الشموعِ

فعطَفتْ ومالت واستضحكَتْ فقالت :

أزرَيْتَ بالغرامِ يا عاشق الظلامِ

صِفْ لى الصديقَ الأسْودَا الخاملَ المُجَرَّدا (١)

قال : سألتِ فيه أصدَقَ واصِفيهِ

هو الصديقُ الوافى الكاملُ الأوصافِ

جِـــوارُهُ أمانُ وسِـــرُّه كتمانُ

وطرفُه كليـــلُ إذا هفا الخليلُ

يحنو على العشَّاق يَسمعُ لِلمشتاق

وجُمـــلةُ المقـــالِ هو الحبيبُ الغالى

* * *

فقالتِ الحمقـــاءُ وقولُها استِهـــزاءُ

---

(١) تعنى الليل : والخفاش لا يانس الا بالظلام .

أينَ أبو المِسْكِ الخَصِى ذو الثَّمَنِ المُسْتَرْخَصِ (١)
مِنْ صاحِبِى الأَميرِ الظاهِرِ المنيرِ ؟ (٢)
إن عُدَّ فيمن أَعرِفُ أَسمُو بِهِ وأَشرُفُ
وإن سُئِلتُ عنهُ وعن مكانى منهُ
أفاخِرُ الأَترابا وأَنثنى إعجابَا

* * *

فقال : يا مَليكهْ ورَبَّةَ الأَريكهْ
إنَّ منَ الغُرورِ ملامَةَ المغرورِ
فأَعطِنى قفاكِ وامضِى إلى الهلاكِ

* * *

فترَكتْه ساخِرَهْ وذهَبتْ مُفاخِرهْ
وبعد ساعةٍ مضَتْ من الزمانِ فانقضَتْ
مَرَّتْ على الخُفَّاشِ مَليكةُ الفَراشِ
ناقصةَ الأَعضاءِ تشكو من الفَناءِ
فجاءها مُنهَمِكا يُضحِكه منها البُكا
قال : أَلم أَقل لكِ هَلكْتِ أَو لم تَهلِكى
رُبَّ صديقٍ عبدِ أَبيَضُ وجهِ الوُدِّ

---

(١) أبو المسك الخصى : كافور الاخشيد وكان عبدا أسود .
(٢) تعنى الضوء .

يَفديك كالرَّئيسِ بالنَّفْسِ والنفيسِ

وصاحِبٍ كالنُّــورِ في الحُسْنِ والظهورِ

مُعْتَكِرِ الفــؤادِ مُضَيِّعِ الودادِ

حِبــالُه أَشــراكْ وقُرْبُه هلاكْ ؟

الأَسَدُ وَوَزِيرُهُ الحِمَارُ

اللَّيثُ مَلْكُ القِفارِ وما تَضمُّ الصَّحارى

سَعت إليه الرعايا يوماً بكلِّ انكسار

قالت : تعيشُ وتبقَى يا دامِىَ الأظفار

ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذا يَسوسُ أمرَ الضَّوارى ؟

قال : الحمارُ وزيرى قَضى بهذا اختيارى

فاسْتَضْحَكت ، ثم قالت : « ماذا رأى فى الحِمارِ ؟ »

وخلَّفتْهُ ، وطارت بِمُضحِكِ الأخبار

حتى إذا الشَّهْرُ ولَّى كليْلةٍ أو نَهار

لم يَشعُرِ اللَّيثُ إلا ومُلكُهُ فى دَمار

القردُ عندَ اليمين والكلبُ عند اليَسار

والقِطُّ بين يديه يَلهو بِعظمَةِ فار !

فقالَ : مَن فى جُدودى مثلى عديمُ الوقار ؟ !

أينَ اقتِدارى وبَطشى وهَيْبتى واعتبارى ؟ !

فجاءَهُ القردُ سرًّا وقال بعدَ اعتذار :

يا عالىَ الجاه فينا كن عالىَ الأنظار

رأىُ الرعيَّةِ فيكم من رأيكم فى الحمار !

النّملةُ والمُقَطَّمُ

كانتِ النملةُ تمشى مرةً تحتَ المُقطَّمْ
فارتخى مَفصِلُها من هَيبةِ الطَّوْدِ المعظَّمْ
وانثنتْ تنظرُ حتى أوجَدَ الخوْفُ وأعدَم
قالتِ : اليومَ هلاكى حلَّ يومى وتحتّم !
ليت شعرى : كيف أنجو — إنْ هوى هذا — وأسلم ؟
فسعَتْ تجرى ، وعينا هٰا ترى الطَّوْدَ فَتَنْدَم
سقطتْ فى شبرِ ماء هو عند النملِ كاليمّ
فبكت يأساً ، وصاحت قبلَ جَرْىِ الماء فى الفمْ
ثمّ قالتْ وهْىَ أدرَى بالذى قالت وأعلَم :
ليْتنى لم أتأخَّر ليتنى لم أتقدَّم
ليتنى سَلَّمْتُ ، فالعا قِلُ مَن خاف فسَلَّم !
صاح لا تخشَ عظيما فالذى فى الغيْب أعظم

الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضى من الدهرِ بيتٌ   من بيوتِ الكرامِ فيه غزالٌ

يَطعَم اللَّوْزَ والفطيرَ ويُسقىٰ   عسلا لم يَشُبْه إلا الزُّلال

فأتى الكلبَ ذاتَ يومٍ يُناجيـــــهِ وفى النفسِ تَرحَةٌ وملال

قال : ياصاحِبَ الأَمانةِ ، قل لى   كيف حالُ الوَرَى؟ وكيف الرجال؟

فأجابَ الأَمينُ وهو القئولُ الصَّـــادِقُ الكامل النُّهَى المِفضال

سائلى عن حقيقةِ الناسِ ، عذرًا   ليس فيهم حقيقةٌ فتقال

إنما هُم حِقدٌ ، وغشٌّ ، وبُغضٌ   وأذاةٌ ، وغيبةٌ ، وانتحال

ليت شعرى هل يستريحُ فؤادى ؟   كم أداريهم ! وكم أحتال !

فرِضا البعضِ فيه للبعضِ سُخْطٌ   ورضا الكلِّ مطلبٌ لا يُنال

ورضا اللهِ نَرتجيهِ ، ولكن   لا يُؤدِّى إليه إلا الكمال

لا يغُرَّنْكَ يا أخا البيدِ من مَوْ   لاك ذاك القَبولُ والإقبال

أنتَ فى الأَسْرِ ماسلِمتَ ، فإن تَمـــرض تقطَّعْ من جسمِك الأوصال

فاطلبِ البِيدَ ، وارض بالعُشبِ قوتاً   فهناك العيشُ الهنِىُّ الحلال

أنا لولا العظامُ وهْىَ حياتى   لم تَطلب لى مع ابنِ آدمَ حال

الثَّعْلَبُ وَالدِّيك

برز الثعلبُ يوماً في شعار الواعِظينا
فمشى في الأَرضِ يَهذى ويَسُبُّ الماكرينا
ويقولُ : الحمدُ للـــهِ إلٰهِ العالمينا
ياعِباد الله ، تُوبُوا فهْوَ كهفُ التائِبينا
وازهَدُوا في الطَّير ، إنّ الـــعيْشَ عيشُ الزاهِدينا
واطلبوا الدِّيك يؤذنْ لصلاةِ الصُّبحِ فينا
فأَتى الديكَ رسولٌ من إمام الناسِكينا
عَرَضَ الأَمْرَ عليه وهْوَ يرجو أن يَلينا
فأَجاب الديكُ : عُذرًا يا أَضلَّ المُهتدينا !
بلِّغِ الثعلبَ عنى عن جدودى الصالحينا
عن ذوى التِّيجانِ ممن دَخلَ البَطْنَ اللعِينا
أَنهم قالوا وخيرُ الـــقولِ قولُ العارفينا :
«مُخطئٌ مَن ظنّ يوماً أَنّ للثعلبِ دِينا »

النَّعْجَةُ وَأَوْلَادُهَا

اسمَعْ نفائس ما يأْتيكَ مِنْ حِكَمى … وافهمْهُ فَهمَ لبيبٍ ناقدٍ واعِي

كانت على زَعمهِمْ فيما مَضى غَنَمٌ … بأَرضٍ بغدادَ يَرعَى جَمْعَها راعى

قد انام عنها ، فنامَتْ غيْرَ واحدةٍ … لم يدْعُها فى الدَّياجِى للكَرَى داعي

أمٌّ الفَطيمِ ، وسعْدٍ ، والفتى عَلفٍ … وابنِ آمِّهِ ، وأخيه مُنْيةِ الرّاعى

فبينَما هى تحتَ الليْلِ ساهرةٌ … تُحْييهِ ما بين أوجالٍ وأوجاعِ

بَدَا لها الذِّئْبُ يَسعَى فى الظلامِ على … بُعْدٍ ، فصاحت : ألاقوموا إلى الساعى!

فقامَ راعى الحِمى المرعِىُّ مُنْذَعِرًا … يقولُ : أين كِلابى أين مِقلاعى ؟

وضاقَ بالذِّئبِ وجهُ الأَرضِ من فَرَقٍ … فانسابَ فيه انسِيابَ الظَّبْى فى القاع

فقالتِ الأُمُّ : يا لَلفخرِ ! كان أبى … حُرًّا ، وكان وفيًّا طائلَ الباعِ

إذا الرُّعاة على أغنامها سَهِرَتْ … سَهِرْتُ من حُبِّ أطفالى على الرّاعى!

الْكَلْبُ والقطُّ وَالْفَأْر

فأْرٌ رأى القِطَّ على الجِدارِ مُعَذَّباً فى أَضيَقِ الحِصار
والكلبُ فى حالتِه المعهوده مُسْتَجْمِعًا للوثبةِ الموعوده
فحاولَ الفأْرُ اغتنامَ الفُرصه وقال أكفِى القِطَّ هٰذِى الغُصَّهْ
لعله يَكْتُبُ بالأَمانِ لِى ولأَصحابى من الجيران
فسارَ للكلبِ على يَدَيْهِ ومَكَّنَ الترابَ من عينَيه
فاشتغل الرّاعى عن الجِدار ونَزلَ القِطُّ على بِدار
مُبْتَهِجًا يفكر فى وليمَه وفى فريسةٍ لها كريمه
يجعلها لِخَطْبِه علامه يذكرُها فيذكرُ السّلامة
فجاء ذالكَ الفأْرُ فى الأثناء وقال : عاشَ القِطُّ فى هَناء
رأيتَ فى الشِّدّةِ من إخلاصِى ما كان منها سبَبَ الخَلاص
وقد أتيْتُ أطلبُ الأَمانا فامنُنْ به لِمعشَرى إحسانا
فقال : حقًّا هذه كرامَه غنيمةٌ وقبلَها سَلامَه
يَكفيك فخرًا يا كريمَ الشِّيمَه أنك فأرُ الخطْبِ والوليمه
وانقَضَّ فى الحالِ على الضَّعيفِ بأكلُه بالمِلحِ والرغيف
فقلت فى المقام قوْلا شاعا «مَنْ حفِظَ الأَعداءَ يوماً أضاعا»

سُلَيْمَانُ وَالْهُدْهُدُ

وقفَ الهُدْهُدُ في با ... بِ سُليمانَ بِذِلَّهْ
قال: يامولايَ، كن لى ... عِيشَتى صارت مُمِلَّه
متُّ من حَبَّةِ بُرٍّ ... أَحدَثتْ فى الصدرِ غُلَّه
لا مِياهُ النِّيلِ تُرْويـــــها، ولا أمواهُ دِجْله
وإذا دامَت قليلا ... قتلتْنِى شرَّ قِتْلَه

* * *

فأشار السيِّدُ العا ... لى إلى مَن كان حولَه:
قد جَنَى الهدهُدُ ذنْبًا ... وأتى فى اللؤم فَعْلَه
تِلك نارُ الإثمِ فى الصَّدْ ... رِ، وذى الشكوَى تَعِلَّه
ما أرَى الحَبَّةَ إلا ... سُرِقت من بيتِ نمله
إن للظالم صَدْرًا ... يَشتكى من غير عِله!

سُلَيْمَانُ وَالطَّاوُوس

سمعتُ بأنَّ طاوُوساً أتى يوماً سليمانا
يُجَرِّرُ دون وفدِ الطَّيْـــرِ أذيالا وأردانا
ويُظْهِرُ ريشَهُ طوْرًا ويُخفى الرِّيشَ أحيانا
فقال : لدَىَّ مسألةٌ أظنُّ أوانَها آنا
وها قد جئتُ أعرضُها على أعتابِ مولانا :
ألستُ الرَّوْضَ بالأزهارِ والأنوارِ مُزْدانا ؟
ألم أستوفِ آىَ الظَّرْفِ أشكالا وألوانا ؟
ألم أصبِح ببابِكمُ لِجَمْعِ الطَّيرِ سُلطانا ؟
فكيف يَليقُ أن أبقَى وقومِى الغُرُّ أوثانا ؟!
فحُسنُ الصوتِ قد أمسَى نصيبِى منه حِرمانا
فما تَيَّمْتُ أفئِدَةً ولا أسكَرْتُ آذانا
وهذِى الطَّيْرُ أحقَرُها يزيدُ الصَّبَّ أشجانا
وتَهتزُّ الملوكُ له إذا ما هَزَّ عِيدانا ؟

* * *

فقال له سُليمانُ لقد كان الذى كانا

تعالت حِكمةُ البارى وجلَّ صنيعُهُ شانا
لقد صَغَّرتَ يا مغرو رُ نُعمَى الله كُفرانا
ومُلك الطيْر لم تحفِل به ، كِبرا وطغيانا
فلو أصبَحتَ ذا صوْت لمَا كلَّمْتَ إنسانا !

الْغُصْنُ وَالْخُنْفُسَاء

كان بروْضٍ غُصُنٌ ناعمٌ يقولُ : جلَّ الواحدُ المنفردْ
فقامتى فى ظَرفِها قامتى ومثلُ حُسنى فى الورى ماعُهِدْ
فأقبلت «خُنفُسَةٌ» تنثَنى ونجلُها يمشى بِجنبِ الكبِدْ
تقول : يا زَيْنَ رياضِ البَها إنّ الذى تطلُبُهُ قد وُجِد
فانظر لِقَدِّ ابنى ، ولا تفتَخر مادام فى العالم أُمٌّ تَلد !

الْقُبَّرَةُ وَابْنُهَا

رأيتُ فى بعضِ الرياضِ قُبَّرَهْ   تُطَيِّرُ ابنَها بأعلى الشَّجَره

وهْىَ تقولُ : يا جمالَ العُشِّ   لا تعتَمِدْ على الجَناحِ الهَشِّ

وقِفْ على عودٍ بجنبِ عودِ   وافعل كما أفعلُ فى الصُّعودِ

فانتقلَت من فَنَنٍ إلى فَنَنْ   وجَعَلَتْ لِكلِّ نقلةٍ زَمن

كىْ يَسْتريحَ الفرْخُ فى الأَثناء   فلا يَمَلُّ ثِقَلَ الهواء

لٰكنَّهُ قد خالف الإشارهْ   لمَّا أراد يُظهرُ الشَّطارة

وطار فى الفضاء حتى ارتفعا   فخانه جَناحُه فوقعا

فانكَسرَتْ فى الحالِ رُكبتاهُ   ولم يَنَلْ منَ العُلا مُناهُ

ولو تأنَّى نالَ ما تَمنَّى   وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنَّا

لكلِّ شىءٍ فى الحياة وقتُهُ   وغايةُ المُسْتَعْجلين فوْتُه !

النَّعْجَتَان :

كان لِبعضِ الناسِ نعجتان — وكانتا فى الغيْطِ ترعيانِ

إحداهما سمينةٌ ، والثانية — عِظامها منَ الهُزالِ باديَه

فكانتِ الأُولى تُباهِى بالسِّمَنْ — وقولِهم بأنَّها ذاتُ الثَّمَنْ

وتَدَّعى أن لها مقدارا — وأنها تستَوْقفُ الأَبصارا

فتصبِرُ الأُختُ على الإذلالِ — حاملةً مَرارةَ الإدلال

حتى أتى الجزّارُ ذاتَ يومِ — وقلبَ النعجةَ دون القوْمِ

فقال لِلمالِكِ : أَشْتريها — ونقدَ الكيسَ النفيسَ فيها

فانطلقتْ من فورِها لأُختِها — وهْىَ تَشكُّ فى صلاحِ بخْتِها

تقولُ : يا أُختاهُ خبِّرِينى — هل تعرِفينَ حاملَ السِّكين ؟

قالت : دَعِينى وهُزالى والزَّمَن — وكلِّمِى الجزّارَ ياذاتَ الثَّمَنْ !

لكلِّ حال حُلوُها ومُرُّها — ما أدَبُ النعجةِ إلا صبرُها

السَّفِينَةُ وَالْحَيَوَانَات

لمَّا أَتمَّ نوحٌ السَّفِينهْ ‏ وحَرَّكَتْها القُدْرَة المُعِينهْ

جَرى بِها ما لا جَرَى بِبالِ ‏ فما تعالى الموْجُ كالجِبالِ ...

... حتى مَشَى اللَّيْثُ مع الحِمار ‏ وأَخَذ القِطُّ بأَيْدِى الفار

واستَمَعَ الفيلُ إلى الخِنزِيرِ ‏ مُوتَنِسًا بصوتِه النَّكِيرِ

وجلس الهِرُّ بجنب الكلبِ ‏ وقبَّل الخروفُ نابَ الذِّئبِ

وعَطفَ البازُ على الغزالِ ‏ واجتمع النملُ على الأَكَّال

وقَلَت الفرْخةُ صُوفَ الثعلبِ ‏ وتيَّمَ ابنَ عِرْسَ حُبُّ الأَرنبِ

فذهبَتْ سوابِقُ الأَحقادِ ‏ وظَهر الأَحبابُ فى الأَعادى

حتى إذا حَطُّوا بسَفْحِ الجُودِى ‏ وأَيقنوا بعَوْدةِ الوجودِ

عادوا إلى ما تَقتَضِيهِ الشِّيمهْ ‏ وَرَجَعوا للحالة القديمهْ

نقِسْ على ذلك أَحوالَ البشَرْ ‏ إن شمِلَ المحذورُ، أَوعَمَّ الخَطَر

بيْنا ترَى العالَمَ فى جِهادِ ‏ إِذْ كلهم على الزمان العادى

القِرْدُ فى السَّفِينَة

لم يَتَّفِقْ مما جَرَى فى المركبِ   ككذِبِ القردِ على نوحٍ النبى

فإنه كان بأقصى السَّطحِ   فاشتاقَ من خِفتِه للمَزْحِ

وصاحَ : يا لَلطَّيْرِ والأسماكِ   لِموْجَةٍ تجِدُّ فى هَلاكى !

فبَعثَ النبى له النسورا   فوجَدَتْه لاهيًا مسرورا

ثم أتى ثانيةً يصيحُ   قد ثُقِبَتْ مَرْكبُنا يانوحُ !

فأرسَل النبىُّ كلَّ مَن حَضرْ   فلم يرَوْا كما رأى القِرْدُ خَطَر

وبينما السَّفيهُ يوماً يَلعبُ   جادَتْ به على المِياهِ المركبُ

فسمِعوه فى الدُّجَى يَنوحُ   يقولُ : إنى هالِكٌ يانوحُ

سَقطْتُ من حماقتى فى الماء   وصِرْتُ بين الأرضِ والسماء

فلم يصَدِّقْ أحدٌ صِياحَهْ   وقيلَ حقًّا هذه وقاحَهْ

قد قال فى هذا المقام مَن سَبَقْ   أكذبُ مايُلفى الكذوبُ إن صَدق

مَن كان مَمنُوًّا بداء الكذِبِ   لا يَترُكُهُ اللهَ ، ولا يُعفِى نبى !

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالنَّمْلَةُ فى السَّفِينَةِ

قد وَدَّ نوحٌ أن يُباسِطَ قومَهُ ... فدعا إليهِ معاشِرَ الحيوانِ

وأشار أنْ يَلِيَ السفينةَ قائدٌ ... منهم يكونُ من النُّهىٰ بمكان

فتقدّمَ اللَّيثُ الرفيع جلالُه ... وتعرّضَ الفيلُ الفخيمُ الشان

وتلاهُما باقى السِّباعِ ، وكلهُمْ ... خَرُّوا لهيبتِهِ إلى الأذقان

حتى إذا حيُّوا المؤيَّدَ بالهدى ... ودَعَوْا بطولِ العزِّ والإمكان

سَبَقَتْهُمُ لخطابِ نوحٍ نملةٌ ... كانت هناكَ بجانِبِ الأرْدان

قالت : نبيَّ اللهِ ، أرضى فارسٌ ... وأنا يَقينًا فارسُ الميْدانِ

سأديرُ دِفَّتَهَا ، وأحْمِى أهلَها ... وأقودُها فى عصمةٍ وأمان

ضحِكَ النبىُّ وقال : إنَّ سَفينتى َ ... لهِىَ الحياة ، وأنتِ كالإنسان

كل الفضائِلِ والعظائمِ عنده ... هو أوّلٌ ، والغيْرُ فيها الثانى

ويودُّ لو ساسَ الزَّمانَ ، ومالَهُ ... بأقلِّ أشغالِ الزمان يَدان

الدُّبُّ فى السَّفِينَة

الدُّبُّ معروفٌ بسوءِ الظنِّ   فاسمعْ حديثَهُ العجيبَ عنِّى

لمَّا استطال المُكْثَ فى السَّفينهْ   ملَّ دوامَ العيشةِ الظنينه

وقال : إن الموْتَ فى انتظارى   والماءُ لا شكٌّ بِهِ قرارى

ثم رأى مَوْجاً على بُعدٍ عَلا   فظنَّ أن فى الفضاء جبلا

فقال : لا بُدَّ من النزولِ   وصَلْتُ ، أو لم أحْظَ بالوُصولِ

قد قال مَن أدَّبَهُ اختبارُهْ :   السعىُ للموتِ ولا انتِظارُه !

فأسلمَ النفسَ إلى الأمواجِ   وهْىَ مع الرياحِ فى هياجِ

فشربَ التعيسُ منها ، فانتفخْ   ثم رَسا على القرارِ ، ورَسَخ

وبعدَ ساعتَينِ غِيضَ الماءُ   وأقلَعَتْ بأمْرِهِ السماءُ

وكان فى صاحِبنا بعضُ الرَّمَقْ   إذ جاءهُ الموتُ بطيئًا فى الغرَقْ

فلمحَ المركبَ فوْقَ الجُودِى   والرَّكبُ فى خيْرٍ وفى سُعودِ

فقال : يالَجَدِّىَ التعيسِ   أسأت ظنى بالنبى الرئيسِ!

ما كان ضرّنى لو امتثَلتُ   ومِثلَما قد فعلوا فعلتُ؟!

الثَّعْلَبُ فِى السَّفِينَةِ

أبو الحُصَيْنِ جالَ فى السَّفِينَهْ فَعَرَفَ السَّمينَ والسَّمينه
يقولُ : إنّ حالَه ٱستَحالا وإنّ ما كان قديماً زالا
لِكوْنِ ما حَلّ من المصائبِ من غَضَبِ اللهِ على الثعالِبِ
ويُغْلِظُ الأَيْمَانَ للديوكِ لِما عَسَى يَبقَى من الشكوك
بأنهمْ إن نَزَلوا فى الأَرضِ يَرَوْنَ منه كلَّ شىء يُرْضِى
قيل : فلما تَركوا السفينه مَشى مع السَّمينِ والسمينه
حتى إذا ما نَصَفوا الطَّرِيقا لم يُبقِ منهمْ حَوْلَهُ رَفيقَا
وقال : إذْ قالوا عَديمُ الدِّينِ لا عَجَبٌ إن حَنَثَتْ يَمينِى
فإنما نحن بَنِى الدَّهاء نَعْمَلُ فى الشِّدّةِ للرَّخاء
ومَنْ تخاف أن يَبيعَ دينَهْ تَكفيكَ منه صُحْبَةُ السفينه !

اللَّيْثُ وَالذِّئْبُ فى السَّفينَة

يقال إنَّ الليْثَ فى ذى الشِّدَّهْ رأى من الذِّئبِ صَفا المَوَدَّه
فقال : يا مَنْ صانَ لى مَحلِّى فى حالتَىْ ولايتى وعَزْلى
إنْ عُدْتُ للأرض بإذنِ اللهِ وعاد لى فيها قديمُ الجاهِ
أعطيكَ عِجْلَيْنِ وألفَ شاة ثم تكونُ والِيَ الوُلاةِ
وصاحِبَ اللِّواء فى الذِّئابِ وقاهِرَ الرعاةِ والكلابِ
حتى إذا ما تَمَّتِ الكرامَهْ ووَطِئْ الأرضَ على السلامَه
سَعَى إليه الذِّئبُ بعدَ شهرِ وهْوَ مُطاعُ النَّهىِ ماضِى الأمْرِ
فقال : يامَنْ لاتُداسُ أرضُه ومَنْ له طُولُ الفَلا وعَرْضُه
قد نِلتَ ما نِلتَ منَ التكريمِ وذا أوان الموْعِدِ الكريمِ
قال : تجرَّأْتَ وساءَ زعمُكا فمَن تكونُ يافتَى ؟ وما اسمُكا؟
أجابَه : إن كان ظنِّى صادِقا فإنَّنى والى الوُلاةِ سابِقًا !

الثَّعْلَبُ وَالأَرْنَبُ فى السَّفِينَةِ

أتى نبيَّ اللهِ يوما ثعلبُ   فقال : ياموْلاىَ ، إنى مُذْنِبُ

قد سوَّدَتْ صحيفتِي الذُّنوبُ   وإن وجدْتُ شافعا أتوب

فاسأَلْ إلٰهى عَفوَهُ الجليلا   لِتائِبٍ قد جاءَهُ ذليلا

وإننى، وإن أسأتُ السَّيْرا   عَمِلتُ شرًّا ، وعملتُ خيرا

فقد أتانى ذاتَ يومٍ أرنبُ   يرتَعُ تحتَ منزلى ويَلعَبُ

ولم يَكن مراقِبٌ هُنالكا   لكنَّنى تَركتُهُ مع ذٰلكا

إذ عِفتُ فى افتراسِهِ الدَّناءَهْ   فلم يَصِلهُ من يدى مَسَاءَهْ

وكان فى المجلسِ ذاكَ الأرنَبُ   يَسمعُ ما يُبدِى هُناكَ الثعلَبُ

فقال لمَّا انقطعَ الحديثُ :   قد كان ذاكَ الزُّهدُ ياخبيث

وأنت بينَ الموتِ والحياةِ   من تُخمةٍ ألقتْك فى الفلاةِ !

الأَرْنَبُ وَبِنْتُ عِرْسٍ فى السَّفِينَة

قد حَمَلَتْ إحدى نِسا الأرانِبِ ‏ ‏ وحلَّ يومُ وضعِها فى المركَبِ
فقلقَ الرُّكابُ من بكائها ‏ ‏ وبينما الفتاةُ فى عَنائها . . .
. . . جاءت عجوزٌ من بَناتِ عِرسِ ‏ ‏ تقولُ : أفدِى جارَتى بنفسى
أنا التى أُرْجَى لِهٰذِى الغايهْ ‏ ‏ لأننى كنتُ قديماً «دَأيَهْ»
فقالتِ الأرنبُ : لا دَاجارَه ‏ ‏ فإن بعدَ الألفةِ الزِّياره
مالى وُثوقٌ ببناتِ عِرْسِ ‏ ‏ إنى أُريدُ دايةً من جنسى !

الْحمَارُ فى السَّفينَة

سَقط الحِمارُ منَ السَّفينةِ فى الدُّجَى ... فبكى الرُّفاقُ لِفَقْدِهِ ، وتَرَحَّمُوا
حتى إذا طلعَ النَّهارُ أتت بِه ... نحوَ السفينةِ مَوْجَةٌ تَتقدَّمُ
قالتْ : خُذُوهُ كما أتانِى سالماً ... لم أَبْتَلِعْهُ ؛ لأَنه لايُهضَمُ !

سُلَيْمَانُ عليه السَّلَام وَالحَمَامَة

كان ابنُ داوُدٍ يُقَــــرِّبُ فى مجالسهِ حمامَهْ
خدمَتْه عُمْرًا مِثلَما قد شاء صدْقاً واستِقامه
فمضَتْ إلى عُمَّالِه يوماً تُبَلِّغُهمْ سَلامَه
والكتْبُ تحتَ جَناحِها كُتِبَتْ لها فيها الكرامه
فأرادتِ الحمقاءُ تَعـــرِفُ من راسائلِه مَرامَه
عَمدَتْ لأوَّلِها ، وكا ن إلى خليفتِه برامه (١)
فرأَتْهُ يأْمُرُ فيه عا مِلَه بتاجٍ للحمامه
ويقولُ : وَفُّوها الرِّعا يةَ فى الرَّحيلِ ، وفى الإقامه
ويُشيرُ فى الثانِى بأَن تُعطَى رِياضاً فى تِهامه (١)
وأتتْ لِثالثِها ، ولم تَستَحْيِ أن فضَّتْ خِتامه
فرأَته يأْمُرُ أن تكو نَ لها على الطَّيْرِ الزعامه
فبكت لذاك تندُّماً هَيهاتَ لا تُجدِى النَّدامه!
وأتت نَبِىَّ اللهِ وهْـــىَ تقولُ : يارَبِّ السَّلامه!
قالت : فَقَدْتُ الكتْبَ – يا مولاىَ – فى أرضِ اليَمامه (١)

---

(١) رامة ، وتهامة ، واليمامة : امكنة .

... لِتَسَرُّعِى لمَّا أتا ني البازُ يدفعُنى أَمامه !
فأجابَ : بَل جِئتِ الذى كادت تقومُ لهُ القيامَه
لكنْ كفاكِ عقوبةً مَن خانَ خانتهُ الكرامَه !

الأَسَدُ وَالضِّفْدَع

إنفعْ بِما أُعطِيتَ من قدرَةٍ   واشفع لذى الذنبِ لَدَى المجمعِ
إذ كيفَ تسمو لِلعُلا يافتَى   إن أنتَ لم تنفع ولم تَشفعِ ؟
عندى لهذا نبأٌ صادقٌ   يُعجِبُ أهلَ الفضل فاسمع وعِ
قالوا : استَوى الليثُ على عرشهِ   فجِيءَ فى المجلِسِ بالضِّفدَعِ
وقيل للسُّلطانِ : هذِى التى   بالأمسِ آذتْ عالىَ المِسمَعِ
تُنقنِقُ الدَّهرَ بلا عِلَّةٍ   وتَدَّعى فى الماءِ ما تَدَّعى
فانظر ــ إليك الأمرُ ــ فى ذنبِها   ومُرْ نُعلِّقْها من الأربَعِ
فنهضَ الفِيلُ وزيرُ العُلا   وقال : ياذا الشَّرَفِ الأرفعِ
لا خيْرَ فى الملكِ وفى عِزِّهِ   إنْ ضاقَ جاهُ الليثِ بِالضِّفدَعِ
فكتبَ الليثُ أماناً لها   وزاد أنْ جاد بمُستنْقَعِ !

النَّملةُ الزَّاهدَة

سعْىُ الفَتى فى عَيْشِهِ عِبادَهْ ... وقائِدٌ يَهديهِ للسعادهْ

لأنَّ بالسَّعى يقومُ الكوْنُ ... واللهُ للسَّاعِينَ نِعْمَ العَونُ

فإن تشأْ فهٰذِه حِكايهْ ... تُعَدُّ فى هذا المقامِ غايهْ

كانت بأرضٍ نَملةٌ تَنْبالهْ ... لم تَسْلُ يوماً لذَّةَ البطالهْ

واشتَهرَتْ فى النمل بالتَّقشُّف ... واتَّصفَتْ بالزُّهْدِ والتَّصَوُّفِ

لكن يقومُ الليْلَ مَن يَقتاتُ ... فالبطْنُ لا تَملؤه الصلاةُ

والنملُ لا يَسعَى إليهِ الحبُّ ... ونَملتى شَقَّ عليها الدأْبُ

فخرجَتْ إلى التِماسِ القوتِ ... وجعلتْ تطوفُ بالبُيوتِ

تقولُ : هل من نَملة تَقيَّهْ ... تُنْعِمُ بالقوتِ لذِى الوَلِيَّهْ ؟

لقد عَيِيتُ بالطَّوى المُبَرِّحِ ... ومُنذ ليْلتيْن لم أُسَبِّحِ

فصاحَتِ الجاراتُ : يا لَلعارِ ... لم تترُكِ النملةُ للصرصارِ !

متى رضِينا مثلَ هٰذِى الحالِ ؟ ... متى مددنا الكفَّ للسُّؤالِ ؟ ؟ !

ونحن فى عين الوُجودِ أُمَّهْ ... ذاتُ اشتِهارٍ بعُلوِّ الهِمَّهْ

نحمِلُ مالا يصبِرُ الجِمالُ ... عن بعضِه لو أنها نِمالُ

ألم يقلْ من قولُه الصوابُ : ... ما عِندنا لسائلٍ جَوابُ ؟ ؟ !

فامضى ؛ فإنَّا ياعجوزَ الشُّومِ ... نَرَى كمالَ الزُّهْدِ أن تَصومى!

الْيَمَامَةُ وَالصَّيَّاد

يمامةٌ كانت بأَعلى الشَّجرهْ آمِنَةً في عُشِّها مُسْتَتِره
فأَقبلَ الصَّيَّادُ ذات يَومِ وحامَ حوْلَ الرَّوضِ أَيَّ حَوْمِ
فلم يجِدْ للطَّيْر فيه ظِلَّا وهمَّ بالرحيلِ حينَ مَلَّا
فبرَزَتْ من عُشِّها الحمقاءُ والحُمْقُ داءٌ مالَه دواءُ
تقولُ جَهْلا بالذى سيَحدُثُ : يأَيُّها الإنسانُ ، عَمَّ تبحثُ ؟
فالتفَتَ الصيادُ صوبَ الصوتِ ونَحوَه سدَّدَ سهْمَ الموتِ
فسَقَطَت من عرشِها المَكينِ ووقعَت في قبضَةِ السِّكِّينِ
تقول قولَ عارف مُحقِّقِ : «مَلَكْتُ نفْسِي لومَلَكْتُ مَنْطِقِي!»

الْكَلْبُ وَالْحَمَامَة

حِكايةُ الكلبِ معَ الحمامَه　　تشهدُ للجِنسَيْنِ بالكرامَهْ
يُقالُ : كان الكلبُ ذاتَ يومِ　　بينَ الرِّياضِ غارقاً فى النَّوم
فجاءَ من ورائه الثعبانُ　　مُنتفِخًا كأنه الشيطانُ
وهَمَّ أن يَغدِرَ بِالأَمينِ　　فرقَّتِ الورْقاءُ لِلمِسكينِ
ونَزلتْ توًّا تُغيثُ الكلبَا　　ونقَرَتْهُ نقرةً ، فهبَّا
فحمدَ اللهَ على السلامَهْ　　وحَفِظَ الجميلَ للحمامَهْ
إذ مَرَّ ما مرَّ من الزمانِ　　ثم أتى المالكُ للبُستانِ
فسَبَقَ الكلب لتلك الشجرَهْ　　ليُنْذرَ الطيرَ كما قد أنذرَهْ
واتخذ النَّبْحَ له علامَهْ　　ففهِمَتْ حديثَهُ الحمامهْ
وأقلعتْ فى الحالِ للخلاصِ　　فسَلِمتْ من طائرِ الرَّصاصِ
هذا هو المعروفُ يأَهلَ الفِطَنْ　　الناسُ بالناسِ ، ومَن يُعِنْ يُعَنْ!

الْكَلْبُ وَالْبَبَّغَاءُ

كان لبعض الناسِ بَبَّغاءُ ما ملَّ يوماً نُطقَها الإصغاءُ
رفيعةُ القدْرِ لَدَى مولاها وكلُّ مَنْ فى بيتِه يهواها
وكان فى المنزلِ كلبٌ عالى أرْخَصَهُ وجودُ هذا الغالى
كذا القليلُ بالكثيرِ يَنقُصُ والفضلُ بعضُه لبعضٍ مُرْخِصُ
فجاءها يوماً على غِرارِ وقلبُهُ من بُغضِها فى نارِ
وقال : يامليكةَ الطُّيورِ ويا حياةَ الأُنسِ والسرورِ
بحسنِ نُطقِكِ الذى قد أصبى إلا أرَيْتِنِى اللِّسانَ العذْبا
لأننى قد حِرْتُ فى التفكُّرِ لمَّا سمعتُ أنه من سُكَّرِ !
فأَخْرَجتْ من طيشِها لسانَها فعضَّهُ بنابه ، فشانَها
ثم مضى من فورِهِ يصيحُ : قطعتُه لأنه فصِيحُ !
وما لها عندىَ من ثأرٍ يُعَدّ غيرَ الذى سمَّوْهُ قِدْماً بالحسدْ !

الْحمَارُ وَالْجَمَل

كان لبعضِهمْ حِمارٌ وجَملْ ... نالهُما يوماً من الرِّق مَلَلْ

فانتظرَا بَشائِرَ الظَّلماء ... وانطَلقا معًا إلى البَيْداء

يجتلِيانِ طلعةَ الحرِّيَّهْ ... ويَنْشَقانِ ريحَها الزكيَّةْ

فاتفَقا أن يَقضيا العُمْرَ بها ... والارتضَيا بمائِها وعُشبِها

وبعدَ ليلةٍ من المسيرِ ... التفت الحِمارُ لِلبعيرِ

وقال : كربٌ ياأخى عظيمُ ... فقفْ ؛ فمشْيى كلُّهُ عقيمُ !

فقال : سَلْ فِداكَ أُمِّى وأبى ... عسى تَنالُ بى جليلَ المطلبِ

قال : انطلقْ معى لإدراكِ المُنى ... أو انتظِر صاحبَكَ الحرَّ هنا

لا بُدَّ لى من عَوْدة للبَلدِ ... لأنَّنى تركتُ فيه مِقوَدِى !

فقال سر والزَمْ أخاكَ الوتِدا ... فإنما خُلِقْتَ كى تُقيَّدا !

دُودَةُ الْقَزِّ وَالدُّودَةُ الْوَضَّاءَة

لِدودةِ القزِّ عندى — ودودةِ الأَضواء
حكايةٌ تشتَهيها — مسامعُ الأَذكياء
لمَّا رأَت تِلكَ هذِى — تُنيرُ فى الظلماء
سَعَتْ إليها ، وقالت : — تعيشُ ذاتُ الضِّياء!
أنا المؤمَّلُ نفعى — أنا الشهيرُ وفائى
حلا لىَ النَّفعُ حتى — رضيتُ فيه فنائى
وقد أَتيْتُ لأَحظى — بوجهكِ الوضَّاء
فهل لذُرِ الثُّرَى فى — مَوَدَّتى وإخائى ؟

* * *

قالت . عَرَضتِ علينا — وجهًا بغيرِ حياء !
مَن أنتِ حتى تُدانى — ذاتَ السَّنا والسَّناء ؟!
أنا البديعُ جمالى — أنا الرفيعُ عَلائى
أين الكواكبُ منى ؟! — بل أين بدرُ السماء؟!
فامضى ؛ فلاوُدَّ عندى — إذ لستِ من أكفائى!

* * *

وعند ذلك مرَّتْ — حسناءُ معْ حسناء

تقولُ : للهِ ثوبي   في حُسنِه والبَهاءِ !

كم عندنا من أيادٍ   للدودةِ الغراءِ !

ثم انثنتْ فأتتْ ذى   تقولُ للحمْقاءِ :

هل عندكِ الآنَ شَكٌّ   في رُتبتي القَعساءِ ؟!

وقد رأيتِ صنيعي   وقد سمعتِ ثَنائي ؟!

إن كان فيك ضياءٌ   إن الثناءَ ضيائي

وإنه لضياءٌ   مؤيَّدٌ بالبقاءِ !

الْجَمَلُ وَالثَّعْلَبَ

كان على بعضِ الدُّروبِ جَملُ حَمَّلهُ المالكُ ما لا يُحملُ
فقال : يا للنَّحسِ والشقاءِ ! إن طال هذا لم يَطُلْ بقائى
لم تحمِلِ الجبالُ مثلَ حِملى أظنُّ مولاى يُريد قتلى !
فجاءَهُ الثعلبُ من أَمامِهْ وكان نالَ القصدَ من كلامِهْ
فقال . مهلاً يا أَخا الأَحمالِ ويا طويلَ الباعِ فى الجمالِ
فأَنتَ خيرٌ من أَخيكَ حالا لأَننى أَتعَبُ منك بالا
كأَن قُدّامِىَ أَلفَ ديكِ تسأَلنى عن دمها المسفوكِ
كأَنَّ خَلفِى أَلفَ أَلفِ أَرنبِ إذا نهضتُ جاذبتنى ذَنَبى
ورُبَّ أُمٍّ جئتُ فى مُناخِها فجعتُها بالفتكِ فى أفراخِها
يبعَثُنى مِنْ مَرْقدى بُكاها وأَفتحُ العيْن على شكواها
وقد عرفتَ خافىَ الأَحمالِ فاصبرْ . وقلْ لأُمَّةِ الجمال :
ليسَ بحِمْلٍ ما يَمَلُّ الظهرُ ما الحِمْلُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ

الْغَزَالَةُ والْأَتَانُ

غزالةٌ مرَّتْ على أَتانِ ··· تُقبِّلُ الفَطِيمَ فى الأَسنانِ
وكانَ خلف الظَّبْيةِ ابنُها الرَّشا ··· بِوُدِّها لوْ حَمَلتْه فى الحَشا
ففعلتْ بسيِّد الصِّغارِ ··· فِعْلَ الأَتانِ بابنِها الحمارِ
فأَسرع الحمارُ نحوَ أُمِّهِ ··· وجاءها والضحْكُ مِلْءُ فمِهِ
يصيحُ : يا أُمّاه ، ماذا قد دَها ··· حتّى الغزالةُ استَخفَّت ابنَها ؟!

الثَّعْلَبُ الَّذى انْخَدَع

قد سمِعَ الثعلبُ أَهلَ القرَى يدعونَ مُحتالا بيا ثعلبُ !
فقال حقًّا هٰذه غايةٌ فى الفخرِ لا تُؤْتَى ولا تُطْلب
مَن فى النُّهى مِثلِيَ حتى الورَى أَصبَحْتُ فيهم مَثلا يُضْرب
ما ضَرَّ لو وافيْتُهم زائرًا أُرِيهِمُ فوقَ الذى استغرَبوا
لعلَّهم يُحْيُون لى زينةً يَحضُرُها الدِّيكُ أَوِ الأَرنب
وقصَدَ القوْمَ وحياهُمُ وقام فيما بينهم يَخطُب
فأُخِذَ الزائِرُ من أُذنِه وأُعطِيَ الكلبَ بِه يلعَب !
فلا تَثِق يوماً بِذى حِيلةٍ إذْ رُبَّما يَنخَدِعُ الثعلب !

ثُعالَةُ وَالْحِمَارُ

أتى ثعالَةَ يوماً من الضَّواحى حِمارُ
وقال إن كنتَ جارى حقًّا ونعمَ الجار
قل لى فإنى كئيبٌ مُفكرٌ مُحتار
فى موْكِبِ الأَميِر لمَّا سرنا وسارَ الكِبار . . .
. . . طرَحْتُ مولاى أرضاً فهل بذلك عار
وهل أتيْتُ عظيمًا ! فقال : لا يا حِمار !

الْبَغْلُ وَالْجَوَادُ

بغلٌ أتى الجوادَ ذات مَرَّهْ وقلبُهُ مُمتلِئٌ مَسَرَّهْ

فقال : فضلى قد بدا ياخِلِّى وآنَ أن تعْرِفَ لى مَحلِّى

إذ كنتَ أمْسِ ماشيًا بجانبِى تعجَبُ من رقصِىَ تحتَ صاحبِى

أختالُ ، حتى قالتِ العبادُ : لمَنْ مِن الملوكِ ذا الجوادُ ؟

فضَحِكَ الحِصانُ من مقالِهِ وقال بالمعهودِ من دلالِهِ :

لم أرَ رقصَ البغلِ تحتَ الغازى لكن سمعتُ نقرَةَ المِهمازِ !

الْفَأْرَةُ وَالْقِطَّةُ

سَمِعْتُ أَنَّ فأْرَةً أَتاها ... شقيقُها يَنْعَى لها فَتاها

يصيحُ : يالِى مِن نُحوسِ بَختِى ... مَنْ سَلَّطَ القِطَّ على ابنِ أُختى؟!

فوَلْوَلتْ وعضَّتِ التُّرابَا ... وجَمَعَتْ للمَأْتَمِ الأَترابا

وقالتِ : اليَومَ انقضَت لذَّاتى ... لاخيْرَ لى بعدَكَ فى الحياةِ

من لى بهرٍّ مثلِ ذاك الهرِّ ... يُريحُنى من ذا العذابِ المرِّ؟!

وكان بالقرْبِ الذى تريد ... يَسمَعُ ما تُبْدِى وما تُعيدُ

فجاءها يقولُ : يا بُشْراكِ ... إن الذى دَعَوْتِ قد لبَّاكِ!

ففَزِعت لما رأته الفارَهْ ... واعتَصَمَتْ منه ببيْتِ الجارَهْ

وأَشرفتْ تقولُ للسَّفيهِ : ... إن مُتُّ بعدَ ابنى فَمَنْ يَبكيه؟!

الْغَزَالُ وَالْخَرُوفُ وَالتَّيْسُ وَالذِّئْبُ

تَنازَعَ الغزالُ والخروفُ وقال كلٌّ : إنه الظَّريفْ
فرأيا التَّيْسَ ، فظَنَّا أنّه أعطاهُ عقلاً مَنْ أطالَ ذقنَه !
فكلَّفاه أن يُفَتِّشَر الفَلا عن حَكَمٍ له اعتِبارٌ فى المَلا
ينظُرُ فى دَعواهُما بالدِّقه عساهُ يُعطِى الحقَّ مُسْتحِقَّه
فسارَ للبحثِ بِلا تَوانى مُفتَخِرا بثِقةِ الإخوانِ
يقول : عِندى نظرةٌ كبيرهْ تَرفعُ شأْنَ التَيْسِ فى العَشيرهْ
وذاكَ أن أجدَرَ الثَّناء بالصِّدْقِ ما جاءَ من الأَعداءِ
وإننى إذا دعوْتُ الذِّيبَا لا يستطيعانِ له تكذيبا
لكوْنه لا يَعرفُ الغزالا وليس يُلقِى للخروفِ بالا
ثم أتى الذِّيبَ ، فقال : طِلْبَتى أنتَ ، فسِرْ معى ، وخُذْ بلحيتى !
وقادَه للموضِع المعروفِ فقامَ بين الظَّبِي والخروفِ
وقال : لا أحكمُ حَسْبَ الظاهِر فمزَّقَ الظَّبْيَيْنِ بالأَظافِرِ
وقال للتيْس : انطلقْ لِشأْنِكا ما قتَل الخَصْمَيْن غيْرُ ذَقنكا !

الثَّعْلَبُ وَالأَرْنَبُ وَالدِّيكُ

من أعجَبِ الأخبارِ أن الأَرنبا ... لمَّا رأى الدِّيكَ يَسُبُّ الثعْلبا

وهْوَ على الجِدارِ فى أمانِ ... يَغلبُ بالمكانِ، لا الإمكانِ

داخَلهُ الظنُّ بأَنَّ الماكرا ... أَمْسى من الضَّعفِ يُطيقُ الساخِرا

فجاءَهُ يَلْعَنُ مثل الأَوَّلِ ... عِدادَ ما فى الأَرضِ من مُغفَّلِ

فعصَفَ الثعلبُ بالضعيفِ ... عَصْفَ أخيه الذِّيبِ بالخروفِ

وقال: لى فى دَمِكَ المسفوكِ ... تسليةٌ عن خيْبتى فى الديكِ!

فالتفتَ الديكُ إلى الذبيح ... وقال قولَ عارِفٍ فصيح

ما كلُّنا ينفعُهُ لسانُهْ ... فى الناسِ مَن يُنطقُه مَكانُهْ!

الثَّعْلَبُ وَأُمُّ الذِّئْبِ

كان ذئبٌ يَتغدَّى فجرتْ فى الزَّوْر عَظمه

الزَمَتْهُ الصَّوْمَ حتى فَجعَتْ فى الروح جسْمَهْ

فأتى الثعلَبُ يبكى ويُعزِّى فيه أُمَّه

قال : يا أُمَّ صديقى بَى مما بِكِ غُمَّهْ

فاصبِرى صبرًا جميلاً إنّ صبْرَ الأُمِّ رحْمه!

فأجابتْ : يا ابنَ أُختى كلُّ ما قد قلتَ حِكمَهْ

ما بِىَ الغالى ، ولكن قولُهُم : ماتَ بِعظْمَه !

ليْته مثلَ أخيه ماتَ محسودا بتُخْمَه!

ديوان الاطفال

(مجموعة من الشعر السهل ، نظمها لتكون للاطفال أدبا وثقافة) :

الهِرَّةُ وَالنَّظَافة

هِرَّتى جِدُّ أَليفَهْ وهْى للبيتِ حليفهْ
هى ما لم تتحرّكْ دُمْيةُ البيتِ الظريفه
فإذا جاءتْ وراحتْ زِيدَ فى البيتِ وصِيفه
شغْلها الفارُ : تُنقِّى الرَّ فَّ منه والسَّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهرَ والعصـرَ بأَورادٍ شريفه
ومن الأثوابِ لم تمـلِكْ سوى فروٍ قطيفه
كلما استوسَخَ ، أَو آ وَى البراغيثَ المُطِيفه
غسَلتْه ، وكوَتْه بأَساليبَ لطيفه
وحْدَتْ ما هو كالحمّا م والماءِ وظيفه
صيَّرَتْ ريقتَها الصَّا بونَ ، والشاربَ لِيفه

* * *

لا تَمُرَّنَّ على العين ولا بالأَنفِ جيفه
وتعوَّدْ أَن تُلاقَى حسَنَ الثوبِ نظيفه
إنما الثوْبُ على الإنسـان عُنوانُ الصحيفه

الْجَدَّةُ :

لى جَدَّةٌ تَرْأَفُ بِي أحنَى عَلَيَّ مِن ابى
وكلُّ شيءٍ سرَّنى تذهب فيه مَذهبى
إن غضِبَ الأَهلُ علىَّ كلُّهم لم تَغضَب
مشى أَبى يوماً إلىَّ مِشيةَ المؤدِّبِ
غَضبانَ قد هَدَّدَ بالضرْبِ ، وإن لم يَضرِبِ
فلم أجِد لى منهُ غيرَ جَدَّتى من مَهرَبِ
فجعَلتنى خلفَها أنجو بها ، وأَختَبى
وهْىَ تقولُ لأَبى بِلهجة المونِّبِ :
ويحٌ لهُ ! ويحٌ لِهـ ـذا الولدِ المُعَذَّبِ !
ألم تكن تصنعُ ما يَصنعُ إذ أنت صبى ؟

الْوَطَن :

عُصفورتانِ فى الحِجا ... زِ حَلَّتا على فَنَن

فى خامِلٍ من الرِّيا ... ضِ ، لانَدٍ ، ولا حسَن

بيناهُما تَنتَجِيا ... نِ سَحَرًا على الغُصُن

مَرَّ على أيكهِما ... ريحٌ سَرَى مِنَ اليَمَنْ

حيَّا وقال : دُرَّتا ... نِ فى وِعاءٍ مُمتَهَن !

لقد رأيتُ حَوْلَ صَنْـ ... ـعَاءَ ، وفى ظلِّ عَدَن (١)

خمائلاً كأنها ... بقيَّةٌ من ذِى يزَن (٢)

الحَبُّ فيها سُكَّرٌ ... والماءُ شُهْدٌ ولبَن

لم يَرها الطَّيْرُ ولم ... يَسمَعْ بها إلا افتَتَن

هيَّا اركبانى نأتِها ... فى ساعة مِنَ الزمن

* * *

قالتْ له إحداهما ... والطَّيْرُ مِنهنَّ الفطِن

ياريحُ أنتَ ابنُ السَّبيـ ... ـلِ : ما عَرَفْتَ ما السَّكن

هَبْ جنةَ الخُلدِ اليمن ... لا شىءَ يَعدِلُ الوطن !

---

(١) صنعاء وعدن : من بلاد اليمن .

(٢) ذو يزن : من ألقاب ملوك اليمن فى التاريخ القديم .

الرِّفْقُ بالْحَيَوان

الحيوانُ خَلْقُ له عليْكَ حَقُّ
سَخَّرَه اللهُ لكا وللعِبادِ قبْلَكا
حَمُولةُ الأَثقالِ ومُرْضِعُ الأَطفالِ
ومُطْعِمُ الجماعهْ وخادِمُ الزِّراعه
مِنْ حقِّهِ أن يُرْفَقا به وألا يُرْهَقا
إن كَلَّ دَعْهُ يَستَرِحْ وداوِه إذا جُرِحْ
ولا يَجُعْ فى دارِكا أَو يَظْمَ فى جِوارِكا
بهيمةٌ مِسكِينُ يشكو فلا يُبينُ
لسانُه مقطوعُ وما له دُموعُ !

الأُمُّ

لولا التُّقى لقلتُ : لم يَخلُقْ سِواكِ الوَلدا !
إن شِئتِ كان العَيْرَ ، أَو إن شئتِ كان الأَسدا
وإن تُرِدْ غَيًّا غَوى أَو تَبْغِ رُشْدًا رَشدا
والبيْتُ أنتِ الصوتُ فيـــه ، وهْوَ للصَّوتِ صَدى
كالببَّغا فى قفصٍ : قِيلَ له ، فقَلَّدا
وكالقضيبِ اللَّدْنِ : قدْ طاوَع فى الشَّكلِ اليَدا
يأْخُذُ ما عَوَّدْتِه والمرءُ ما تعوَّدا !

وَلَدُ الْغُرَاب

وممهد في الوكر من ولدِ الغرابِ مُزَقّق
كرُوَيهِبٍ مُتَقلِّسٍ مُتأزِّرٍ ، مُتَنطِّقِ(١)
لبِسَ الرَّمادَ على سَوا دِ جَناحِه والمَفرِق
كالفحْمِ غادرَ في الرَّما دِ بقيَّةً لم تُحرَق
ثُلثاهُ مِنقارٌ ورأ سٌ ، والأظافرُ ما بقِيَ
ضخمُ الدِّماغِ على الخُلُوِّ مِنَ الحِجَى والمنطِق
مِنْ أمِّهِ لقِيَ الصغِ يرُ منَ البَليّةِ ما لقِي
جَلبَتْ عليهِ ما تَذو دُ الأمّهاتُ وتَتّقي
فُتِنت به ، فَتوَهّمَتْ فيه قُوًى لم تخلق
قالت : كبِرْتَ ، فثِب كما وثب الكِبارُ ، وحلِّق
ورَمَتْ به في الجوِّ ، لم تَحرِصْ ، ولم تَسْتَوثِق
فهَوى ، فمُزِّق في فِنا ء الدارِ شرَّ مُمزَّق
وسَمِعتُ قاقاتٍ تردَّ دُ في الفضاءِ وترتَقي(٢)

---

(١) رويهب : راهب صغير ؛ والمتقلس ، والمتأزر ، والمتنطق : الذي يلبس القلنسوة ، والأزار ، والنطاق ، كالرهبان .
(٢) القاقات : نعيق الغربان .

ورأيتُ غِرْبانًا تفرّ قُ في السماء وتلتقي
وعرفتُ رَنّةَ أُمّه في الصارخاتِ النُّعَّقِ
فأشرْتُ ، فالتَفَتَتْ ، فقا تْ لها مَقالةَ مُشْفِقِ :
أطلقتِه ، ولوِ امتَحنْ تِ جَناحَه لم تُطلِقى
وكما تَرَفَّقَ والِدَا كِ عليكِ لم تَتَرَفَّقى !

النّيل

النّيلُ العَذْبُ هو الكوْثرْ　　والجنةُ شاطِئُه الأَخضَرْ
ريّانُ الصَّفْحَةِ والمنظَر　　ما أَبهَى الخُلدَ وما أَنضَر !

* * *

البحرُ الفَيّاضُ ، القُدُسُ　　الساقى الناسَ وما غَرَسوا
وهو المِنْوالُ لما لبِسوا　　والمُنْعِمُ بالقطنِ الأَنوَر

* * *

جعلَ الإحسانَ له شَرْعَا　　لم يُخْلِ الوادىَ من مَرْعى
فترَى زرعاً يَتلو زرعا　　وهُنا يُجنَى ، وهُنا يُبْذَر

* * *

جارٍ ويُرَى ليس بجارِ　　لأَناةٍ فيه ووقار
يَنصَبُّ كتَلٍّ مُنْهارِ　　ويَضِجُّ فتحسَبُه يَزأَر

* * *

حَبَشِىُّ اللّوْنِ كجِيرتِه　　من مَنْبَعِه وبُحيْرَتِه
صَبَغَ الشَّطَّيْنِ بسُمْرَته　　لوْناً كالمسكِ وكالعَنبَر

الْمَدْرَسَة

أنا المدرَسةُ اجعَلنى كأمٍّ ، لا تَمِلْ عنّى

ولا تفْزَعْ كمأخوذٍ من البيتِ إلى السِّجن

كأنى وجْهُ صَيَّادٍ وأنت الطيرُ فى الغصن

ولا بُدَّ لك اليوْمَ – وإلا فغداً – مِنِّى

أوِ استَغْنِ عن العقلِ إذنْ عَنِّىَ تستغنى

أنا المِصْباحُ للفِكرِ أنا المِفتاحُ للذِّهْن

أنا البابُ إلى المجدِ تعالَ ادخلْ على اليُمْن

غدًا تَرْتَعُ فى حَوْشِى ولا تشبَعُ من صَحْنِى

وألقاكَ بإخوانٍ يُدانونَكَ فى السِّنِّ

تُنادِيهمْ بيافِكرى ويا شَوق ، ويا حُسْنى

وآباءٍ أحَبُّوكَ وما أنت لهم بابن

نشيدُ مصر

بَنِى مِصرٍ مَكانُكمُو تَهَيَّا   فَهَيَّا مَهدُوا للمُلكِ هيَّا
خُذوا شمسَ النهارِ له حُلِيًّا   أَلم تَكُ تاجَ أَوّلِكم مَلِيًّا ؟!

* * *

على الأخلاق خُطُّوا المُلكَ وابنوا   فليسَ وراءها للعِزِّ رُكن
أَليس لكم بِوادِى النِّيل عَدْنُ   وكوثرُها الذى يَجرى شهيًّا ؟!

* * *

لنا وطنٌ بأَنفسِنا نَقيه   وبالدُّنيا العريضةِ نَفتديه
إذا ما سِيلَتِ الأَرواحُ فيه   بَذَلناها كأَنْ لم نعْطِ شيًّا

* * *

لنا الهرَمُ الذى صحِبَ الزمانا   ومن حَدَثانِه أخذ الأَمانا
ونحنُ بنو السَّنا العالى، نمانا   أَوائلُ عَلَّموا الأُمَمَ الرُّقِيا

* * *

تطاوَلَ عهدُهُمْ عِزا وفخرًا   فلما آلَ للتاريخِ ذُخْر
نشأْنا نشأَةً فى المجدِ أُخرى   جَعَلنا الحقَّ مَظهرَها العَلِيّا

* * *

جعلنا مِصْرَ مِلَّةَ ذى الجَلالِ   وَأَلِفْنَا الصليبَ على الهِلالِ
وأقبَلنا كصفٌ من عَوالٍ   يُشدُّ السَّمْهَرِىُّ السَّمْهَرِيَّا

• • •

نرومُ لِمِصرَ عِزًّا لا يُرَامُ   يَرِفُّ على جوانبِه السَّلامُ
وينعَمُ فيه جِيرانٌ كِرامُ   فلن تَجدَ النَّزيلَ بنا شقيًّا

• • •

نقومُ على البِنايةِ مُحسِنِينا   ونعهَدُ بالتَّمامِ إلى بنينا
إليْكِ نَموتُ —مِصْرُ— كما حَيِينا   ويَبقى وجهُكِ المَفْدِىُّ حيًّا

نَشِيدُ الْكَشَّافَةِ

نحنُ الكَشَّافةُ فى الوادى جَبريلُ الروحُ لنا حادِى
ياربُّ ، بِعيسى ، والهادى وبموسى خُذْ بيَدِ الوطنِ

* * *

كشَّافةُ مِصرٌ ، وصبيَّتُها ومناةُ الدارِ ، ومُنيتُها
وجمالُ الأرضِ ، وحليتُها وطلائعُ أفراحِ المدُنِ

* * *

نَبتَدِرُ الخيرَ . ونَستبِقُ ما يَرضَى الخالقُ والخُلُقُ
بالنفسِ وخالِقِها نثِقُ ونَزيدُ وُثوقاً فى المِحَنِ

* * *

فى السَّهلِ نَرِف رَياحِينا ونجوبُ الصَّخر شياطينا
نبْنِى الأبدانَ وتبنينا والهِمَّةُ فى الجسمِ المَرِنِ

* * *

ونُخَلِّى الخلقَ وما اعتقدوا ولوَجهِ الخالِقِ نجتهدُ
نأسوا الجرْحى أنَّى وُجِدُوا ونُداوِى مِنْ جَرْحِ الزَّمَنِ

* * *

فى الصِّدْقِ نشأتنا والكَرَمِ   والعِفَّةِ عن مَسِّ الحُرَمِ
ورعايةِ طفلٍ أو هرِمٍ   والذَّوْدِ عن الغِيدِ الحُصُنِ

* * *

ونُوافى الصَّارخَ فى اللُّجَجِ   والنارِ الساطعةِ الوَهَجِ
لا نسأَلُهُ ثمنَ المُهَجِ   وكفى بالواجِبِ من ثمنِ

* * *

يارب ، فكثِّرْنا عدَدا   وابذُل لأُبوَّتِنا المَدَدا
هَيِّئْ لهمُ ولنا رَشَدا   يارب ، وخُذ بيَدِ الوطنِ

من شعر الصبا

« وقال فى صباه يهنئ الخديوى توفيق بعيد الفطر ويشير الى صـــــلة أنفذها اليه وهو فى الدراسة بأوروبا » :

نصْرَ الأعِزَّةِ . ما أعَزَّ حِماكا ! ... وأجَلَّ فى العَلياءِ بَدْرَ سَماكا !

تتساءلُ العربُ المُقدَّسُ بيتُها : ... أأعيدَ بانِى رُكنِه فبَناكا ؟!

وتقولُ إذْ تأتيكَ تلتمِسُ الهُدَى : ... سِيّانِ هذا فى الجلالِ وذاكا

يا مُلتقَى القمرَيْنِ ، ما أبهاكَ ! بل ... يا مَجْمَعَ البَحْرَين ، ما أصفاكا!

إنّ الأمانةَ ، والجلالةَ ، والعُلا ... فى هالةٍ دارتْ على مغْناكا

ما العِزُّ إلا فى ثرَى القَدَمِ التى ... حَسَدَتْ عليها النيِّراتُ ثراكا

يا سادسَ الأمَراءِ من آبائه ... ما للإمارةِ مَنْ يُعَدُّ سِواكا

اِسْمُكَ تَقرأُ باسمِ جَدِّك فى الوَغَى ... والعُرْبُ تَذكرُ فى الكتاب أباكا(1)

نَسَبٌ لو انتَمَتِ النُّجومُ لِعقْدِه ... لتَرفَّعتْ أن تَسكنَ الأفلاكا

شرَفاً — عزيزَ العصرِ — فُتَّ مُلوكَهُ ... فضْلا . وفاتَ بَنيهِمُ نَجلاكا

لكَ جنَّةُ الدنيا ، وكوثرُها الذى ... يجرى به فى المُلكِ شَرْطُ غِناكا

ولكَ المدائنُ والثُّغورُ منيعةً ... فى مَجْمَعِ البحرين تحتَ لِواكا

مُلْكٌ رعيْتَ اللهَ فيه . مؤيَّدًا ... باسمِ النبيِّ ، مُوَفَّقًا مَسعاكا

فأقمتَ أمرًا — يا أبا العباسِ — مأْ ... مونَ السبيلِ على رَشيدٍ نُهاكا

---

(1) هو توفيق بن « اسماعيل » .

إن يَعرضوهُ على الجبال تَهنْ له ‏ ‏ ‏ وهِيَ الجبالُ ، فما أشدَّ قُواكا

بسياسة تقفُ العقولُ كليلةً ‏ ‏ ‏ لا تستطيع لكُنْهِها إدراكا

وبحكمةٍ فى الحكمِ توفيقيَّةٍ ‏ ‏ ‏ لك يَقتَفى فيها الرجالُ خُطاكا

* * *

مَولاىَ ، عيدُ الفطرِ صُبحُ سُعودِه ‏ ‏ ‏ فى مِصرَ أسفَر عن سنا بُشْراكا

فاستقبلِ الآمالَ فيه بشائِرًا ‏ ‏ ‏ وأشائرًا تُجْلَى على عَلياكا

وتلقَّ أعيادَ الزمان مُنيرةً ‏ ‏ ‏ فهناؤه ما كان فيه هَناكا

أيّامُكَ الغرُّ السعيدةُ كلُّها ‏ ‏ ‏ عيدٌ ، فعيدُ العالمين بَقاكا

فليَبْقَ بيتُكَ . وليَدُمْ ديوانُه ‏ ‏ ‏ وليَحْيَ جُندُكَ ، ولتَعِش شُوراكا

وليَهنِنى بك كلَّ يومٍ أننى ‏ ‏ ‏ فى ألفِ عيدٍ من سُعودِ رضاكا

يأيها الملك الأريبُ ، إليكها ‏ ‏ ‏ عذراء هامتْ فى صفاتِ عُلاكا

فطوتْ إليكَ البحرَ أبيضَ نِسبةً ‏ ‏ ‏ لِنظيرِهِ الموروِدِ من يُمناكا

قدِمَتْ على عيدٍ لبابك بعدما ‏ ‏ ‏ قدِمَتْ علىَّ جديدةً نُعماكا

أوَ كلَّما جادَت تَداكَ رَوِيَّتى ‏ ‏ ‏ سَبَقَتْ ثَنائ بالارتجالِ يداكا ؟

أنتَ الغنىُّ عن الثناء ، فإن تُرِدْ ‏ ‏ ‏ ما يُطربُ الملكَ الأديبَ فهاكا

قصرُ المُنْتَزَه

« وقال يصف قصر المنتزه العامر بالاسكندرية بعد رؤيه معالمه الشائقة بدعوة من الجناب العالى سنة ١٨٩٥ »

مُنتَزهُ العبّاسِ للمجتَلى آمنتُ باللهِ وجَنّاتِه !

العيشُ فيه ليس فى غيرهِ يا طالبَ العيشِ ولذّاتِهِ

قصورُ عزٍّ باذخاتُ الذُّرَى يودُّها كسرَى مَشيداتِه

من كل راسى الأصل تحت الثرى مُحير النجمِ بِذِرواته

دارتْ على البحرِ سلاليمُهُ فبتن أطواقاً لِلَبّاتِه

مُنتظِماتٌ ما ثجاتٌ به مُنمقاتٌ مثلَ لُجّاتِه

من الرخامِ النذرِ ، لكنها تُنازعُ الجوهَرَ قيماته

من عملِ الإنسِ - سوى أنها تُنسى سليمانَ وجِنّاته

والريحُ فى أبوابِه . والجوا رى مائلاتٌ دون ساحاته

وغابُه مَنْ سارَ فى ظلِّها يَأْنَ على البُسفورِ غاباتِه

بالطولِ والعرضِ تُباهِى ، فذَا وافٍ ، وهذا عند غاياتِه

والرَّمْلُ حالٍ بالضُّحى مُذهَبٌ يُصدِّئُ الظلُّ سَبيكاتِه

وتُرْعةٌ لو لم تكن حُلوَةً أنْسَتْ «لَمَرْتِينَ» بُحَيْراتِه (١)

---

(١) لامرتين : شاعر فرنسا العظيم - وقصيدته عن « البحيرة » ذائعة وقد ترجمت الى العربية مرات .

أَوْ لم تكنْ ثَمَّ حياةَ الثرَى   لم تُبْقِ فى الوصفِ لحيَاتِه

وفى فمِ البحرِ لِمنْ جاءَهُ   لِسانُ أَرضٍ فاقَ فُرْضاتِه

تَنْحَشِدُ الطَّيْرُ بأَكنافِه   ويَجمعُ الوحشُ جماعاتِه

مِنْ معِزٍ وَحْشِيَّةٍ ، إن جَرَتْ   أَرَتْ مِن الجرْىِ نِهاياتِه

أَو وثَبتْ فالنَّجْمُ من تحتِها   والسُّورُ فى أَسْرِ أَسِيراتِه

وأَرنبٌ كالنَّملِ إن أَحصِيَتْ   تَنْبُتُ فى الرَّملِ وأَبياته

يَعلو بها الصَّيْدُ ويعلو إذا   ما قيْصَرٌ أَلقَى حِبالاته

ومن ظِباءٍ فى كِناساتِها   تَهيجُ للعاشِقِ لَوْعاتِه

والخَيْلُ فى الحىِّ عراقِيَّةٌ   تَحمِى وتُحمَى فى بُيوتاته

غُرٌّ كأَيامِ عزيزِ الوَرَى   مُحجَّلاتٌ مِثل أَوقاته

« وقال يهنىء الخديوى توفيق بقدوم نجليه من سياحتهما بأوروبا »

باتتْ يُثنى على علياكَ إنسانُ إلا وأنت لعيْنِ الدَّهْرِ إنسانُ

وما تَهلَّلتَ إذْ وافاكَ ذو أَمَلٍ إلا وأدهَشَه حُسْنٌ وإحسان

لله ساحَتُكَ المسعودُ قاصِدُها فإنما ظِلُّها أَمْنٌ وإيمان !

لئِنْ تَباهى بِكَ الدِّينُ الحنيف لَكَمْ تقوَّمَتْ بك للإسلامِ أركان

تُراقِبُ اللهَ فى مُلكٍ تدَبِّرُه فأنت فى العدْلِ والتَّقوى سُليمان

أنجَى لك اللهُ أنجالًا يُهيِّئُهم لرِفعَةِ المُلك إقبالٌ وعِرْفان

أعِزَّةٌ أينَما حلَّتْ ركائِبُهم لهم مكانٌ كما شاءُوا وإمكان

لم تثنِهِمْ عن طِلابِ العِلمِ فى صِغَرٍ فى عزِّ مُلكِك — أوطارٌ وأوطان

تأبى السعادةُ إلا أن تُسايِرَهم لأنهم لِملوكِ الأرْضِ ضِيفان

نجلانِ قد بلغا فى المجدِ ما بَلَغا مُعَظَّمٌ لهما بين الورى شان

يكفيهما فى سبيل الفخرِ أن شَهِدَتْ بفضلِ سَبقِهما روسٌ وألمان

هُما هُما ، تعرِفُ العَلياءُ قدرَهُما كِلاهُما كَلِفٌ بالمجدِ يَقظان

ما الفَرْقَدانِ إذا يوماً هُما طلعا فى مَوكِبٍ بهما يَزهو ويزدان ؟

* * *

يا كافِىَ الناس بعد الله أَمْرَهُمُ النَّصرُ إلا على أيديكَ خِذْلان

ويا منيل المعالى والنَّدى كرماً ⁂ الربح من عبرِ هذا البابِ خسران

مولاىَ : هل لِفتى بالبابِ مَعذرَةٌ ⁂ فعقلهُ فى حلالِ الملكِ حيرانُ ؟!

سعى على قدمِ الإخلاصِ مُلتَمِسًا ⁂ رضاك . فهُوَ على الإقبالِ عُنوان

أرى جَنابَكَ رَوضًا للندى نَضِرًا ⁂ لأَنّ غُصنَ رجائى منه رَيَّان

لا زالَ مُلكُكَ بالأَنجالِ مُبتَهِجا ⁂ ما باتَ يُثنى على عَليائكَ إنسان

---

* وقال مهنئا للخديوى عباس بولادة احدى الكريمات * :

أعطى البريةَ إذ أعطاكَ باريها فهل يُهنِّيك شعرى أم يُهنِّيها ؟

أنتَ البرية ، فاهنأ ، وهْىَ أنت ، فمَنْ دعاكَ يوماً لِتهنا فهْو داعيها

عيدُ السماءِ وعيدُ الأرضِ بَينهما عيدُ الخلائِقِ قاصيها ودانيها

فبارَكَ اللهُ فيها يومَ مَولِدِها ويومَ يرجو بها الآمالَ راجيها

ويوم تُشرِقُ حوْل العرشِ صبيتُها كهالةٍ زانتِ الدنيا دَراريها

إنّ العناية لمَّا جامَلَتْ وعَدَتْ ألا تَكُفَّ وأن تَتْرَى أياديها(١)

بكلِّ عالٍ من الأنجالِ تحسَبه من الفراقِدِ لو هَشَّتْ لرائيها

يقومُ بالعهدِ عن أوفى الجدودِ به عن والدٍ أبلجٍ اللَّمّاتِ عاليها

ويأخذُ المجدَ عن مصرٍ وصاحبِها عنِ السَّراةِ الأعالى من مواليها

الناهضين على كرسِيِّ سُؤددها والقابضين على تاجَىْ مَعَاليها

والساهرين على النيلِ الحفىِّ بها وكأسها وحُمَيَّاها وساقيها

* * *

مولاىَ ، للنفسِ أن تُبدى بشائِرَها بما رزقتَ ، وأن تهدى تهانيها

الشمسُ قدرًا ، بلِ الجوْزاءُ منزلةً بَل الثُّريَّا ، بل الدنيا وما فيها

أمُّ البنينَ إذا الأوطانُ أعْوَزَها مُدبِّرٌ حازمٌ أو قلَّ حاميها

مِنَ الإناثِ سِوى أنّ الزمان لها عبدٌ ، وأنَّ الملا خُدّامُ ناديها

---

(١) تترى : متواترة متتابعة ؛ وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تتواتر

وأنها سرُّ عباسٍ وبضعتهُ — فهْيَ الفضيلةُ ، مالى لا أسمِّيها ؟!

أغرُّ يستقبلُ العصرُ السلامَ به — وتشرقُ الأرضُ ماشاءتْ لياليها

عالى الأريكةِ بين الجالسين ، له — منَ المفاخر عاليها وغاليها

عباسُ ، عِشْ لنفوسٍ أنت طِلْبَتُها — وأنت كلُّ مُرادٍ من تناجيها

تُسدى الرجاءَ وتدعوهُ ليَصْدُقها — والله أصدق وعدًا ، وهْوَ كافيها

بَيْنِى وَبَيْنَ أَبِى الْعَلَاء

بينِي وبين أَبِي العلاء قضيةٌ
فى البِرِّ أَسْتَرْعِى لها الحُكماء
هُوَ قدْ رأى نُعْمِي أبيه جِنايةً(١)
وأرَى الجِنايةَ من أَبِى نعْماء

---

(١) يشير الى قول ابى العلاء المعرى .
هذا جناه ابى على ، وما جنيت على احد
وابو العلاء لم يتزوج ولم ينجب .

دَوَاءُ الْمُتَيَّمِ

دَاوِ الْمُتَيَّمَ ، دَاوِهِ من قَبْلِ أَنْ يَجِدَ الدَّوا
إِنَّ النَّواصِحَ كلُّهُمْ قالوا بتبديلِ « الهوا »(١)

• • •

فتَحتُمُو باباً على صَبِّكم لِلصَّدِّ ، والهَجْرِ ، وطُولِ النَّوى
فلا تَلومُوهُ إذا ما مَلا قد فُتِحَ البابُ ومرَّ « الهوا »(١)

---

(١) يستعمل الشاعر كلمة « الهوى » على طريقة الايهام عند البديعيين فيقصد معنى ويوهم معنى غيره والهوا « مقصور الهواء » غير الهوى بمعنى العشق والمحبة .

وَكَتَبَ عَلَى صُورَةٍ مُهْدَاةٍ لِصَدِيق

سَعَتْ لكَ صُورَتِى ، وأَتاكَ شَخْصِى وسارَ الظِّلُّ نحوَكَ والجِهاتُ

لأَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وهْىَ أَصلٌ وحيثُ الأَصلُ تَسْعَى المُلْحَقات

وهبْها صورَةً مِن غيْرِ رُوح أَليس من القَبُولِ لها حياةُ ؟!

محجوبيات

« كان بين الشاعر والدكتور محجوب ثابت صلة متينة من الود ، وكان بينهما مسامرات ومداعبات اوحت الى الشاعر ببعض ماننشره بعد من شعر الفكاهة »

بَيْنَ مَكْسُوينى وَالأُوتُومُبِيلِ

« كان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ماشاء من احياء القاهرة فى أيام الثورة ، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه « مكسوينى » وهو اسم بطل ارلندى مشهور انتحر جوعا ، يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به .

« وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة ، فنظم الشاعر هذه القصيدة يداعب الدكتور ويعزى حصانه . وقد نشرت هذه القصيدة فى سنة ١٩٢٤ » .

لكم فى الخطِّ سيَّارَهْ   حديثُ الجارِ والجارَهْ

(أوفرْلانْدُ) يُنَبِّيكَ   بها القُنْصُلُ (طَمَّارَه)(١)

كسيَّارةِ (شارْلوتَ)   على السُّواقِ جبَّارَهْ(٢)

إذا حَرَّكها مالتْ   على الجنْبَيْنِ مُنْهَارَهْ !

وقد تَحْرُنُ أحيانًا   وتمْشِى وحدَها تارَهْ

---

(١) الشيخ طمارة : كان اماما بالمفوضية المصرية فى واشنطون .

(٢) يعنى شارلى شابلن الممثل الهزلى المشهور .

ولا تُشبعُها عَينٌ مِنَ (البنزينِ) فوّارَهْ
ولا تُروَى من الزيْتِ وإن عامتْ به الفاره
ترى الشارعَ فى ذُعْرٍ إذا لاحَتْ من الحاره
وصِبْياناً يَضِجُّونَ كما يَلقَوْن طَيَّاره
وفى مَقدَمِها بوقٌ وفى المُؤْخِرِ زَمّاره
فقد تَمشى مَتى شاءتْ وقد ترجِعُ مُختاره
قضى اللهُ على السَّوَّا قِ أن يجعلها داره!
يُقَضِّى يَومَهُ فيها ويَلقَى الليلَ ما زاره!

* * *

أدُنيا الخيلِ (يامَكسِى) كدُنيا الناسِ غدّاره ؟!
لقد بَدَّلك الدهرُ من الإقبالِ إدباره
فصبرًا يا فتى الخيلِ فنفسُ الحرِّ صَبَّاره
أَحَقٌّ أنّ (مَحجوباً) سَلا عنك بفَخَّاره ؟
وباعَ الأبْلَقَ الحُرَّ (بأوفرْلانْد) نَعّاره ؟
ولم يَعرِفْ له الفضلَ ولا قدَّرَ آثاره
قد اختارَ لكَ الشَّلْحَ وما كنتَ لتَختاره
فسَلْه : ما هو الشَّلْحُ ؟ عسى يُنْبيكَ أخباره
كأن لم تَحمِلِ الرَّا يةَ يومَ الرَّوْعِ والشَّاره(١)
ولم تَركبْ إلى الهوْلِ ولم تحمِلْ على الغاره

---

(١) يشير الى ملازمته اياه فى ابان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

ولم تَعطِفْ على جَرْحَى   من الصِّبيةِ نَظّاره

فمضروبٌ برَشّاش   ومَقلوبٌ بغَدّاره

ولا والله ما كلّفـــــفتَ (محجوباً) ولا باره

فلا البِرْسيمُ تَذْريهِ   ولا تعرِف نَوّاره !

وقد تَرْوَى على (صُلْتٍ)[1]   إذا نادَمْتَ سُمّاره

وقد تَسكَرُ من خَوْدٍ   على الإفريزِ مِعْقاره

وقد تشبَعُ يا ابنَ اللَيْـــــلِ من رَنّةِ قيثاره !

* * *

عسَى اللهُ الذى ساقَ   إلى (يوسُفَ) سَيّاره

فكانت خَلفهم دُنيا   له فى الأَرضِ كباره

يهيِّى الملك هَوّارًا   كريماً وابنَ هَوّاره[2]

ان الحظَّ جَوّالٌ   وإنّ الأَرضَ دَوّاره !

---

(١) مشرب عام في القاهرة كان برتاده الصفوة من سكان القــاهرة ونزلائها .

(٢) هوارة : قبيلة عربية يشتهر ابنوها بالكرم . ومنها بطون شتى من صعيد مصر .

مَكْسوينى ...

« وهذه مداعبة اخرى قيلت فى مكسوينى حسان الدكتور محجوب أيام الثورة المصرية حين كان الدكتور يرتاد بار اللواء وجريدة الاهرام »

تفدّيك – يا مَكْسُ – الجيادُ الصّلادِمُ
وتفدى الأساةُ النُّطْسُ مَن أنتَ خادمُ

كأنّكَ – إن حاربتَ – فوْقكَ عنترٌ ... وتحتَ ابنِ سينا أنت حين تسالِمُ
ستُجْزَى التماثيلَ التى ليس مِثلُها ... إذا جاء يومٌ فيه تُجزَى البهائِمُ
فإنك شمسٌ، والجيادُ كواكبٌ ... وإنكِ دينارٌ ، وهُنَّ الدراهم
... مثالٌ بِساحِ البرْلمانِ مُنصّبٌ ... وآخرُ فى (بارِ اللُّوا) لك قائم
ولا تظفرُ (الأهرامُ) إلا بثالثٍ ... «مزاميرُ» داودٍ عليه نَواغِمُ(١)
وكم تَدّعِى السُّودانَ يامَكس هازِلاً ... وما أنت مُسْوَدٌّ ، ولا أنت قاتم
وما بكَ مما تُبصرُ العينُ شُهبةٌ ... ولكن مشِيبٌ عَجّلتْهُ العظائم
كأنك خيْلُ التركِ شابَت مُتونُها ... وشابت نَواصيها ، وشاب القوائم
فيا رُبَّ أيامٍ شهدْتَ عصيبةٍ ... وقائعُها مشهورةٌ والملاحِم !

---

(١) نحسبه يعنى المأسوف عليه داود بركات رئيس الأهرام لذلك العهد .

ذخيرةٌ

« وهذه مداعبة اخرى — لم تكمل — نظمها في ايام الثورة وهو يتسبب فيها الى الى جنيه كان الدكتور محجـــوب قد اكتنزها وحرص عليها في بنـــك حسن باشا سعيد ... »

قل لابن سينا : لا طَبيـــبَ اليومَ إلا الدرْهمُ
هو قبلَ بقراطٍ وقبْـــلَكَ للجِراحةِ مَرْهم
والناسُ مُذ كانوا عليـــه دائرون وحُوَّم
وبِسحْرِه تعلو الأسا فِلُ في العيونِ وتعظُم
يا هل تُرى الألفانِ وقـــفٌ لا يُمسُّ ومَحرَم؟!
بنكُ «السَّعيدِ» عليهما حتى القيامةِ قيِّم
لا «شِيكَ» يظهَرُ في البُنو كِ ولا «حِوالةَ» تُخصَم !
وأعفُّ مَنْ لا قيتَ يلقـــاهُ فلا يتكرَّم !

... ...

بَرَاغِيثُ مَحْجُوب

بَرَاغِيثُ مَحجوب لم أنسَها ... ولم أنسَ ما طَعِمَتْ من دمى
تشقُّ خَراطيمُها جَوْرَبى ... وتنفُذُ فى اللحم والأعظُمِ !
وكنتُ إذا الصَّيفُ راح احتَجمْـــتُ فجاءَ الخريفُ فلم أحجَم
تُرَحِّبُ بالضَّيف فوقَ الطـــريقِ ، فبابِ العيادةِ ، فالسُّلَّم
قد انتشَرَت جوْقَةً جَوقةً ... كما رُشَّتِ الأرضُ بالسِّمسِم !
وتَرقصُ رَقصَ المَواسى الحِدادِ ... على الجِلدِ ، والعَلَقِ الأسحم

* * *

بواكيرُ تَطلعُ قبل الشِّتاء ... وتَرفعُ ألويةَ الموْسِم
إذا ما « ابنُ سينا » رَمَى بلغماً ... رأيتَ البراغيثَ فى البَلغم
وتُبصِرُها حول « بيبا » الرئيس[1] ... وفى شاربيْهِ وحولَ الفَم !
وبيْنَ حفائِرِ أسنانِه ... مع السُّوسِ فى طلبِ المَطْعَم !

---

(١) ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه ، ومن الاشياء الحبيبة اليه التدخين فى « البيبا » .

محتويات الكتاب

أولا : متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماع :

ثانيا : الخصوصيات :

رابعا : ديوان الأطفال :

خامسا : من شعر الصبا :

تم الفهرس

